



جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاق
وُزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِ وَالْبَحْثِ
الْعِلْمِيِّ
جَامِعَةُ كَرْبَلَاءَ
كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَّةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ
قِسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

أَثَرُ الْقَرَأْنِ فِي تَوْجِيهِ الْمَعْنَى عِنْدَ أَبِي السُّعُودِ (ت ٩٨٢ هـ) فِي تَفْسِيرِهِ

أَطْرُوحُهُ تَقَدَّمَ بِهَا الطَّالِبُ
سَلِيمُ أَسْوَدَ مَذْلُولُ الْأَسَدِيِّ

إِلَى مَجْلِسِ كُلِّيَّةِ التَّرْبِيَّةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي جَامِعَةِ كَرْبَلَاءَ ، وَهِيَ مِنْ
مُتَطَلِّبَاتِ نَيْلِ شَهَادَةِ الدُّكْتُورَاهِ فِي فِلَسَفَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا / لُغَةٍ

بِإِشْرَافِ
الْأُسْتَاذَةِ الْمُسَاعِدَةِ الدُّكْتُورَةِ
عَلِيَاءَ نَصْرَتِ حَسَنِ الرَّبِيعِيِّ

٢٠٢٥ م

١٤٤٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

[البقرة: ٢٦٩]

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (التحليل النحوي عند أبي الشؤود (ت ٩٨٢ هـ) دراسة في ضوء نظرية القرائن) التي قدّمها الطالب (سليم أسود مدلول) قد جرت تحت إشرافي بمراحله كافة، في قسم اللغة العربية - كئيّة التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، وبناء على ذلك أرشحها للمناقشة.



الإمضاء:

الاسم : أ.م.م. علياء نصرت الربيعي

التاريخ : ٢٠٢٥ / ١ / ٢٦

بناءً على إقرار المشرف، أرشح هذه الدراسة للمناقشة



الإمضاء:

أ.د. جنان منصور الجبوري

(رئيس قسم اللغة العربية)

التاريخ : ٢٠٢٥ / ١ / ٢٦

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اسلمنا على الأطروحة الموسومة بـ (أثر القرآن في توجيه المعنى عند أبي المَعْنُود (ت ٩٨٢هـ) في تفسيره) التي قدمها الطالب: (سليم أسود مدلول الأسدي)، وقد ناقشناها في محتوياتها وفي ما لها علاقة بها، ونرى لها جدرة بنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، بتقدير (جيد جدًا عالي).

الإمضاء:
أ. د. عباس علي إسماعيل

(عضوًا)

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

الإمضاء:
أ. م. د. أحمد حسن منصور

(عضوًا)

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

الإمضاء:
أ. م. د. علياء نصرت حسن

(عضوًا ومُشرفًا)

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

الإمضاء:

أ. د. هادي شندوخ حميد السعيد

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

الإمضاء:

أ. د. محمد حسين علي زعين

(رئيسًا)

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

الإمضاء:
أ. د. وليد عادل علي كضير

(عضوًا)

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

الإمضاء:
أ. م. د. رافع ناجي وادي

(عضوًا)

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء على قرار اللجنة.

الإمضاء:

أ. د. هادي شندوخ حميد السعيد

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٤ / ٢٥

الإهداء

إلى أرواح شُهداءنا الأبرار جميعًا، وأخص بالذكر منهم الشهيد جدِّي (عبد
العالِي محمد حمود)، والشَّهيد أخي (إبراهيم أسود مدلول)، أسأَلُ الله أن
يرحمَهُم بفيضِ رحمته، ويزيدَهُم درجاتٍ في رضوانِهِ.
إلى والديَّ العزيزين، مصدر فخري، حُبًّا ووفاءً.
إلى زوجتي رفيقة دربي.
إلى إخواني وأخواتي ودًّا واعتزازًا.
أُهدي هذا الجُهدَ المُتواضع.

شُكْرُ وَامْتِنَانُ

أَتَوَجَّهُ بِالشُّكْرِ إِلَى اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَأَتَقَدَّمُ بِوَافِرِ الْامْتِنَانِ إِلَى أَسَاتِذَتِي الْفَاضِلَةِ الدُّكْتُورَةِ عَلِيَاءِ نَصْرَتِ الرَّبِيعِيِّ، الَّتِي أَشْرَفَتْ عَلَى هَذِهِ الدِّرَاسَةِ، فَكَانَتْ لِي خَيْرَ سَنَدٍ وَعَوْنٍ طَوَالَ كِتَابَةِ هَذَا الْعَمَلِ.

وَالشُّكْرُ وَالْامْتِنَانُ لِرِئَاسَةِ جَامِعَةِ كَرْبَلَاءَ، وَعِمَادَةِ كَلِّيَّةِ التَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلِرِئَاسَةِ قِسْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِلَى أَسَاتِذَتِي الْأَفْضَلِ جَمِيعًا؛ لِجُحُودِهِمْ الْخَيْرَةِ وَمُعَامَلَتِهِمْ الْحَسَنَةَ، فَجَزَاهُمْ اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ مَا يَجْزِي بِهِ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ.

وَأَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ لِلْقَائِمِينَ عَلَى مَكْتَبَتِي الْعَتَبَتَيْنِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ فَجَزَاهُمَا اللَّهُ خَيْرًا. وَأُسَجِّلُ عَظِيمَ شُكْرِي وَخَالِصَ امْتِنَانِي لِلْأَخْوَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ: الدُّكْتُورِ حِيدَرِ مُحَمَّدٍ الْعَتَابِيِّ، وَالدُّكْتُورِ إِبْهَابِ حُسَيْنِ الْحَجَامِيِّ، زَمِيلَيَّ فِي الدِّرَاسَةِ الْأُولَيَّةِ، عَلَى مَا قَدَّمَا لِي مِنْ إِرْشَادَاتٍ سَدِيدَةٍ وَتَوْجِيهَاتٍ نَافِعَةٍ كَانَتْ لَهَا الْأَثَرُ الْبَالِغُ فِي إِثْرَاءِ هَذِهِ الْأَطْرُوحَةِ وَتَيْسِيرِ خُطَوَاتِهِ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْزِيَهُمَا عَنِّي خَيْرَ مَا يَجْزِي بِهِ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ.

وَلَا يَفُوتُنِي أَنْ أَشْكُرَ زُمَلَائِي فِي مَرَحَلَةِ الدُّكْتُورَاهِ الَّذِينَ تَجَسَّدَتْ فِيهِمْ رُوحُ التَّعَاوُنِ وَحُبُّ الْخَيْرِ لِلْآخَرِينَ، فَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْإِخْوَةِ الصَّادِقِينَ فِي نُصَحِهِمْ، فَلَمْ يَبْخُلْ أَحَدُهُمْ بِمَا يَمْلِكُ مِنْ كُتُبٍ وَأَبْحَاثٍ وَمَعْلُومَاتٍ فِي سَبِيلِ رَفْعَةِ الْجَمِيعِ وَتَبَادُلِ الْمَعْرِفَةِ، وَالشُّكْرُ الْجَزِيلُ وَالشَّنَاءُ الْجَمِيلُ لِكُلِّ مَنْ أَسَدَى إِلَيَّ مَعْرُوفًا، وَأَفَاضَ عَلَيَّ بِكَرَمِهِ وَعَطَاءِهِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ أَنْ يَمُدَّ فِي أَعْمَارِ الْجَمِيعِ، وَأَنْ يُوقِّعَهُمْ لِكُلِّ مَا فِيهِ رَفْعَةٌ وَسَعَادَةٌ.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء.
	شكر وامتنان.
٢ - ٦	المقدمة:
٨ - ٣٠	التمهيد: بيان في مقاصد العنوان.
٨ - ١٣	أولاً: أبو السُّعُود ومنهجه ومصادره في تفسيره.
٨	١ - اسمه ونسبه وكُنْيَتُهُ.
٨ - ٩	٢ - نشأته ومكانته العلميّة.
٩	٣ - وفاته.
١٠	٤ - منهج أبي السُّعُود في تفسيره.
١٠ - ١٣	٥ - مصادر أبي السُّعُود في تفسيره
١٣ - ٣٠	ثانياً: مفهوم القرائن.
١٣ - ١٥	١ - القرينة في اللغة والاصطلاح.
١٥ - ٢١	٢ - أصالة مفهوم القرائن.
٢١ - ٢٥	٣ - القرينة عند اللُّغويين المحدثين.
٢٥ - ٢٩	٤ - أنواع القرائن.
٢٩ - ٣٠	٥ - ظاهرة تضافر القرائن.
٣١ - ٨٢	الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى في تفسير أبي السُّعُود
٣٢ - ٥٦	المبحث الأول: القرائن الصَوْتِيَّة
٣٢ - ٣٣	توطئة:
٣٤ - ٤٣	أولاً: قرينة الوقف.
٣٤ - ٥٦	ثانياً: قرينة التَّنْغِيم.
٤٦ - ٤٧	١ - التَّنْغِيم في توجيه الإعراب.
٤٧ - ٥٤	٢ - التَّنْغِيم في تحولات المقاصد الأسلوبية.

الصفحة	الموضوع
٥٦-٥٤	٣- دلالة التَّغْيِيم بالحذف.
٨٧-٥٧	المبحث الثاني: القرائن الصَّرْفِيَّة
٥٨-٥٧	توطئة:
٧٠-٥٨	أولاً: قرينة الصِّيْغة
٦٥-٦٣	١- الاشتقاق.
٦٩-٦٧	٢- الزِّيَادَة أو الإِلْصَاق.
٧٠-٦٩	٣- التَّحْوِيل الدَّاخِلِي.
٨٢-٧١	ثانياً: قرينة المطابقة.
٧٧-٧٤	أ- المطابقة في الجملة الاسميَّة.
٨٢-٧٨	ب- المطابقة في الجملة الفعلية.
١٦١-٨٣	الفصل الثاني: أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى في تفسير أبي السُّعُود
٨٥-٨٤	توطئة:
١٢١-٨٦	المبحث الأول: القرائن اللَّفْظِيَّة
٩٤-٨٦	أولاً: قرينة العلامة الإعرابِيَّة.
١٠٢-٩٤	ثانياً: قرينة الرِّتْبَة.
١٠٨-١٠٢	ثالثاً: قرينة الرِّبْط.
١١٧-١٠٨	رابعاً: قرينة التَّضَام.
١١٤-١١٠	أ- التَّلَازِم.
١١٧-١١٤	ب- التَّنَافِي.
١٢١-١١٧	خامساً: قرينة الأداة.
١٦١-١٢٢	المبحث الثاني: القرائن المعنويَّة
١٢٣-١٢٢	توطئة:
١٣٢-١٢٣	أولاً: قرينة الإسناد.
١٢٧-١٢٤	١- الإسناد في الجُمْلَة الفعلية.
١٣٢-١٢٧	٢- الإسناد في الجُمْلَة الاسميَّة.

الصفحة	الموضوع
١٤٥-١٣٢	ثانيًا: قرينة التّخصيص.
١٣٥-١٣٣	١- قرينة التّعدية.
١٣٨-١٣٥	٢- قرينة الغائية.
١٣٩-١٣٨	٣- قرينة الظّرفيّة.
١٤١-١٣٩	٤- قرينة التّأكيد والتّحديد.
١٤١	٥- قرينة الملابس.
١٤٣-١٤١	٦- قرينة الإخراج.
١٤٤-١٤٣	٧- قرينة التّفسير.
١٤٥-١٤٤	٨- قرينة المخالفة.
١٥٤-١٤٥	ثالثًا: قرينة التّبعية.
١٤٩-١٤٦	١- قرينة النّعت.
١٥١-١٤٩	٢- قرينة البدل.
١٥٢-١٥١	٣- قرينة التّوكيد.
١٥٤-١٥٣	٤- قرينة العطف.
١٦١-١٥٤	رابعًا: قرينة النّسبة
٢٢٢-١٦٢	الفصل الثالث: أثر القرائن الحالية في توجيه المعنى في تفسير أبي السّعود
١٦٥-١٦٣	توطئة:
١٩٧-١٦٦	المبحث الأوّل: قرينة سياق الحال وعناصرها في توجيه المعنى
١٦٨-١٦٦	أولاً: قرينة سياق الحال.
١٧٣-١٦٨	ثانيًا: قرينة أسباب النّزول.
١٩٧-١٧٣	ثالثًا: عناصر القرينة الحاليّة.
١٨٣-١٧٥	١- حال المتكلّم.
١٧٨-١٧٧	أ- الابتداء بالنّكرة.
١٧٩-١٧٨	ب- العطف.
١٨٠-١٧٩	ت- التّوكيد.
١٨١-١٨٠	ث- توجيه العلامة الإعرابيّة.

الصفحة	الموضوع
١٨٢-١٨١	ج- المفعول فيه (الظرف).
١٨٣-١٨٢	ح- البديل.
١٩٧-١٨٣	٢- حال المُخاطَب.
١٨٨-١٨٦	أ- أسلوب النداء.
١٩٠-١٨٨	ب- حرف التَّرجي (لعلّ).
١٩٢-١٩٠	ت- حذف جواب (لو، ولولا).
١٩٧-١٩٣	ث- أسلوب الاستفهام.
٢٢٢-١٩٨	المبحث الثاني: مجالات سياق الحال في توجيه المعنى
٢٠٣-١٩٩	أولاً: التَّقديم والتَّأخير.
٢١١-٢٠٣	ثانياً: الحذف والتَّقدير.
٢١٧-٢١١	ثالثاً: التَّعريف والتَّنكير.
٢٢٢-٢١٧	رابعاً: الإحالة بالضمير.
٢٢٦-٢٢٣	الخاتمة:
٢٥٩-٢٢٨	المصادر والمراجع:
A-B	ملخص الأطروحة بالُّغة الإنكليزيَّة:

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين وأزكى الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.
أما بعد:

فالقرآن الكريم ليس نصًا لغويًا بل هو نص تشريعي أو منظومة إلهية متكاملة تُخاطب الإنسان بكل أبعاده، فيجمع عمق المعاني وجمال الأسلوب، ودقة التشريع وإحكام النظام، متجاوزًا حدود البلاغة ليشمل العقل والروح معًا، وإعجازه يتجلى بتقديم إجابات خالدة تتجدد مع كل زمان ومكان، وفي قدرته الفريدة على المزج بين جمال الظاهر وأحكام الباطن، ولهذا سعى العلماء والباحثون إلى دراسته، مستكشفين أسرار العميقة، مُحللين تراكيبه وألفاظه.

ورغبت أن أتطلع إلى دراسة كتاب الله العزيز، وتحديدًا في مجال التحليل النحوي، مستكشفًا أسرار التركيب اللغوي ودلالاته في سياق النص القرآني؛ لأن التحليل النحوي يقوم بتفكيك عناصر النصوص، بغية التعرف على مكوناتها التي تشكلت منها، وتحديد معانيها وخصائصها، وذلك في ضوء نظرية القرائن وأثرها في تحديد الباب النحوي؛ لأن فهم النص القرآني يعتمد على مجموعة من القرائن المقالية والحالية، وما يتضافر من القرائن النحوية عامة، فالقرائن تمثل العنصر المحوري في النص، إذ تبرز العلاقات السياقية التي تتكامل لتوجيه المعنى وتحديد الدلالة المقصودة، ولا يمكن إدراك هذا المعنى داخل التركيب النصي للقرآن الكريم إلا في ضوء القرائن التي تُعد مخزونًا للقواعد اللغوية في الكشف عن طبيعة العلاقات بين عناصر النص وأجزائه المختلفة، وقد أشار اللغويون القدماء إلى القرائن، وأفاد منها البلاغيون والمفسرون والمناطق والأصوليون، إذ كانت عندهم من أهم أدوات التحليل لفهم المعنى وتوجيهه.

وكان أبو السعود (ت ٩٨٢هـ) واحدًا من العلماء الذين بزغ نجمهم في عصره، ولا يقل مكانة عن سابقه من كبار المفسرين، إذ اشتهر بعقلية موسوعية وبصيرة نافذة، فلم يقيّد معارفه ضمن إطار معرفي محدّد، بل أبحر في شتى العلوم التي كانت سائدة في زمانه، فكان قاضيًا، وأصوليًا، ومفسرًا ومُتكلّمًا، ويشهد على ذلك تنوع معارفه، وسعة اطلاعه.

ومن هذا المنطلق، إنّ اختيار الموضوع العلميّ بعنايةٍ يتطلب امتلاك خبرةٍ علميّةٍ عميقةٍ، وحنكةٍ عقليةٍ مدّربةٍ، ورجاحةٍ عقلٍ متمرّسٍ على الخوض في الاختيار، فبحمد الله وتوفيقه، وبفضل الاستشارة العلميّة التي تفضل بها أستاذي الدكتور سلام موجد الزبيديّ مشكوراً، تمّ اقتراح عنوان أطروحتي، الذي جاء تحت عنوان: (التّحليل النّحويّ في تفسير أبي السّعود (ت ٩٨٢هـ) دراسة في ضوء نظريّة القرائن).

وقد كان منطلقي في تفسير أبي السّعود بوصفه مصدراً أساسيّاً للدراسة والبحث، فقمّت بانتقاء عددٍ من النّصوص الواردة فيه، محاولاً مناقشتها بأسلوبٍ تحليليّ، وكيفية تعامل المفسّر معها، وقد تعرّض تفسير أبي السّعود إلى دراساتٍ متعدّدةٍ منها: البحث الدّلالي في (إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السّعود، للباحثة زينب عبد الحسين السّلطاني، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كليّة التّربيّة للبنات، ٢٠٠٥م، وأبو السّعود ومنهجه في النّحو من خلال تفسيره (إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم) الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم أنموذجاً، للباحث عماد أحمد سليمان، رسالة ماجستير، كليّة الدّراسات العليا- الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٦م، والانتساع في المعنى في تفسير أبي السّعود، للباحثة سوسن خلدون الدليشي، رسالة ماجستير، كليّة الآداب- الجامعة الإسلاميّة، بغداد، ٢٠١٠م، ومنهج الإمام أبي السّعود في تفسيره المسمّى (إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، د. خالد سعيد البسيوني، جامعة الأزهر، كليّة أصول الدّين، ٢٠١٦م، والمبالغة وصورها في تفسير أبي السّعود (ت ٩٨٢هـ) دراسة صرفيّة نحويّة دلاليّة، للباحث مازن بندر الزبيدي، رسالة ماجستير، كليّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة- جامعة كربلاء، ٢٠٢١م، وهذه الدّراسات وغيرها تدلّ على قيمة هذا التّفسير، ولم أجد ممّن سبقني في تفسير أبي السّعود بحثاً له صلة بدراسة التّحليل النّحويّ في ضوء نظريّة القرائن.

ومن الكتب والرّسائل ما يخصّ القرائن وتطبيقاتها على القرآن الكريم وسط هذا العدد الكبير من الدّراسات القرآنيّة؛ لأنّها أصبحت دراساتٍ محوريّة، ومن الدّراسات القريبة إلى بحثي: القرينة في اللّغة العربيّة، د. گوليزار كاكل عزيز، وأثر القرائن في

التَّوْجِيهِ النَّحْوِيَّ عند سيبويه، د. لطيف حاتم الزامل، وقرائن الإعراب والصيغ والمطابقة في اللغة العربيَّة، أمل باقر عبد الحسين، رسالة ماجستير، كَلِيَّة الآداب- جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م، وأثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، أحمد خضير عباس، أطروحة دكتوراه، كَلِيَّة الآداب-جامعة الكوفة، ٢٠١٠م، والقرينة وأثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش، قصي سمير عبيس، أطروحة دكتوراه، كَلِيَّة التَّربِيَّة- جامعة بابل، ٢٠١٦م، فضلاً على رسائل وأطاريح أخرى في جامعات عربيَّة. أمَّا دراستي هذه فقد تطرقت إلى المسائل المتعلِّقة بالقرائن المقاليَّة والمقاميَّة (الحاليَّة) متخذةً من تفسير أبي السُّعُود مدونةً لتتبع هذه القرائن، وآمل أن تُسهم هذه الدِّراسة في إثراء السَّاحة العلميَّة لتقديم صياغة أكثر عمقاً تُعبر عن طموح الباحث.

ونظراً لطبيعة الدِّراسة، اعتمدَ الباحثُ المنهجَ الوصفيَّ التَّحليليَّ، إذ ارتكزَ هذا المنهجُ على وصفِ القرائن التي وردت في تفسير أبي السُّعُود، ومن ثمَّ تحليلها نحوياً، مُسلِّطاً الضَّوءَ على أثرها في توجيه المعاني وإيضاحها، وقد جاء ذلك بهدف تحقيق الغايات المرجوة والأهداف المأمولة من الدِّراسة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع ومادته العلميَّة أن تكون الدِّراسة على ثلاثة فصولٍ مسبوقةٍ بتمهيدٍ، وتليها خاتمةٌ تضمَّنت أهمَّ النَّتائج التي توصَّلت إليها الأطروحة: أمَّا التَّمهيدُ فقد اشتملَ على محورين أساسيين، الأوَّل: خصَّ بدراسة حياة أبي السُّعُود، ومكانته العلميَّة، ومنهجه ومصادره في تفسيره، والثَّاني: تضمَّن مفهوم القرائن في اللُّغة والاصطلاح، وأصالة مفهوم القرينة عند الأصوليين والمُتكلِّمين، والمفسِّرين، وعلماء اللُّغة والنَّحو، وصولاً إلى علماء اللُّغة المُحدِّثين في توصيف مفهوم القرائن، وبيان وظيفتها.

أمَّا الفصل الأوَّل فقد عرضتُ فيه القرائن الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة، وقد جاء في مبحثين: الأوَّل: القرائن الصَّوتيَّة، وقد أَلقت الدِّراسة الضَّوءَ على تحليل اللَّفظة وبيان دلالتها الصَّوتيَّة عبر اختلاف التَّعبير الصَّوتي في قرانتي (الوقف، والتَّغيم)، أمَّا على المستوى

الصَّرْفِي فقد كشفت الدِّراسةُ عن أثرِ دلالةِ اللَّفْظِ باختلافِ قرينةِ (الصِّيغَةِ والمطابقة) فتؤدِّي وظيفةً نحويَّةً خاصَّةً بها تجعلُها تدخلُ في تغييرِ المعنى العامِّ للنظامِ اللُّغويِّ.

أما الفصلُ الثَّاني، فقد عُقدَ لدراسةِ توجيهِ المعنى في ضوءِ القرائنِ النُّحويَّةِ بشقيها اللَّفْظيَّةِ والمعنويَّةِ، وكان لهذا الفصلِ الحظُّ الأوفَرُ من القرائنِ؛ لكثرةِ القرائنِ الَّتِي نُوقِشتِ فيه، فعلى المستوى اللَّفْظيِّ درستِ قرينةُ (العلامةِ الإعرابيَّةِ، والرَّتبةِ، والرَّبطِ، والنَّظامِ)، وعلى المستوى المعنويِّ درستِ قرينةُ (الإسنادِ، والتَّخصيصِ، والنِّسبةِ، والتَّبعيةِ).

أما الفصلُ الثَّالثُ، فقد خُصِّصَ لدراسةِ توجيهِ المعنى في ضوءِ القرائنِ الحاليَّةِ، مبيِّنًا الأثرَ الَّذِي تقومُ به هذه القرائنُ في إيضاحِ المعاني الدَّقيقةِ أثناءِ تحليلِ النُّصوصِ، وقد ركَّزتِ الدِّراسةُ في قرينةِ سياقِ الحالِ وأسبابِ النُّزولِ، مع تسليطِ الضَّوءِ على العناصرِ الَّتِي تمثَّلَت بحالِ المُتكلِّمِ والمُخاطَبِ، والظُّروفِ المُحيطةِ بالنَّصِّ من تقديمٍ وتأخيرٍ، وحذفٍ وتقديرٍ، وغيرها.

وخُتِمتِ الدِّراسةُ بخاتمةٍ تضمَّنتِ أهمَّ النَّتائجِ الَّتِي توصَّلت إليها، ثُمَّ تلتها قائمةٌ من المصادرِ والمراجعِ الَّتِي أفادت البحثَ وأغنته.

وقد دُلِّلَ من صعوباتِ البحثِ وإشكالاتِهِ ما وجدتهُ من رحابةِ صدرٍ، وحُسنِ خُلُقٍ عند أستاذتي المشرفةِ الدَّكتورةِ علياء نصرت الرِّبيعيِّ الَّتِي أشرفت على موضوعِ الأطروحةِ، فقد كانت لي أختًا ومُعَلِّمةً في متابعتها وإنجازها، أسألُ اللهَ أن يجزيها عني خيرًا، وأن يفيضَ عليها من نعمه، إِنَّهُ نِعَمَ المولى ونِعَمَ المُجيبِ.

ومن العرفانِ بالجَميلِ أن أقَدِّمَ شكري وتقديري إلى كُلِّيةِ التَّربيَّةِ للعلومِ الإنسانيَّةِ وعمادتها الموقَّرةِ، وإلى قسمِ اللُّغةِ العربيَّةِ الموقَّرِ متمنِّيًا برئيسه أستاذتي الفاضلةِ الدَّكتورةَ جنان منصور الجبوريِّ، وإلى أساتيذي في القسمِ جميعًا، فما عندنا هو ثمرةُ جُهدِهِم، فقد غمرونا بطيبهم بما عُرِفوا به من حُسنِ خُلُقٍ، وطلاقةِ وجهٍ، وعلمٍ نافعٍ لا غنى عنه، أسألُ اللهَ أن يُتِمَّ عليهم نِعَمَهُ ويوفِّقَهُم إلى نيلِ مرضاته.



وأَتَقَدَّمُ بالشُّكْرِ الجَزِيلِ والثناءَ الجَمِيلِ إلى رئيسِ لَجَنَةِ المناقشةِ، وأعضائِها الموقَّرينَ، على ما سبَّغولونهُ من جُهدٍ في قِراءةِ هذا البَحثِ، وبقينًا أنَّ جُهدِي هذا ينتظرُ ما تفيضُ به أياديهم الكريمة من مَلاحظاتٍ قِيَمَةٍ تُصَوِّبُ ما قد غابَ عن إدراكي، وموجَّهين ما به حاجة إلى توجيهِه يغني البَحثَ ويستضيءُ بها الباحثُ.

وأختم قولِي مُؤكِّدًا أنَّني لا أدَّعي الكمالَ في عملي هذا، فالكمالُ ليس من صفاتِ البشرِ، فهو لله وحده سبحانه وتعالى، ومع ذلك أرجو أن أكونَ قد وفَّقتُ فيما قدَّمته، مستعينًا بفضلِ الله وتوفيقه، فإن أصبتَ فذلك من كرمِهِ وفَضْلِهِ عليَّ، وإن أخطأتُ فحسبي أنَّي اجتهدتُ وبذلتُ ما بوسعي، وأرجو الله عزَّ وجلَّ أن يكتبَ لي أجرَهُ، فهو المعينُ الَّذي لا يخيبُ من رجاہ، وهو نِعَمُ المولى ونِعَمُ النَّصيرِ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين

التّمهيد

بيانٌ في مقاصدِ العنوانِ

أولاً: أبو السُّعود ومنهجهُ ومصادره في تفسيره

ثانياً: مفهوم القرائن

أولاً: أبو السُّعُود ومنهجُه ومصادره في تفسيره

١ - اسمه ونسبُه وكُنْيَتُه:

هو قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو السُّعُود الرُّومِيُّ مُحَمَّد بن مُحيي الدِّين مُحَمَّد بن مصطفى الأسكَلِبِيَّ العِمَادِيَّ الحنْفِيَّ^(١)، وقيل: إِنَّ اسمَه أَحْمَدُ، والأوَّل هو المشهور^(٢)، وأمَّا مولدُه فقد ذُكرتِ المصادرُ التي ترجمت لحياتِه أَنه وُلِدَ في صفر سنة ستِّ وتسعينَ وثمانمئةَ للهجرة (٨٩٦هـ)^(٣)، وقيل: وُلِدَ سنة ثمانٍ وتسعينَ وثمانمئةَ للهجرة (٨٩٨) بقريةٍ قريبةٍ من القُسطنطينيَّة تُسمى (أسكَلِيب)^(٤)، وينتسبُ إلى أسرةِ العِمَادِيَّ الرُّومِيَّة، والأَمَدِيَّ، والأسكَلِيبِي هي أسرةٌ معروفةٌ بمكانتِها العلميَّة والأدبيَّة^(٥)، ويكنى بأبي السُّعُود، ويُلقَّب أيضاً بـ(شيخ الإسلام)، و(مُفتي التَّختِ السُّلْطاني)، و(مُفتي الدَّهر)، و(مُفتي التَّغَلين)، والشَّائِعُ عنه كُنْيَتُه بأبي السُّعُود^(٦).

٢ - نشأته ومكانته العلميَّة:

أ - نشأته:

نشأ أبو السُّعُود في أسرةٍ علميَّةٍ ودينيَّة، وتربَّى في حجرِ العلمِ على يدِ والدِه الَّذي كان أحدَ عُلَماءِ عصرِه مشهوراً بالعلمِ والورعِ والتَّقوى، وكانَ يقرأ على يدِ والدِه وشيوخِ عصرِه الكتبَ والرِّسائلَ، وهذا ما أهَّلَه لممارسةِ مهنةِ التَّدريسِ في بلادٍ كثيرةٍ من بلادِ الرُّومِ، ثمَّ انتقلَ إلى القضاء، فكانَ مُفتياً على القُسطنطينيَّة^(٧).

١- ينظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد المغراوي: ٢٠٩/٢،

والأعلام، الزركلي: ٥٩/٧، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح الحنبلي: ٥٨٤/١٠.

٢- ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي: ٢٥٣/٢،

وتاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن عبد الله العيدروس: ٢٤١.

٣- ينظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه: ٣٩٨.

٤- ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٨٦/٧.

٥- ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٢٥٣/٢، والعقد المنظوم في ذكر

أفاضل الروم، علي بن بالي الأيديني: ١١٨، والأعلام، الزركلي: ٥٩/٧، والبدر الطالع، محمد

بن علي الشوكاني: ٢٦١/١.

٦- ينظر: تاريخ النور السافر: ٢٤٠، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: ٣٥/٣.

٧- ينظر: العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: ١١٨-١١٩.

ب - مكانته العلمية:

وُصِفَ أبو السُّعُودِ بكلِّ ما هو حسنٌ، إذ تميّز بعلمٍ وثقافةٍ فائقيْن، فضلاً عن ذكائه اللافت ممّا جعله يتّسم بحدّة ذكائه وسرعة استيعابه^(١)، والحقّ أنّه كذلك، فقد كان - رحمه الله - إماماً متميّزاً في تفسير القرآن الكريم، ويبرز ذلك بشكل واضح في تفسيره البليغ، فضلاً عن ذلك أنّه يتّسم بمعرفةٍ واسعةٍ في مختلف علوم عصره، ويتمتّع بدراية شاملة في العلوم التي يعدها العلماء أدوات لفهم كتاب الله، كالنحو واللغة والبلاغة والصّرف، وعلوم القرآن، وأصول الفقه والحديث النبوي الشريف.

وقد بُنيت كتاباته على أسلوبٍ عالٍ ورفيع، إذ تميّزت بالعبارات المسجوعة، وتفقّ على علماء عصره في الأدب، مُظهرًا عظمة الأسلوب، وتناغم البيان، وهذا ممّا يُبرزُ تميّزه وجودته في تفسيره الذي يحظى بإعجاب المؤرّخين والمعاصرين له فأثنوا عليه، ومن هؤلاء الشّيخ محمود بن سليمان الكفويّ الحنفيّ (ت ٩٩٠ هـ)، إذ قال فيه: " لم ترَ العيون مثله في العلم والعرفان، وكان يجتهد في بعض المسائل، ويخرّج ويرجّح بعض الدّلائل، وكان إذا لم يجد واقعة الفتوى وجوابها في الكتب المتداولة المعمولة من المتون والشّروح والأصول والنّوادر والواقعات والفتاوى، يقابل في الوجوه التي لاحت له، ويرجّح واحدًا من تلك الوجوه، ويكتب الجواب على رأيه الرّصين، وله في الفروع والأصول قوّة كاملة..."^(٢)

٣ - وفاته:

اتّفق المؤرّخون الذين ترجموا لأبي السُّعُود - رحمه الله - أنّه توفي بمدينة القُسطنطينيّة في الثّلاث الأخير من ليلة الأحد، خامس جمادى الأولى سنة (ت ٩٨٢ هـ)، وهو الرّاجح^(٣)، ومنهم من ذكر أنّه توفي سنة (٩٥٢ هـ)^(٤)، وقيل: إنّها سنة (٩٨٣ هـ)^(٥).

١ - ينظر: الأعلام، الزركلي: ٥٩/٧.

٢ - كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار، محمود بن سليمان الكفوي: ٤٥٨.

٣ - ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة: ٧٥٥/١، والأعلام، الزركلي: ٥٩/٧.

٤ - ينظر: تاريخ النور السافر: ٢٣٩.

٥ - ينظر: كشف الظنون: ٤٩٨/١.

٤ - منهج أبي السُّعُود في تفسيره:

أشار أبو السُّعُود في مقدّمة تفسيره إلى أنّه اشتغل بالتفسيرين العظيمين: تفسير الزّمخشرّي وتفسير البيضاويّ، وأن يزيد عليهما ما اكتشفه من غيرهما في كتب فُتحت عليه في تفسير الكتاب العظيم حتى يعبر عن مراد الله، إذ قال: ((يتضمّن كلّ منها فوائد شريفة تقرّ بها عيون الأعيان، وعوائد لطيفة تتشّنف بها آذان الأذهان، ولا سيّما الكشف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنّعت الجميل، فإنّ كلّاً منهما قد أحرز قصب السبق أيّ إحراز، كأنّه مرآة لإجتلاء وجوه الإعجاز، صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجُمان وقلائد العُقيان))^(١).

ويُعدّ أبو السُّعُود شديد الالتزام بقواعد اللّغة وبراعته في استعمال البلاغة، ويظهر أنّه شخصيّة مرموقة في هذا المجال، إذ أقرّ بها كثيرون من مختلف الأماكن والطبقات، يقول صاحب كتاب (الفوائد البهيّة في تراجم الحنفيّة): "وقد طالعت تفسيره وانتفعت به وهو تفسير حسن ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ متضمّن لطائف ونكات، ومشتمل على فوائد وإشارات"^(٢).

وأشار الدّكتور محمّد الذّهبيّ أنّه قرأ في تفسير أبي السُّعُود فقال عنه: "أنّه كثير العناية بسبك العبارة وصوغها مولع كلّ الولوع بالنّاحية البلاغيّة للقرآن، وأنّ جلّ اهتمامه الكشف عن نواحي القرآن البلاغيّة وسرّ إعجازه في نظمه وأسلوبه، وبخاصّة في باب الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتّقديم والتّأخير، والاعتراض والتّذييل، كما أنّه يهتم بإبداء المعاني الدّقيقة التي تحملها التّراكيب القرآنيّة بين طياتها، ممّا لا يكاد يظهر إلّا لمن أوتي حظّاً وافراً من المعرفة بدقائق اللّغة العربيّة، ويكاد يكون الإمام أبو السُّعُود هو أوّل المفسّرين المبرزين في هذه النّاحية"^(٣).

٥ - مصادر أبي السُّعُود في تفسيره:

ترك أبو السُّعُود لنا تراثاً لغويّاً هائلاً، يعكس تميّزه في علوم اللّغة، ويظهر أنّ هذا التّراث قد اتّسم بمنهجية متنوعة تتفاوت بين الكتب، ممّا يضفي جمالاً وعمقاً

١ - إرشاد العقل السليم: ٦/١.

٢ - الفوائد البهيّة في تراجم الحنفيّة: ٨٢.

٣ - التفسير والمفسرون: ٢٤٨/١.

على الوراثة اللغوية، وقد استند -أبو السُّعود- في تحليلاته النحوية بشكل رئيس إلى تفسيرات مجموعة ممن سبقه، فقدّم تحليلاته بشكل دقيق وشافٍ، وظهرت ترجيحاته لبعض الآراء ورفضاً لأخرى، فهو يستند في تحليله إلى علماء ألفوا مصادر متعدّدة أفاد منهم في بناء تفسيره، منهم:

- ١- المفسرون، وأبرزهم: الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) في تفسيره الكشف والبيان، والواحدي (ت ٤٦٨هـ) في تفاسيره البسيط، والوسيط، والوجيز، والبوغي (ت ٥١٦هـ) في تفسيره، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في تفسيره الكشاف، والبيضاوي (ت ٦٨٥هـ) في تفسيره أنوار التنزيل^(١)، فقد تأثر -أبو السُّعود- بهؤلاء العلماء، وأسّس عمله عليهم، ولكن هذا لا يعني أنّه قلّد وردّد ما قاله من سبقه، بل نجده قد استقلّ بمسائل شتّى في تفسيره، وسنذكر المسائل التي وردت في تفسيره في أثناء البحث إن شاء الله.
- ٢- القرّاء، ومنهم: ابن عامر (ت ١١٨هـ)، وابن كثير (ت ١٢٠هـ)، عاصم (ت ١٢٩هـ)، وحزمة (ت ١٥٦هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ)^(٢).

ذكر القراءات المتواترة والمشهورة والشاذة، وحكم على بعضها باللحن والخطأ، ويستند في أحكامه إلى القياس اللغويّ، أو إلى المعنى الأنسب بمقام التنزيل بحسب اجتهاده، ويظهر موقفه من القراءة بتلحينها وردّها بعرضها على معايير خارجة عن الثبوت أو صحة سندها، ونقده في تحليل الآيات المباركة شمل القراءات الشاذة والسبعة المروية عن القرّاء^(٣)، ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَكَاْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، إذ قال: "وقرئ قُتِلَ وقُتِلَ^(٤) على صيغة المبني للمفعول مخففةً ومشدّدةً... فالظرف متعلقٌ بقاتل أو بمحذوفٍ وقعَ حالاً من فاعله كما

^١ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ١/١، ٦، ١١٩، ١٣٩، ١٣٩، ٥/٥، ٩٥، ١٨١.

^٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٩٦/٢، ١٦١/٤، ١٨٩، ١٩٧، ١٩٩، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٤٥/٥.

^٣ - ينظر: أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم أنموذجاً، عماد أحمد سليمان، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م: ٢١٧.

^٤ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات: ٢/٢٧٣.

في القراءتين الأخيرتين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أي قُتلوا أو قُتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل، قال سعيد بن جبيرة: ما سمعنا بنبي قُتل في القتال، وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء: لم يقتل نبي في حرب قط، وقيل: الفعل مسندٌ إلى ضمير النبي والظرف متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً منه والرابط هو الضمير المجرورُ الرَّاجِعُ إليه وهذا واضحٌ على القراءة المشهورة بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائناً معه في القتال ربون كثير، وأمّا على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهرٍ لا سيما على قراءة التشديد...^(١).

فنلاحظ أنّ أبا السُّعُود في تحليله الآية المباركة الأنفة الذكر يميل نحو قراءة(قاتل) بدلاً من(قتل)، فهو يستند إلى أحاديث وآراء علماء يثبتون عدم قتل أي نبي في الحروب، لذا رجح القراءة الأولى (قاتل)، ويشير إلى هذا في القراءة المعتمدة المشهورة ويبين أنّ التفسير بـ(قتل) و(قتل) بالتخفيف والتشديد غير واضحة ولا سيما في القراءة التي تشير إلى التشديد.

٣- علماء ألفوا كتباً في معاني القرآن، وأهمهم: الفراء(ت٢٠٧هـ)، وأبو عبيدة (ت٢١٠هـ)، والزجاج(ت٣١٠هـ)، وأبو البركات الأنباري(ت٥٧٧هـ)^(٢)، فنقل أبو السُّعُود كثير من آراء هؤلاء العلماء وأفاد منهم في تحليلاته النحويّة، وفي التعبير عن آرائه اللغويّة في فهم السياقات اللغويّة التي قام بدراستها وتفسيرها، ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى﴾ [النساء: ١١]، ذكر أبو السُّعُود أنّ جملة(لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى)"جملةٌ مستأنفةٌ جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل: محلّها النصب بـ(يوصيكم) على أنّ المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريبٌ ممّا رآه الفراءُ فإنّه يجري ما كان بمعنى القول من الأفعال مجراه في حكاية الجملة بعده...^(٣).

١ - إرشاد العقل السليم: ٩٥/٢.

٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٢٤/١، ٦٧، ٨٥، ١٣٨، ٨٣/٢، ١٤٣، ١٠٣/٥، ٢٤٨/٦، ١٥/٧، ١٤٣/٩.

٣ - المصدر نفسه: ١٤٨/٢.

٤- علماء ألفوا كتباً في اللغة والنحو، ومنهم: الخليل (ت ١٧٥هـ)، وسيبويه (ت ١٨٠هـ)، وقطرب (ت ٢٠٦هـ)، والأخفش (ت ٢١٥هـ)، وأبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، وأبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) في كتابه التبيان في إعراب القرآن، وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في ألفيته^(١)، فنقل أبو السُّعود آراء الكثير من هؤلاء العلماء في تحليله للنصوص القرآنية، واستند إليها في بعض تخريجاته النحوية، ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿كَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]؛ إذ قال: "كَيْفَ محلُّها إمَّا الرفعُ على أنَّها خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، وإمَّا النَّصبُ بفعل محذوفٍ على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه أو على التشبيه بالظرف كما هو رأي الأخفش أي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو كيف يصنعون"^(٢).

ثانياً: مفهوم القرائن

١- القرينة في اللغة والاصطلاح:

القرينة في اللغة: عند تتبع مادة (قَرَنَ) واشتقاقاتها في المعاجم اللغوية نجدها تدلّ على معانٍ متعدّدة منها: المصاحبة، والرّفقة، والشّدّ، والربط، والتلازم، والوصل، فالخليل يعرفها بقوله: "القرين: صاحبك الذي يقارنك، وقوله عزّ وجلّ*: مُقْتَرِنِينَ، أي متقارنين... وقرينة الرجل امرأته"^(٣)، ويحدّثنا ابن فارس بقوله: "القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ، والآخر شيءٌ يَنْتأ بقوةٍ وشدةٍ، فالأوّل: قارنٌ بين الشيئين، والقران: الحبل يُقَرَنُ به شيئان، والقران: الحبل

^١- ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣٨/١، ٦١، ٦٧، ٢٢٩، ٧/٢، ١٣٨، ١٤٠، ٦١/٣، ١١٧، ١٥٤، ١٤٨/٩، ١٥٨.

^٢- المصدر نفسه: ١٧٨/٢، الكتاب: ٣٦٠/١، ومعاني القرآن، الأخفش: ٨٣/١.

* من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أُنْفِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣].

^٣- العين: ١٤٢/٥-١٤٣، مادة (قرن).

أيضاً...والقرينة: نفس الإنسان، كأنَّهُما قد تقارنا^(١)، فالحبل يكون وصلًا بين شيئين وكذلك الإنسان فهو متصل بذاته حيث لا يمكن فصل الرّوح عن الجسد.

والقرن بالفتح: مثلك في السنّ، وبكسر السين: مثلك في الشّجاعة، وهم أقرانه، وهو قرينه في العلم والتّجارة وغيرهما، ويقال: قرن الحج بالعمرة قرناً، وصلها، أي جمع بينهما في قران واحد بنية واحدة وتلبية واحدة وإحرام واحد وطواف واحد وسعي واحد^(٢)، والقرينة: "فَعِيلَة بمعنى مفعولة من الاقتران، وقد اقترن الشّيان وتقارنا، وجاؤوا قرانى أي مُقترنين"^(٣).

فالقرينة في ضوء إطارها اللّغوي تدلّ على معانٍ متقاربة إلى حدّ كبير حول الجّمع، والوصل، والمصاحبة، والملازمة، والارتباط، والاستمرارية.

أمّا القرينة في الاصطلاح: فهي كلّ ما يدلّ على المقصود أو المراد، ويشير إلى الدّليل اللفظي أو العقليّ الذي يساعد المتلقّي في فهم الدّلالة المقصودة^(٤)، فالقرينة هي الدّليل، والمقصود هو المدلول عليه، فالمعنى الاصطلاحي للقرينة - تقريباً - يدور حول المعنى المعجمي، وارتباط الكلمات بعضها ببعض سواء أكان ذلك داخل الجُملة أم داخل السّياق يدلّ على وجود المصاحب لها.

والقرينة لدى بعض المُحدّثين تعني دلالة مستمدّة من اللفظ أو المعنى، فيجري استعمالها للإشارة إلى المعنى المقصود من دون اللجوء إلى تفسير آخر، فهي عند الدكتور محمّد نجيب اللبدي: "الدّلالة اللفظيّة أو المعنويّة التي تمخّض المدلول وتصرفه إلى المراد مع منع غيره من الدّخول فيه"^(٥).

^١ - معجم مقاييس اللغة: ٧٦/٥-٧٧ مادة (ق ر ن).

^٢ - ينظر: أساس البلاغة: ٢/٢٤٨، ولسان العرب: ٣٣٦/١٣ مادة (قرن).

^٣ - لسان العرب: ٣٣٦/١٣ مادة (قرن).

^٤ - ينظر: المعجم الوسيط: ٧٣٠ مادة (ق ر ن)، وموسوعة النحو والصرف والإعراب، د. إميل بديع يعقوب: ٥٢٢.

^٥ - معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير اللبدي: ١٨٦.

ويبدو أنَّ مصطلح القرينة في الاصطلاح يتشابه مع مفهوم (الدليل) من حيث المعنى اللُّغويّ، إذ هو ما يُستدلُّ به^(١)، وكذلك القرينة يُستدلُّ بها على المراد أو المقصود^(٢)، وتماثله في معناه الاصطلاحي عند الأصوليين فهو "ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"^(٣)، وهذا يماثل تعريف القرينة الاصطلاحي عند الأصوليين؛ إذ هي عندهم: "ما يدلُّ على المراد من غير أن يكون صريحاً فيه"^(٤).

فمفهوم القرينة هو كلّ ما يشير بدقة إلى المعنى المقصود، ويُسهّم في توضيح الفهم السليم أو الوصول إلى المعنى أو الحكم المقصود من التراكيب اللُّغويّة، ممّا يعزّز فهم معاني النّصّ.

٢ - أصالة مفهوم القرائن:

قام العلماء بدراسة متأنّية وتحليل دقيق لمفهوم القرينة، وقد انتشر مفهوم القرينة في مجالات علميّة متعدّدة، بما في ذلك في علم الأصول والكلام وعلم التفسير والفقه، فضلاً على علم البلاغة وعلم اللّغة، ويعود السبب في هذا الانتشار إلى أثر القرينة بوصفها أداة أساسيّة في تفكيك الرّموز وفهم التراكيب اللُّغويّة وبيان معانيها، إذ تُسهّم القرينة في الكشف عن الدلالة اللُّغوية للعبارة، سواءً أكانت تلك الدلالة مستمدّة من اللّغة نفسها أم من سياقات خارجيّة، لذا سنذكر مفهومها عند كلّ علم من العلوم.

أ- القرينة عند علماء الأصول والمُتكلِّمين:

أخذت القرينة عند علماء الأصول والمُتكلِّمين مكاناً مهمّاً، وأصبحت عنصراً أساسيّاً، إذ جاء في تعريفهم لها أنّها "كلُّ ما يُساهم في تحديد المراد من غير الألفاظ، وتسمّى القرينة اللبّيّة أو العقليّة، وتقسم إلى قسمين: منفصلة ومتصلة، فهي مقابل القرينة غير اللفظيّة، والتي تُقسم أيضاً إلى منفصلة ومتصلة"^(٥)، فهي التي توضح

١ - ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/١٦٩٨، ولسان العرب: ١١/٢٤٨.

٢ - ينظر: أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب - جامعة الكوفة، ٢٠١٠ م: ٧.

٣ - الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد الأنصاري: ٨٠/١.

٤ - معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله: ٣٣٣.

٥ - المعجم الأصولي، محمد صنقور: ٣٨٠/٢.

معنى اللفظ وتفسره^(١)، وبين الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مفهوم القرينة بصفة عامة قائلاً "ويكون طريق فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة، ثم إن كان نصاً لا يحتمل معرفة اللغة وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(٢)، والحق هو العشر، وإما إحالة على دليل العقل كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٣)، وقوله (عليه السلام)^(٤): قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن"^(٥).

وذكر-الغزالي- أن القرائن إما أن تكون أحوالاً: "من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتّخمين يختص بدركها المشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علماً ضرورياً بفهم المراد أو توجب ظناً وكلّ ما ليس له عبارة موضوعة في اللغة فتتبع فيه القرائن وعند منكري صيغة العموم والأمر يتعين تعريف الأمر والاستغراق بالقرائن"^(٦).

ب- القرينة عند المفسرين:

لم يغفل المفسرون عن مفهوم القرينة، فقد ذكر جذرها اللغوي واشتقاقاته في القرآن الكريم (٤٠) مرة، وجاءت بمعانٍ متفرقة منها المصاحبة والمماثلة والمشابهة، أو جمع الشيء إلى الشيء^(٧)، ومما ورد بمعنى (الصاحب)^(٨)، في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ

١ - ينظر: التبصرة في أصول الفقه، أبو اسحاق الشيرازي: ٣٩

٢ - الأنعام: ١٤١

٣ - الزمر: ٦٧

٤ - قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ينظر: عوالي اللئالي، محمد بن علي الأحسائي: ٩٩/٤.

٥ - المستصفى من علوم الأصول، أبو حامد الغزالي: ١٨٥.

٦ - المصدر نفسه: ١٨٦.

٧ - ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ٦٦٧.

إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿[الصافات: ٥١]﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَرْنٌ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، أي الملازمة^(٢)، وجاء قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]، بمعنى القيد (القيد بالأغلال)^(٣)، وقد ورد قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، بمعنى (الشبيه والمماثل)^(٤).

وبدل مصطلح القرينة عند المفسرين على الملازمة والمشاكلة والجمع بين أمرين، أو تعلق الشيء بشيء آخر يشابهه، قال الرازي (ت ٦٠٦ هـ): "في قوله: مقرنين ثلاثة أوجه: أحدهما: قال الكلبي: مقرنين كل كافر مع شيطان في غلٍّ، وقال عطاء: هو معنى قوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧٠] أي قرنت فيقترب الله تعالى نفوس المؤمنين بالحوار العين، ونفوس الكافرين بقربائهم من الشياطين... والقول الثاني: في تفسير قوله: مقرنين في الأصفاة هو قرن بعض الكفار ببعض، والمراد أن تلك النفوس الشقية والأرواح المكدرة الظلمانية، لكونها متجانسة متشاكلة ينضم بعضها إلى بعض... والقول الثالث: قال زيد بن أرقم: قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال"^(٥).

وذكر أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) مصطلح القرينة في تفسيره، ووضح قرينتي المقال (لفظية أو معنوية) أثناء حديثه عن دلالة المفرد على العموم عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكُمْ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فقال: "ودلالة الجمع أظهر في العموم من الواحد، سواء كانت فيه الألف واللام أم الإضافة، بل لا يذهب إلى العموم في الواحد إلا بقرينة لفظية، كأن يستثنى منه، أو يوصف بالجمع، نحو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢) إِلَّا الَّذِينَ

١ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤٣/٢١.

٢ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧٨/١٤.

٣ - ينظر: التفسير البسيط، الواحدي: ٥١٨/١٢، ٤٢٥/١٦.

٤ - ينظر: المصدر نفسه: ١٧/٢٠، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/١٩-١٣.

٥ - مفاتيح الغيب: ١١٣/١٩.

﴿أَمْنُوا﴾ [العصر: ٢-٣] و: أهلك الناس الدينار الصَّفْرُ والدِّراهمُ البيض، أو قرينة معنوية نحو: نية المؤمن أبلغ من عمله^(١).

أما في تفسير أبي السُّعود فقد وردت مادة (قرن) ومشتقاتها اللُّغوية في أكثر من موضع^(٢)، إذ جاءت كلمة (قرينة) أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فقال: "خليفةً مفعولٌ ثانٍ والظرف متعلقٌ بجاعلٍ قُدِّمَ على المفعول الصريح لما مرَّ من التشويق إلى ما آخر، أو بمحذوفٍ وقع حالاً ممَّا بعده لكونه نكرة، وأمَّا المفعول الأولُ فمحذوفٌ تعويلاً على القرينة الدالة عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾^(٣)، حُذِفَ فيه المفعول الأول وهو ضمير الأموالِ لدلالة الحالِ عليه وكذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا﴾^(٤)، حيث حُذِفَ فيه المفعول الأول لدلالة يبخلون عليه أي لا يحسبنَّ البخلاء بخَلَمهم هو خيراً لهم ولا ريب في تحقيق القرينة ههنا^(٥).

وذكر - أبو السُّعود - قرينة المقام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٣]، فقال: "ما موصولةٌ أو موصوفةٌ ما بعدها صلتها أو صفتها أو أُوتِرت على مَنْ ذهاباً إلى الوصف وإيذاناً بأنَّه المقصودُ بالذات والغالبُ في الاعتبار لا بناءً على أَنَّ الإناثَ من العقلاء يجرين مَجْرَى غيرِ العقلاء لإخلاله بمقام التَّريغيبِ فيهن... والمرادُ بهن غيرُ اليتامى بشهادة قرينة المقام أي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الأجنيات وفي إثارة الأمرِ بنكاحهن على النهي

١ - البحر المحيط: ١٠٨/٦.

٢ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨١/١، ٧٤، ١٤١/٢، ٦١/٥، ١٦٨، ٢٧٧، ٢٠٦/٦، ٢٢٧/٧، ٤١/٨، ٤٧، ١٣٠، ١٣١، ١٦٩، ١٧٣/٩.

٣ - النساء: ٥.

٤ - آل عمران: ١٨٠.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٨١/١.

عن نكاح اليتامى مع أنه المقصود بالذات مزيد لطف في استئزالهم عن ذلك" (١)، وأشار إلى قرينة المقال في مواطن متعددة في تفسيره سنشير إليها لاحقاً إن شاء الله.
ج- القرينة عند علماء اللغة والنحو:

اتّخذت القرينة مكانة بارزة في الدرس اللغوي، إذ تُعدّ الوصلة الأساسية بين اللفظ والمعنى، وقُسمت على على قسمين: قرائن لفظية تتعلق بالتغيرات في التراكيب الصوتية والصرفية والنحوية، وقرائن معنوية توضح دلالة التركيب، وقد كانت القرينة موضوع اهتمام اللغويين منذ القدم وإلى الآن، وقد استعمل مصطلح (القرينة) بمعنى (الدليل)، كما هو واضح في رؤية سيبويه للزمن، قائلاً: "ويتعدى - يعني الفعل - إلى الزمان نحو قولك ذهب لأنه بُني لما مضى منه وما لم يمض، فإذا قال ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان، ففيه بيان ما مضى وما لم يمض منه، كما أن فيه استدلالاً على وقوع الحدث" (٢)، فكلّ من الصيغة والحرف يعدّان قرينة على زمان وقوع الحدث، فالاستدلال على زمان الفعل الماضي (ذهب) يكون بقرينة الصيغة (فعل)، على حين يكون الاستدلال على زمان الفعل المستقبل (سيفعل) بقرينة لفظية هي السين الداخلة على الفعل المضارع، "وهذا يعني أن الدليل عند سيبويه، يقوم مقام القرينة؛ لأنهما يشتركان في المعنى الاصطلاحي، وهو الدلالة على المراد" (٣).

واستعمل سيبويه مصطلح (الآية) عوضاً من (القرينة) أثناء حديثه عن ظاهرة حذف المبتدأ اعتماداً على دلالة الخبر، فقال: "إنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربّي، ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله" (٤).
أمّا القرينة عند المبرّد (ت ٢٨٥هـ) فتعني الرّابط بين تراكيب الجمل والعبارات، فقال: "فإنّ اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئاً، وإذا قرنتها بما يصلح حدث

١ - إرشاد العقل السليم: ١٤١/٢.

٢ - الكتاب: ٣٥/١، وأثر القرائن في توجيه المعنى في البحر المحيط (أطروحة دكتوراه): ٧.

٣ - القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه: ١٦.

٤ - الكتاب: ١٢٠/٢.

معنى" (١)، معنى ذلك أنّ اللفظة بمفردها لا توفر لنا فائدة، وعندما نقوم بتضمينها في سياق يتكون من كلمات أخرى يظهر لنا المعنى ويجري فهمه.

وقد استعمل ابن جني(ت٣٩٢هـ) مصطلح(القرينة) في خصائصه وهو يتحدث عن دلالة(أو) على معنى الإباحة؛ لوجود قرينة حالية تدلّ عليه، فقال: "فمن ذلك قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين ولو جالسا لكان مصيباً مطيعاً لا مخالفاً وإن كانت(أو) إنما هي في أصل وضعها لأحد الشئيين، وإنما جاز ذلك في هذا الموضع لا لشيء رجع إلى نفس(أو) بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى (أو)" (٢)، وأشار إلى القرينة بمصطلح الدلالة، وأفرد باباً بعنوان(باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية)، وقسم الدلالة على أساس القوة والضعف على ثلاث مراتب، قائلاً: "فأقواهنّ الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية... ألا ترى إلى (قام) ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه" (٣).

ومن القدماء الذين كرّسوا جهودهم للاهتمام بالقرائن عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، إذ يعدّ من العلماء الذين اهتموا بهذا المجال، وهو صاحب مصطلح التعليق الذي عبّر عنه بقوله: "معلوم أنّ ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض" (٤)، فلا نظم في الكلم حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، ومعنى هذا أنّ تعدد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل، أو معمولاً له، أو تعدد لاسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو صفة، أو حالاً، أو تمييزاً... وعلى هذا القياس، فاللفظة لا دلالة لها ولا أهميّة لها خارج النظم، بل لها ترتيب معين في الكلام، وتتعلّق بما قبلها، وما بعدها بوشائج لفظية ومعنوية أطلق عليها مصطلح التعليق (٥).

١ - المقتضب، المبرد: ١٢٦/٤، وينظر: القرينة في اللغة العربية: ٢٠.

٢ - الخصائص: ٣٤٩/١.

٣ - المصدر نفسه: ١٠٠/٣.

٤ - دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٥٥.

٥ - ينظر: القرينة في اللغة العربية: ٢٥.

وممن ذكر مصطلح القرينة الرّضي(ت ٦٨٦هـ) في شرحه على الكافية، فقال: " (ما زال) وأخواتها، موضوعة لاستمرار مضمون أخبارها في الماضي إلا أن تمنع قرينة"^(١)، وقوله: "واعلم أنه إذا تقدّم ما يصلح للتفسير شيئا فصاعداً، فالمفسّر هو الأقرب لا غير، نحو: جاءني زيدٌ وبكرٌ فضرْبُهُ"، أي: (ضربتُ بكرًا)، ويجوز مع القرينة أن يكون للأبعد، نحو: جاءني عالمٌ وجاهلٌ فأكرمْتُه"^(٢).

وقد ورد هذا المصطلح عند ابن هشام(ت ٧٦١هـ) في أثناء حديثه عن خبر المبتدأ بعد(لولا) بأنّ الخبر إذا كان كونا مقيداً كالقيام والقعود فيجب ذكره إن لم يكن يعلم، فيقول: "وأما لولا قومك حديثو عهد فلعلّه ممّا يروى بالمعنى وعن الكسائي في إجازته الجزم بأنّه يقدر الشرط مثبتاً مدلولاً عليه بالمعنى لا باللفظ ترجيحاً للقرينة المعنويّة على القرينة اللفظيّة وهذا وجه حسن إذا كان المعنى مفهوماً"^(٣)، وذكر في موضع آخر أنّه يجب تأخير المفعول في نحو: "ضرب موسى عيسى، لانتفاء الدّالة على فاعلية أحدهما ومفعولية الآخر فلو وجدت قرينة معنويّة، نحو: أرضعت الصّغرى الكبرى، وأكل الكمثرى موسى، أو لفظيّة كقولك: ضربت موسى سلمى"^(٤).

وعليه يُظهر البحث أنّ مصطلح القرينة كان حاضراً في كتب التّراث اللّغوي، وكذلك استعمله علماء البلاغة والأصول في توضيح العلاقات بين الكلمات داخل التّركيب اللّغوي بمصطلحات قريبة إلى معناها مثل: الآية، والإمارة، والرّبط، والتّعليق، أو التصريح بلفظه.

٣- القرينة عند اللّغويين المُحدّثين:

حظيت القرينة بعناية فائقة من لدن اللّغويين المُحدّثين في توصيف مفهومها، وبيان وظيفتها، وبين الأستاذ عباس حسن أنواعها بقولين، أحدهما عام في سلوكها الوظيفي النّحوي والدّلالي، إذ يقول: "القرينة هي العلامة التي تدلّ على المعنى المراد، وتوجه إليه، وتزيل عنه الغموض واللّبس، فإن كانت لفظاً سُمّيت: (لفظيّة)،

١ - شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترأبادي: ٤٤/٢.

٢ - المصدر نفسه: ٤٠٤/٢.

٣ - مغني اللبيب، ابن هشام: ٧٨٩.

٤ - شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام: ١٨٥-١٨٦.

وإن كانت غير لفظ سُمِّيت: (معنويّة أو عقليّة)...^(١)، ويقول في موطن آخر مساوياً
إيّاه بالدليل "ويريدون بالدليل القرينة الحسيّة (ومنها اللفظيّة)، أو العقليّة (المعنويّة)
التي تُرشد إلى لفظ المحذوف ومعناه؛ وإلى مكانه في جملة" ^(٢).

ويوافق الأستاذ محمّد صلاح الدّين الشّريف هذا المفهوم للقرينة، ويذكره في
سياقين: عام بمعنى: الدّليل، وخاص بمعنى: الاستناد إليه في البحث النّحوي، فيقول:
"فهي [أي: القرينة] كثيراً ما تستعمل بمعنى الدّليل أو المستند عليه في الدّليل، وإذا
استُعملت في السّياق النّحويّ، صارت تدلّ على المستندات والعلامات والأدلة
المعنويّة واللفظيّة التي يُعتمد عليها لفهم الكلام..." ^(٣).

ويرى الدّكتور فخر الدّين قباوة أنّ القرينة قد تلتبس بالدّليل، فهي تفرّق عنه،
محتجّاً ببعض من معانيها المعجميّة المصاحبة لها، فيقول: "وهي في الاصطلاح ما
يشير إلى المقصود، من لاحق الأمر أو ضمنه أو سابقه، مفيداً خصوص
المقصود" ^(٤).

أمّا الدّكتور تَمّام حَسّان فقد كرّس اهتماماً بارزاً لهذا المصطلح، حتى أصبحت
شهريته ترتبط بشكل وثيق في أذهان المعاصرين بكتابه المشهور (اللّغة العربيّة معناها
ومبناها)، إذ نقل آراء متنوعة وأفكاراً متفرقة ببراعة جعلها نقطة انطلاق لآرائه
الشّخصيّة وتطويرها، مفيداً من دراسته لكتب التّراث العربي، والدّراسات اللّغويّة الغربيّة
الحديثة، ممّا يمثّل بالفعل تجديداً أصيلاً وتطويراً حقيقياً، وبنى فكرته على أنّه لم
يعتمد إلّا على اجتهاده الخاص، وفي ضوء تكوينه الشّخصي، في ظل أفكار
النّحويون العرب وما تعلّمه من الدّراسات الحديثة ^(٥).

١ - النحو الوافي: ٤٠٤/١.

٢ - المصدر نفسه: ٤٠٤/١.

٣ - النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة (بحث)، محمد صلاح الدين الشريف، حوليات الجامعة
التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (١٧)، ١٩٧٩م: ٢١٧.

٤ - التحليل النحوي أصوله وأدلته: ١١٧.

٥ - ينظر: مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان: ٧٩/١.

وقد بنى الدكتور تمام حسان فكرته على أنه "كلّ منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر أنّه يعني أولاً وآخرًا بالإجابة عن (كيف) تتمّ هذه الظاهرة أو تلك، فإذا تعدّى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن (لماذا) تتمّ هذه الظاهرة أو تلك، لم يعدّ هذا منهجًا علميًا، بل لا مفرّ من وصفه بالحدس والتّخمين"^(١)، لذا لا يعنيه السؤال عن (لماذا)؛ لأنّه يُفقد تميزه بوصفه منهجًا علميًا ويعدها أكثر وصفًا بالحدس والتّخمين، وفي سبيل هذه الفكرة عرض الدكتور تمام حسان بيتًا شعريًا لا معنى لكلماته من الناحية المعجميّة، ولكنها مصوغة على شروط اللّغة العربيّة، مثلًا:

قاصّ التّجنيّ شحاله بتريسه ال فاضي فلم يسنّف بطاسية البرن

جاء هذا البيت الشعري وفقًا للشروط التي حدّدها، بما يتضمّن حروف العربيّة وإدغام ما يتشابه منها بأسلوب عربي، مع الالتزام بمباني الصّرف العربيّة في التقسيم والتّصريف والقرائن، والحرص على مظهر العلامات النّحويّة، ولكن بدون مراعاة للاعتبارات المعجميّة، ممّا يجعل النسق النّطقي جملة غير عربيّة^(٢)، وذكر أنّه يمكن إعراب البيت الشعري فنقول: قاص: فعل ماضٍ مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والتّجني: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضّمة الظّاهرة، وشحاله: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة، والهاء: مضاف إليه مبني على الضّم في محل جر، وتريس: اسم مجرور بالياء وعلامة جره الكسر.

وهكذا حتى ينتهي من إعراب البيت، وذكر أنّ الصّلة وثيقة بين الإعراب والمعنى الوظيفي؛ إذ كان الإعراب الكامل معتمدًا على أثر التّحليل اللّغويّ، أو ما أسماه بالمعنى الوظيفي؛ لأنّه هو الذي يحدّد الفهم صوتيًا من حيث إنّ الحروف مقابل استبدالها، وصرفيًا من حيث إنّ المبنى إطار شكلي يتحقّق بالعلامة^(٣).

وقد أقام الدكتور تمام حسان منهجه على فكرة التّعليق النّحويّ وهي الفكرة المركزيّة في النّحو العربي التي استلهمها من الجرجاني، وجعلها محورًا في تفسير العلاقات النّحويّة التي تعتمد على القرائن المعنويّة واللفظيّة لتوضيح المبنى النّحويّ،

^١ - اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان: ٥٠.

^٢ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٢-١٨٣.

^٣ - ينظر: المرجع نفسه: ١٨٣-١٨٤.

وكان هذا وحده كافياً للقضاء على خرافة العامل النحوي والعوامل النحوية؛ لأنّ التحليل اللغوي للأبواب يعتمد على التعليق الذي يوضح معانيها ويشرح العلاقات بينها بدقة في ضوء القرائن، ممّا يُسهم في تحديد معانيها الوظيفية النحوية بشكل أوفى وأفضل، ووضح مفهوم التعليق عند الجرجاني بأنّه إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ويرى أنّه ينبغي أن نتصدى للتعليق تحت عنوانين أحدهما: العلاقات السياقية، والثاني: (القرائن اللفظية)، فالعلاقات السياقية هي التي تربط بين الأبواب وهي (قرائن معنوية)، فالعنوانان المذكوران جميعاً يدرسان القرائن من الناحيتين المعنوية واللفظية وهنا مناط التعليق^(١).

وانطلق تمام حسان من مفهوم التعليق عند الجرجاني، فرأى أنّ الاتكال على الحركة الإعرابية وحدها في الدلالة على العمل النحوي وما يحمله التركيب من معانٍ فيه مبالغة وعدم التّمحيص، فقال: "الحركات بمفردها قاصرة عن تفسير المعاني النحوية... كان الاتكال على العلامة الإعرابية باعتبارها كبرى الدوال على المعنى ثم إعطاؤها من الاهتمام ما دعا النّحاة إلى أن يبنوا نحوهم كلّها عليها عملاً يتّسم بالكثير من المبالغة وعدم التّمحيص"^(٢)، فالعلامات الإعرابية قاصرة عن تفسير الظواهر النحوية، وكشف معاني التراكيب اللغوية المختلفة، بل هناك قرائن توزع اهتمامها بالقسطاس بين قرائن التعليق النحوي (المعنوية واللفظية) ولا تمنح للعلامة الإعرابية اهتماماً أكبر من غيرها، فالقرائن كلّها مسؤولة عن أمن اللبس، وعن وضوح المعنى، ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما، بل تجتمع القرائن متضافرة لتدلّ على المعنى النحوي وتنتجه^(٣)، فالقرائن هي التي تُسهم في فهم النصّ، إذ يتوقّف هذا الفهم على العمليات الحسية والعقلية للمخاطب لكي يصل إلى المعنى المقصود.

ويتضح لي أنّ الدكتور تمام حسان وضع نظريته في القرائن بناء على محتوى كتب التراث العربي وآراء الباحثين المُحدثين، مؤكّداً أنّ فهم هذه القرائن يكفي لتفكيك

^١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٩.

^٢ - المرجع نفسه: ٢٣١-٢٣٢.

^٣ - ينظر: المرجع نفسه: ٢٣٢.

خرافة العامل النحوي في التراكيب اللغوية، وأفاد أيضًا من أفكار عبد القاهر الجرجاني، وقد اتبع - تمام - الكثير من الباحثين المعاصرين في مجاله، من الذين دخلوا في نطاق اهتماماته، ولكن دون زيادة أفكار جديدة.

٤ - أنواع القرائن:

القرائن بمختلف أشكالها، تشكّل دلائل تقيد في الكشف عن الغاية المرادة وتوضيحها، فإذا كانت القرينة ماديّة، فهي تشير إلى حقيقة الموضوع المراد، وإذا كانت عقلية، يمكن أن تكون ذهنيّة فيفهم السّامع المعنى في ضوء الإدراك العقلي المشترك بينه وبين المتكلّم، أو منطقيّة عقلية حيث يجري التعرّف على الهدف عن طريق القياس والاستدلال والبرهان، وبها يمكن الوصول إلى القصد^(١).

وتقسم القرائن عند علماء العربيّة على ثلاثة أنواع^(٢): قرينة لفظيّة، وقرينة معنويّة، وقرينة حاليّة، فالقرينتان الأولى والثانية تؤخذان من المقال، أما قرينة الحال فتؤخذ من المقام، وكانت تلك الأنواع أنفسها معروفة عند علماء الأصول، ولكنهم فصلوا في دراستهم القرائن وتوسعوا فيها؛ نظرًا لطبيعة بحثهم وما يتطلبه منهجهم، فقاموا بتحديد ما يمكن تخصيصه من الدّلالة عند الحديث عن اللفظ العلم، فكانت القرائن عندهم على قسمين :

١ - قرائن لفظيّة: تسمّى في علم اللّغة الحديث (السّياق اللّغوي) الذي يُسهم في الكشف عن المعنى.

٢ - قرائن غير لفظيّة: تشمل كلّ العوامل المتعلّقة بالحدث الكلامي، والظّروف المحيطة به، فتدرج ضمن سياق الحال والمقام.

وتقسم القرائن اللفظيّة على قسمين: قرائن متصلة وقرائن منفصلة^(٣).

١ - ينظر: المستصفي من علم الأصول: ٣٣٩/١، والقرينة وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه: ١٨-١٩.

٢ - ينظر: دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر: ٩٢/١، وعلم الدلالة التطبيقي، الدكتور هادي نهر: ٣٥، دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، بتول قاسم ناصر: ٤٤-٤٦.

٣ - ينظر: دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر: ٩٢/١، وعلم الدلالة التطبيقي، الدكتور هادي نهر: ٣٥، دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، بتول قاسم ناصر: ٤٤-٤٦.

أما القرائن غير اللفظية، فهي كلّ ما يتصل بالحدث الكلامي، وما يلابسه من ظروف، فهي تشبه إلى حدّ كبير ما أشار إليه فيرث عند حديثه عن السياق الثقافي والاجتماعي^(١).

أما اللغويون المُحدّثون فلم يخرجوا عن هذا التقسيم، ومن بينهم الدكتور فاضل السامرائي فقد ذكر أنّ العلماء قسّموا القرائن إلى حالية ومقالية، أو لفظية أو معنوية، إلّا أنّه فصل في ذكر أنواع القرائن، فقد قسّم القرائن على الأنواع الآتية^(٢): (القرينة اللفظية، والقرينة العقلية، والقرينة المعنوية، والقرينة الحالية، والسياق والمقام، والنغمة الصوتية، والقرينة العلمية، والوقف والابتداء، وقرينة الفهم العام لأهل اللغة، والقرينة الحسية).

أما الدكتور علي جابر المنصوري فقد قام بتقسيم القرائن في أثناء حديثه عن الدلالة الزمنية في الجملة العربية على ثلاثة أقسام^(٣):

١- القرينة التاريخية: وهي ذات أهمية كبيرة في الدلالة على الماضي، فهي تحدّد الأعمّ الأغلب زمن الماضي، فحينما أقول: مثلاً قد كتب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ملك الروم كتاباً، فالتاريخ يتدخّل ليحدّد زمن هذا الماضي؛ لأنّ تحديد الزمن في سياق الجملة بالتاريخ يكون أقوى من القرائن اللفظية.

٢- القرائن المعنوية: هي التي تدلّ عليها الأبواب النحوية التي يحتويها السياق، فالبناء الصرفي الواحد للكلمة، يفيد معاني كثيرة، وتسمّى هذه الظاهرة (تعدّد المعنى الوظيفي للبناء الواحد).

٣- القرائن اللفظية: مثل النواسخ، والأفعال التامة المتصرفة، والظروف، وغير ذلك. ولعلّ أهم تقسيم للقرائن وأكثره تفصيلاً هو ما ذهب إليه تمام حسان، حين رأى أنّ أخطر شيء تكلم فيه الجرجاني كان التعليق، فهو الجوهر الذي يقوم على إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية باستعمال القرائن اللفظية والمعنوية، والحالية^(٤).

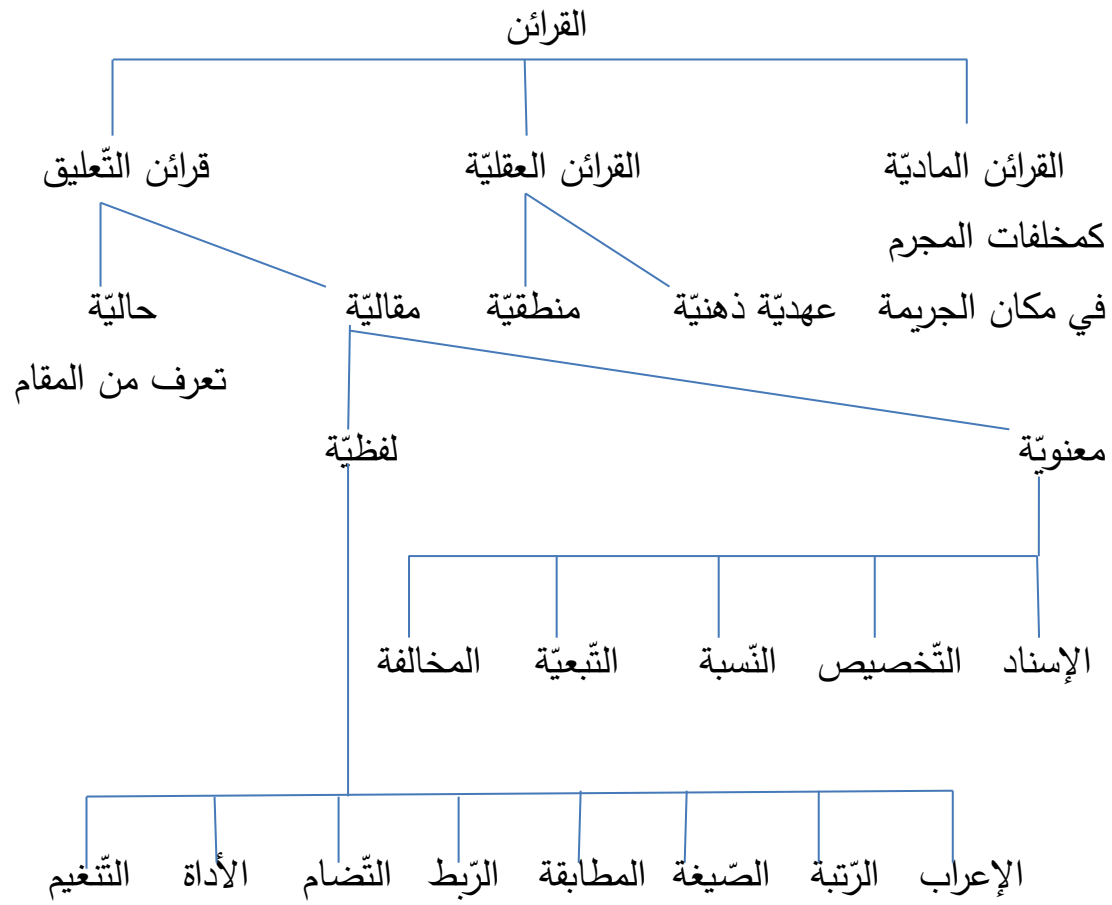
^١ - ينظر: علم الدلالة التطبيقي: ٣٥، وعلم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية، الدكتور فريد عوض:

١٠٠، وأثر القرائن في توجيه المعنى في البحر المحيط (أطروحة دكتوراه): ١٢.

^٢ - ينظر: الجملة العربية والمعنى: ٦١-٦٨.

^٣ - ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د. علي جابر المنصوري: ٥٤-٦٢.

ويبدو أنّ القرائن اللفظيّة والمعنويّة هي التي تنظم العلاقات بين المعاني النحويّة، لذلك أولاها - تمام حان - اهتمامًا خاصًا، وقسم القرائن على هذا النحو^(٢):



والذي يهمّ اللغوي من هذه القرائن هو قرائن التعلّيق التي تعدّ الإطار المرجعي الصّوري لتحليل النّحويّ الذي يسمّيه النحويون بـ(الإعراب)^(٣).

والقرائن المستتبطة من المقال، أو سياق الموقف(الحال) بحسب التقسيم الذي وضعه تمام حسان على قسمين^(٤):

^١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٨-١٨٩.

^٢ - ينظر: المرجع نفسه: ١٩٠.

^٣ - ينظر: المرجع نفسه: ١٨٩.

^٤ - ينظر: المرجع نفسه: ١٩٠-٢٢٦.

١- القرائن المستنبطة من المقال: وهي على قسمين:

أ- القرائن المعنوية:

تتمثل القرائن المعنوية في العلاقة التي تربط بين عناصر الجملة، وهذه العلاقة تقيد في تحديد المعنى النحوي، نحو: الفاعل، والمبتدأ، والخبر، والمفعول به، والمنصوبات، أي دراسة العلاقات التي تربط أجزاء الكلام، وتنقسم القرائن النحوية وفقاً لهذه العلاقات على أربع قرائن، هي: (قرينة الإسناد، قرينة التخصيص، قرينة النسبة، قرينة التبعية، المخالفة)

ب- القرائن اللفظية:

وهي طائفة من القرائن السياقية التي يُستدل بها في تحليل المعنى النحوي، وتعدّ من قرائن فهم القرائن المعنوية التي تقيد في إيضاح دلالات التركيب المعنوية، والقرائن اللفظية في سياق الكلام وهذه القرائن هي: (العلامة الإعرابية، والرتبة، ومبنى الصيغة، والمطابقة، والربط، والتضام، والأداة، والتنغيم).

٢- القرائن الحالية: وهي القرائن المستنبطة من ظروف أداء المقال خارج النصّ اللغوي والتي تسمّى بالمقام^(١).

وهذا النوع من القرائن ذو أثر كبير في توجيه المعنى، فتعمل قرينة الحال بالتعاون مع قرائن أخرى على توجيه الانتباه نحو تفسير الوضع العام، وتحديد المحتمل، وتقييد المطلق، وضمان عدم احتمال ما لا يُراد، وتحديد الدلالة المتنوعة، وهي من أقوى القرائن التي تشير صوب نية المتكلم^(٢)، وقد اعتمدت على التقسيم الذي قرّره تمام حسان القرائن؛ لكونه التقسيم المعتمد لدى غالبية الباحثين، والاكثَر رواجاً في الدراسات اللغوية.

ودرس الدكتور تمام حسان هدف دراسة النحو، الذي يتلخّص في فهم العلاقات اللفظية والمعنوية لفهم النصّ، فرأى أنّ النّظر إلى هذه العلاقات يجري بشكل أفضل في ضوء القرائن اللفظية والمعنوية، وأدرك أنّ المعرب قد يجد نسبياً سهلاً في كشف دلالة القرائن اللفظية، ولكنّه يواجه صعوبة في فهم القرائن المعنوية، ولا سيّما عندما

^١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٩.

^٢ - ينظر: بدائع الفوائد: ٩/٤، والقرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه: ٢٠.

يعتمد المعنى على إدراكها، ففي هذه الحالة يكون الرجوع إلى القرينة الكبرى المقام أو السياق واجباً لتحديد المعنى بدقة^(١).

٥ - ظاهرة تضافر القرائن:

تعني ظاهرة تضافر القرائن اجتماع قرائن نحوية متعددة لفهم المعنى النحوي لكلمة معينة في سياق معين؛ ذلك لأنه "لا يمكن لظاهرة واحدة أن تدلّ بمفردها على معنى بعينه، ولو حدث ذلك لكان عدد القرائن بعدد المعاني النحوية، وهو أمر يتنافى مع مبدأ عام آخر هو تعدّد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد"^(٢)، فالمعنى لا يتحقّق إلاّ في ضوء قرائن متعدّدة تمنحها الأنظمة اللغوية كالنظام الصوتي والصرفي والنحوي، ولا يمكن لقرينة واحدة أن توصل إلى المعنى النحوي، فلا بدّ أن تتضافر معها قرائن أخرى^(٣)، ولا يمكن للتحليل الشكلي التعليمي أن يتجاوز أو يتخلّى عن الشبكة من العلاقات السياقية، فكلّ علاقة في هذه الشبكة تحمل معنى مهماً، وعندما تكون واضحة في سياق مقام القرينة المعنوية التي تُساعد في توضيح المعنى بشكل أكبر، وتعمل جنباً إلى جنب مع القرينة اللفظية في توضيح المعنى^(٤).

وقد حاول الدكتور تمام حسان أن يرسم معالم نظرية القرائن عن طريق بيان أهميّة القرائن وتضافرها لبيان المعنى النحوي، مزوداً بالمعرفة التي منحها له أستاذه (فيرث)، الذي أقام نظريته على فكرة السياق، إلاّ أنّه توسّع في معالجتها بحيث كونت نظرية متكاملة، وأصبحت أساس المدرسة اللغوية الاجتماعية، فقد عالج هذا العالم الظروف اللغوية جميعها لتحديد المعنى، ومن ثم حاول إثبات صدق المقولة بأنّ (المعنى وظيفته السياق)، واستطاع تلميذه تمام حسان بذلك اللغوي أن يربط بين هذه النظرية (نظرية السياق) عند (فيرث) والتعليق النحوي عند عبد القاهر الجرجاني، فيما يسمّى بسياق (الحال) والسياق اللغوي (المقال)، وانتهى هذا التأثير عنده بالمنهج

^١ - ينظر: القرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابين التقديرى والمحلي (بحث): ٣٨-٣٩.

^٢ - اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٣-١٩٤.

^٣ - ينظر: أثر القرائن في توجيه المعنى في البحر المحيط (أطروحة دكتوراه): ٩.

^٤ - ينظر: اجتهادات لغوية، تمام حسان: ٩٠.

الوصفيّ الوظيفيّ، الذي تبناه، وبنى عليه فكرة القرائن بعد قراءة ما كتبه عبد القاهر الجرجاني وفكرة التعليق النحوي عنده^(١).

فالتحليل النحويّ لا يستعين بقرينة واحدة مهما كان خطرهما، وإنّما تتعاون القرائن المختلفة على إيضاح المعنى وبيانها، فالفاعل لا يكون فاعلاً؛ لأنّه مرفوع فقط، وإنّما هو كذلك لأنّه:

- ١- اسم قرينة البنية
- ٢- مرفوع قرينة العلامة الإعرابية
- ٣- تقدمه فعل قرينة الرتبة
- ٤- الفعل مبني للمعلوم قرينة البنية مرة أخرى
- ٥- أسند إليه القيام بالفعل أو الاتصاف به قرينة الإسناد

فالقرائن المتقدّمة قرائن لفظيّة عدا القرينة الأخيرة فهي قرينة معنويّة، وقد تميّز النحويون القدماء ادراكهم القرائن اللفظيّة والمعنويّة المتضافرة الموجودة في الفاعل أو وجود مثلها في المبتدأ أو وجود غيرها في الحال، ممّا يظهر أهميّة استعمال قرائن عدّة لفهم المعاني النحويّة، وهذه القرائن تشكّل الأساس لوضع شروط وقيود لكلّ باب نحوي، ممّا يوضح تفهمهم العميق لتلك القواعد اللّغويّة^(٢).

^١ - ينظر: نظرية القرائن في التحليل اللغوي (بحث): ٢٨٧-٢٨٨.

^٢ - ينظر: مقالات في اللغة والأدب: ٢٦٠/١-٢٦١، والمعنى وظلال المعنى، ٣٥١-٣٢٥.

الفصلُ الأولُ

أثر القرائن الصَّوتِيَّةِ والصَّرْفِيَّةِ في توجيه المعنى

المبحث الأول: القرائن الصَّوتِيَّة

أولاً : قرينة الوقف

ثانياً : قرينة التَّنْغيم

المبحث الثاني: القرائن الصَّرْفِيَّة

أولاً: قرينة الصِّيْغة

ثانياً : قرينة المطابقة

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

المبحث الأول

القرائن الصوتية

توطئة:

تمثل القرينة الصوتية جزءاً أساسياً من جوانب اللغة، إذ تعدُّ الوسيلة التي يستعملها المتكلم للتعبير عن المعاني التي تدور في ذهنه، ولعلَّ أول ما وصل إلينا من كتب التراث العربي هو كتاب العين الذي أكد على العلاقة بين الصوت ومعناه، قال الخليل: "كانَّهم توهَّموا في صوت الجُنْدُب استطالةً ومداً فقالوا: صرَّ، وتوهَّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرَّصر" (١).

وقد أسهم التشكيل الصوتي في تحديد المعنى، والذي يعرف بالدلالة الصوتية "تلك الدلالة المستمدة من طبيعة بعض الأصوات، فإذا حدث إبدال - أو إحلال - صوت منها في كلمة بصوت آخر، في كلمة أخرى، أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كلٍّ منهما عن الأخرى" (٢)، وعقد ابن جني باباً خاصاً بالدراسة الصوتية سمَّاه (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، وقد عرض أمثلة لهذه الدلالة، منها الفرق الدلالي لاستبدال الحرف في الكلمة الواحدة، مثل الخضم والقضم، فالأول لأكل الرطب كالبطيخ، والثاني للصلب اليابس؛ وذلك لاختلاف الدلالة بين صوت الخاء فهو صوت احتكاكي رخو يتناسب مع الشيء الرطب، الذي يسهل أكله، وصوت القاف هو صوت انفجاري، يتناسب مع أكل اليابس الذي يصعب قطعه، وكذلك الفرق الدلالي بين النَّضح والنَّضح، والفرح والتَّرح، وغير ذلك من الأمثلة (٣).

وأما علم اللغة الحديث فكان يدرس المسائل الصوتية من علم الأصوات ضمن فرعين رئيسيين (٤):

١- العين: ٥٦/١.

٢- علم الدلالة، د. فريد عوض: ٣٠.

٣- ينظر: الخصائص: ١٥٤/٢، وما بعدها، وعلم الدلالة: ٣١، وإشكالية المعنى في الجهد التفسيري دراسة في ضوء مستويات اللغة (تفسيراً وتأويلاً): ٢٦-٢٧.

٤- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: ٦٥-٦٨، وعلم اللغة العام (الأصوات)، كمال بشر: ٢٨-٢٩، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٧، ومناهج البحث في اللغة: ١١١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

الأول: علم الأصوات العام (phonetics)، الذي يدرس الأصوات من حيث كونها أحداثًا منطوقة بالفعل لها تأثير سمعي معين وهو لا ينظر إلى قيمة الصوت أو معناه في اللغة المعينة إذ يعنى بالمادة الصوتية شرحًا وتحليلًا.

والثاني: علم الأصوات الوظيفي (Phonology)، الذي يسميه بعض الدارسين علم التشكيل الصوتي، أو علم الأصوات التنظيمي، أو علم وظائف الأصوات اعتمادًا على أنه يدرس الأصوات من ناحية سلوكها في مواقعها، أو على أساس أنه يعنى بتنظيم المادة الصوتية واخضاعها للتقنين والتفصيل.

وهذا يعني أن علم الأصوات العام بملاحظاته الحسية يكون مقدّمة وتمهيدًا لعلم الأصوات الوظيفي الذي هو تخطيط عقلي لقواعد الأصوات^(١)، فعلم الأصوات الوظيفي يعنى بالاهتمام بتأثير الصوت اللغوي في تركيب الكلام في الجوانب الصرفية والنحوية، فيكشف دراسة الصوت عن مدى تأثير الأصوات بعضها في بعض عند تركيبها في الكلمات والجمل^(٢).

وتُشكل الأصوات المظهر المادي للغة، حيث تجتمع على نظام معين لتؤلف الكلمات في علم الصرف، ومن ثم تتجانس بينها لتشكيل التراكيب النحوية، فالنظام الصرفي لا يتشكل إلا من الأصوات، كما أن النظام النحوي لا يتخذ أي نوع من المباني إلا ما يقدمه النظام الصرفي^(٣)، فالصوت اللغوي هو عملية تمييزية بين التراكيب الدلالية والنحوية، وتحدّد المعنى المناسب في بعض مواضع اللغة.

وقد تنبّه أبو السُّعود إلى بعض الظواهر الصوتية، وبيّن أهميتها في الأداء الصوتي في توجيه المعنى لطائفة من الألفاظ القرآنية، وتحليلها صوتيًا وأثرهما في الدلالة العامة للتركيب بوصفها قرينة، ويمكن أن نتلمّس مظاهر القرينة الصوتية عنده في (الوقف)، و(التنغيم)، وهذه المظاهر هي التي قصدها الباحث بوصفها قرائن تُساعد في توجيه المعنى وتحديده.

^١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٥، ٤٧، ٦٧.

^٢ - ينظر: الأصوات اللغوية: ٧، وعلم الأصوات اللغوية، مناف الموسوي: ٢٦.

^٣ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٥.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

أولاً- قرينة الوقف:

يُعَدُّ الوقف أحد القرائن الصَوْتِيَّةِ المهمَّة في تحديد المعنى، فالوقف في اللُّغة: الحبس، أو المسك الذي يجعل للأيدي، والوقف: مصدر الفعل اللازم وَقَفَ، كقولك: وقفت الدابة ووقفت الكلمة وقفًا، ووقفتُ على ذنبه، أي أطلعتُه عليه، ووقفتُ الدار للمساكين وقفًا، والوقوف خلاف القعود أو الجلوس، وقف بالمكان وقفًا ووقوفًا، فهو واقف^(١).

أمَّا الوقف في الاصطلاح فهو عند القراء: "قطع الكلمة عمّا بعدها مقدارًا من الزَّمن مع التَّنفس وقصد العودة إلى القراءة في الحال، ويكون في آخر السَّورة، وفي آخر الآية، وفي أثنائها، ولا يكون وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسمًا"^(٢)، أي الوقف على الكلمة مدَّة من الزَّمن ثم العودة إليها، ويقال هو: "قطع النطق عند آخر الكلمة"^(٣)، فالوقف هو قطع القارئ صوته عند القراءة لأسباب مختلفة، كضيق النَّفس، أو لضمان فهم المعنى بشكل صحيح، ولا يصح الوقف على وسط الكلمة مطلقًا.

وللعلاقة الوثيقة بين الوقف والنَّحو؛ صار الوقف قرينة مهمَّة لها أثرها في فهم النَّصِّ وتوجيه معناه، بدليل قول أبي بكر الأنباري: "فمن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه"^(٤)، ومن ذلك أنَّ الكلمة تكون الكلمة بدلًا إذا كانت متصلة بما يليها، وقد تكون مبتدأ إذا فصلت، ممَّا يجعل الوقف يستدعي بداية جديدة وإعرابًا جديدًا؛ "لذلك نرى القراء يختلفون في تقدير الوقوف في نصٍّ ما، لأنَّ كلاً منهم قد يحاول في قراءته وجهًا ممَّا يختلف لأجله المعنى، يباين ما يحاوله الآخرون"^(٥)، ولذلك نجد أنَّ لكلِّ موضع في الوقف معنى يختلف عن الموضع

^{١-} ينظر: العين: ٢٢٣/٥ مادة(وقف)، وتاج اللغة وصاحح العربية: ١٤٤٠/٤ مادة(وقف)، ولسان العرب: ٣٥٩/٩ مادة(وقف).

^{٢-} العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسّة: ١٥٠.

^{٣-} جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: ١٢٥/٢.

^{٤-} إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر الأنباري، ١٠٨/١.

^{٥-} الوقف في العربية، محمد خليل مراد الحربي: ١٧٧.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

الآخر، وقد عبّر عنه أحد الباحثين بأنه باب في قواعد اللغة معروف، وخاصة من خواص الأداء النحوي والصوتي في العربية^(١).

وتعددت عبارات علماء العربية والدراسات القرآنية في بيان أهمية الوقف، مما يدل على إدراكهم لما يمثله من علو شأن لذلك قال فيه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) إنه "فنٌ جليلٌ، وبه يُعرف كيفية أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز من الوقوع في المشكلات"^(٢)، وقيل بأنه: "العلم الذي يرشد قارئ القرآن إلى مراعاة وقوفه حرصاً على اتساق المعنى وسلامة اللغة؛ ليعين بأدائه ذلك على تحقيق الغرض الذي من أجله يقرأ القرآن وهو (الفهم والإدراك)"^(٣).

وكذلك اهتم المُحدثون بالوقف وعبروا عن أهميته وأثره المتميز في فهم الكلام، وقد عبّر عنه الدكتور كمال بشر ذاكراً: "أنّ للتلوين الموسيقي للكلام المنطوق - متمثلاً في السكّنة والوقفة وما يصاحبهما من نغمات مختلفات - دوراً فاعلاً في تصنيف الجمل والعبارات، وتوجيه إعرابهما"^(٤).

وللوقف ألفاظ متقاربة منه في المعنى كالقطع والسكت، فالقطع يقصد به: "قطع الكلمة عمّا بعدها مقداراً طويلاً من الزمن مع التنّفس من دون قصد العودة إلى القراءة في الحال"^(٥)، وأمّا السكت فيعني به: "قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس"^(٦).

^١ - خواص صوتية تمتاز بها العربية (بحث)، كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، العدد (٧١)، ١٩٩٢م: ٤٢.

^٢ - البرهان في علوم القرآن: ٣٤٢/١.

^٣ - الوقف في العربية: ١٠.

^٤ - علم الأصوات، كمال بشر: ٥٦٤.

^٥ - العميد في علم التجويد: ١٥١.

^٦ - النشر في القراءات العشر: ٢٤١/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ولسلامة المعنى القرآني وعدم الوقوع في اللبس قسّم علماء القراءات الوقف على أربعة أقسام^(١) هي:

١- الوقف التّام: وهو ما يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لعدم تعلّق شيء بشيء، وذلك عند رؤوس الآي.

٢- الوقف الكافي: وهو يشبه التّام إلّا أنّه يختلف عن سابقه بأنّ له تعلّقاً بما قبله معنّى لا لفظاً.

٣- الوقف الحسن: وهو يحسن السّكوت عليه، إلّا أنّه يقبح الابتداء بالدليّة، لتعلّقه بما قبله باللفظ والمعنى.

٤- الوقف القبيح: وهذا النّوع من الوقف لا يبين معنى النّص منه، كما إذا وقفت على (بسم) أو (مالك) وغيرها، فهنا لا يتبين المراد من الكلام.

والتّقسيم على حسن وقبيح هو ما يرتبط بالصّحة النّحوية والدّلالية عند النّحويين^(٢)، فإذا كان مفهوم الوقف بهذه الصورة أمكن جعله قرينة لفظية يتحقّق به الغرض من الفهم والإدراك للنّص القرآني^(٣).

وإذا أدركت حقيقة الوقف بهذا المستوى فيمكن أن يمثل الوقف أثراً بارزاً في دقة التّحليل اللّغوي على المستويات كافّة، وعلى الأخصّ في حسابها عاملاً فاعلاً في تصنيف الجمل والعبارات إلى أجناسها النّحويّة المختلفة، وفي توجيه الإعراب^(٤).

ونستطيع القول: إنّ قرينة الوقف تعدّ دليلاً صوتياً تتعلّق بالنّحو ودلالات الكلام، ويوضح غرض المتكلّم وقصده، وتبيّن الفروق بين المعاني المختلفة عن طريق المستوى الصّوتي لضبط العلاقة بين ظاهر اللفظ ومضمون القصد... أي أنّ الوقف يؤدي وظيفة الفصل بين الجمل والعبارات؛ لبيان الفصل بين مدلولاتها^(٥).

^١ - ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء، أبو عمرو الداني: ٧-١٥، والنشر في القراءات العشر:

١/١٧٨، إشكالية المعنى في الجهد التفسيري: ٣١.

^٢ - ينظر: الكتاب: ٢٥/١-٢٦.

^٣ - ينظر: الوقف في العربية: ١٠.

^٤ - ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث: ٢٩٠.

^٥ - الوقف في العربية: ١٨، وينظر: إشكالية المعنى في الجهد التفسيري: ٣٧.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

فقرينة الوقف في هذا المجال قرينة كبرى أظهرت أثرها في النص القرآني من الجانب النحوي والدلالي، فبسلب هذه القرينة من النص يصير المعنى على غير ما تحتمل صحته، ولا سيما أن النص القرآني قد حمل في تركيبه ما يوحي إلى الاحتمال، وأقرب ما تنضوي تحت هذه الدراسة قرينة الوقف في توجيه المعنى للتركيب، وفي ذلك يمكن القول: إن إقحام الوقف في تحليل التعدد لا ينهض دليلاً لحل هذا التعدد، بل هو صورة أقرب لفهم هذا التحليل الإعرابي ففي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، قال أبو السعود: "وقوله عزّ وعلا ﴿الْكِتَابُ﴾ إمّا خبر له أو صفة، إمّا إذا كان خبراً له فالجملة على الوجه الأول مستأنفة مؤكّدة لما أفادته الجملة الأولى من نباهة شأن المسمّى، لا محلّ لها من الإعراب، وعلى الوجه الثاني في محلّ الرفع على أنّها خبرٌ للمبتدأ الأول... وقوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إمّا في محلّ الرفع على أنّه خبرٌ لذلك الكتاب... أو على أنّه خبرٌ ثانٍ لألف لام ميم أو (لذلك) على تقدير كون الكتاب خبره أو للمبتدأ المقدر آخرًا... وإمّا في محلّ النصب على الحالية من ذلك، أو من الكتاب، والعامل معنى الإشارة، وإمّا جملة مستأنفة لا محلّ لها من الإعراب مؤكّدة لما قبلها"^(١)، فقد توالى التحليلات الإعرابية في الآية بناءً على تنغيمات صوتية لتعزيز التعبير الصوتي وتسهيل فهم المعنى.

وتعددت التحليلات الإعرابية في هذه الآية على أكثر من توجيه، فمن ارتأى أن الوقف على (فيه)، جعل جملة (لا ريب فيه) من المبتدأ والخبر، أو تكون ريب اسم (لا) والخبر محذوف أو يكون خبرها هدى للمتقين^(٢)، فشبه الجملة في موضع خبر (لا)، أو وصف لـ (ريب) "والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلّبه عن الريب المفروض في الكتاب أو الخبر هو الظرف ومعناه سلّب الكون فيه عن الريب المطلق، وقد جعل الخبر المحذوف ظرفاً وجعل المذكور خبراً لما بعده"^(٣)،

١ - إرشاد العقل السليم: ٣٣/١ - ٣٤.

٢ - ينظر: الكشف: ٣٥/١ - ٣٦، والبحر المحيط: ٦١/١ - ٦٤، والدر المصون: ٨١/١ - ٨٢.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٣٤/١ - ٣٥.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

و(هَدَى) مبتدأ لخبر محذوف تقديره(هو هَدَى)^(١)، وحينئذ يكون الوقف على (لا ريب فيه) وقفًا تامًّا^(٢).

ومن ارتأى أنَّ الوقف على(لا ريب) جعل(هَدَى) مرفوعًا بـ(فيه)، أو مرفوعًا بالابتداء، و(فيه) خبر، سواء أضر خبر(لا) - الظرف العائد على الكتاب المحذوف لاتضاح المعنى وظهوره وللعلم به- أو لم يضره، والتقدير: لا ريب كائنٌ أو موجود، أو غير ذلك^(٣)، فعلى تقدير حذف خبر (لا) يكون الوقف على (لا ريب) كافيًا، وعدم تقدير يكون تامًّا، وهذا ما أشار إليه ابن الجزري بقوله: "وقد يكون الوقف تامًّا على تفسير أو إعراب ويكون غير تام على آخر"^(٤).

فمن جعل الوقف على(لا ريب) كأنه قال: ذلك الكتاب حقًا، أي أنَّ هذا الكتاب لا يعتريه ريب كونه من عند الله، ويصح الوقف هنا على أن يكون(لا ريب) خبرًا بمعنى النهي، أي لا ترتابوا^(٥)، والوقف على(فيه) هو مختار جمهور القراء والمشهور عندهم، ومن وقف على (فيه) كأنه نفى وقوع الريب في الكتاب أصلًا، وإثبات أنه منزل من الله تعالى، وأنه الهدى عينه لا أن فيه هدى^(٦).

بلحاظ ما تقدّم يتّضح للباحث أنَّ للوقف وظيفة كبرى في التحليل التّحويّ للكشف عن معنى النصّ القرآني؛ إذ لا يوقف على(لا ريب)؛ لأنّ جملة (لا ريب فيه) إخبار عن الكتاب إنّه(لا ريب فيه هدى للمتقين)، وقد يكون الوقف مقيدًا يشير إلى أنَّ الكتاب لا شك فيه هو هَدَى للمتقين، وقد رجّح أبو السعود الوقف على(فيه) فتكون

^١ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٥/١.

^٢ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١٣٠/١، والبحر المحيط: ٣٧/١، والدر المصون: ٨٧/١.

^٣ - ينظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب: ٧٤/١، وروح المعاني: ١١٠/٧، والدر المصون: ٨٤/١.

^٤ - النشر في القراءات العشر: ٢٢٧/١.

^٥ - ينظر: الدر المصون: ٩٠/١، وغاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري: ٣٣٠/٢، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، الهمداني: ١٨٤/١.

^٦ - ينظر: الكشف: ٣٥/١، ومفاتيح الغيب: ٣٧٩/١، والتحرير والتنوير: ٢٢٣/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

الدلالة - حينئذ - أنها جملة تامة، فيكون المعنى نفي الكون المطلق وخلوه من أي شكوك مفروضة في الكتاب.

ولقيت قرينة الوقف أهميّة كبيرة في توجيه المعنى وبيان مواقع الجمل الوظيفيّة في النصّ القرآني عند أبي السُّعود، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال أبو السعود إنّ جملة (وما يعلم تأويله): "حالٌ من ضمير ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾ بوصف العلة الأخيرة أي يتَّبِعُونَ المتشابه لابتغاء تأويله والحال أنّه مخصوصٌ به تعالى وبمن وقَّفه له من عباده الرّاسخين في العلم...ومن وقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ فسرّ المتشابه بما استأثر الله عزّ وعلا بعلمه كمدة بقاء الدّنيا ووقت قيام الساعة...﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي بالمتشابه، وعدمُ التعرُّض لإيمانهم بالمُحكم لظهوره، أو بالكتاب والجملة على الأول استئنافٌ موضحٌ لحال الرّاسخين أو حال منه وعلى الثّاني خبر لقوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾^(١)، فالوقف على (إِلَّا اللَّهُ) لتكون جملة (والرّاسخون...) مستأنفة، والوصل يجعل (الرّاسخين) معطوفاً على لفظ الجلالة (الله)، وبناءً على الوجه الأوّل تكون جملة (يقولون) في محلّ رفع خبراً لـ (الرّاسخون) ويكون من عطف الجمل، وعلى الثّاني تكون خبراً لمسند إليه محذوف، أو حالاً من (الرّاسخين) أي: قائلين، والمعنى على الوجه الأوّل أنّ المتشابه من القرآن لا يعلمه إلّا الله وحده، وعلى الوجه الثّاني يعلمه الله ومن خصه بزيادة في العلم حتى بلغ درجة الرّسوخ^(٢).

فالواو في (والرّاسخون) تتأرجح بين الوقف والاستئناف، والأشهر في القراءة أن يكون الوقف على لفظ الجلالة (الله) ثم الاستئناف؛ دفعا للتوهم؛ لأن الوصل يوهم أن (الرّاسخون في العلم) يشاركون الله سبحانه بعلم التّأويل، وذلك محصور بعلم الله

^١ - إرشاد العقل السليم: ١٢/٢.

^٢ - ينظر: معاني القرآن، الفراء: ١٩١/١، والبيان في غريب إعراب القرآن، الأنباري: ١٩٢/١، والبحر المحيط: ٢٨/٣-٣٠.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

تعالى من دون غيره من هنا عُدَّ الوقف على لفظ الجلالة (الله) وقفًا تامًّا برأي الأكثرية^(١).

والزَّاجح عند أبي السُّعُود وغيره من العلماء والمفسرين، هو الوجه الأول، فتكون جملة (يقولون) كلامًا مستأنفًا موضحًا لحال الراسخين بمعنى: هؤلاء العالمون بالتأويل (يقولون آمنًا به أي بالمتشابه)^(٢).

وواضح هنا أنَّ قرينة الوقف تتضافر معه قرينة التنغيم في طريقة النطق عند موضع الوقف، فعند النطق بلفظ الجلالة (الله) بنغمة هابطة مع الوقف، يدلّ على تمام الكلام، فيكون المعنى عدم معرفة الراسخين في العلم بتأويل المتشابه من القرآن، وأنَّ تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله وحده، ومن ثمَّ النطق بـ(والراسخون) بنغمة صاعدة تكون الجملة مستأنفة، أي عدم معرفة الراسخين في العلم بتأويل المتشابه من القرآن، وعند النطق (الله والراسخون في العلم) بنغمة مستوية، يكون (والراسخون) في العلم يعلمون تأويل المتشابه كما يعلمه الله تعالى، ويبدو أنَّ الرأي الأول هو الرَّاجح، والوقف يكون على لفظ الجلالة (الله)، ورفع (الراسخون) بالابتداء، والخبر جملة (يقولون)؛ بدليل أنَّ هذا الوقف رجّحه كثير من العلماء كما تقدّم، والله أعلم.

وقطع الكلمة عمّا بعدها، فهو وقف يليه الاستئناف فهو بذلك وقف تركيبى، وهو ما يرتبط بالجانب الدلالي، وبذلك فإنَّ "الوقف إحدى الظواهر التي تُسهم بصورة كبيرة في تحديد دلالة التركيب، فباختلاف مواضع الوقف تختلف صور التركيب ممّا يؤدي إلى اختلاف دلالاتها"^(٣)، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]، ذكر أبو السُّعُود أنَّ قوله تعالى ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ "لترتيب النهي على ما قبله فلا بدَّ أن يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عمّا علّقوا به أطماعهم الفارغة

^١ - ينظر: النشر في القراءات العشر: ١/١٧٩، وإشكالية المعنى في الجهد التفسيري: ٣٣.

^٢ - ينظر: معاني القرآن، الفراء: ١/١٩١، والكشاف: ١/٣٨٨، وروح المعاني: ٣/١٣٥-١٣٦،

إملاء ما منّ به الرحمن: ١/١٢٤، والدر المصون: ٣/٢٩، إرشاد العقل السليم: ١/٣٣.

^٣ - الوقف عند ابن جني دراسة صوتية دلالية (أطروحة دكتوراه)، محمد أحمد محمد، جامعة عين

شمس - القاهرة، كلية التربية، قسم اللغة العربية والدراسات، ٢٠٠٩م: ٣٧٠.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

وانعكاس الأمر عليهم بترتيب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير... وقوله تعالى ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ تعليلٌ صريحٌ للَّهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الإشعار فإنَّ العلمَ بما ذكر مستلزمٌ للمجازاة قطعاً أي إِنَّا نجازيهم بجميع جناياهم الخافية والبادية التي لا يعزُبُ عن علمنا شيء منها^(١)، فالوقف على (قولهم) لتمام المعنى، فتكون جملة (إِنَّا نَعْلَمُ...) مستأنفة، وهذا هو المراد، والوصل يوهم أنَّ جملة (إِنَّا نَعْلَمُ...) هي مقول القول، وليس ذلك بصحيح، بل المعنى: لا تهتم بتكذيبهم إِيَّاكَ فتحزن لذلك، إن الله يعلم ما حملهم على ذلك، وهو الحسد، ونحو ذلك^(٢).

وفي قوله -عزَّ شأنه-: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، ففي قوله ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ وجهان من حيث الوقف، قال أبو السُّعود: "صفتان من هُنُوِّ الطعامِ ومُرُوِّ إذا كان سائغاً لا تتغيص فيه... ونصبُهما على أنَّهما صفتان للمصدر أي أكلاً هنيئاً مريئاً أو على أنَّهما حالان من الضمير المنصوب أي كَلُوهُ، وهو هنيءٌ مريءٌ، وقد يوقف على (كُلُوهُ) ويبتدأ هنيئاً مريئاً على الدعاء وعلى أنَّهما صفتان أقيمتا مقامَ المصدرين، كأنه قيل: هُنَا وَمَرَأٌ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعية"^(٣)، فالوقف على (هَنِيئًا مَرِيئًا) يكون انتصابهما على أنَّهما صفتان للمصدر المحذوف، أي: كَلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا، أو حالان من الضمير المنصوب في الفعل، أي: فَكَلُوهُ وهو هنيءٌ مريءٌ^(٤)، فوصل هَنِيئًا مَرِيئًا بما قبلهما على هذين الوجهين في الإعراب أولى^(٥)، وأمَّا من وقف على (فكَلُوهُ)، ويبتدأ (هَنِيئًا مَرِيئًا) على الدعاء على أنَّهما صفتان أقيمتا مقامَ المصدرين كأنه قيل:

١ - إرشاد العقل السليم: ١٩٥/٧-١٩٦.

٢ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٥٣/٢٠،

٣ - إرشاد العقل السليم: ١٦٥/٢.

٤ - ينظر: مفاتيح الغيب: ٤٩٣/٩، والبحر المحيط: ٥١٣/٣.

٥ - ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، الأشموني: ٢٠٤.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

هَذَا مَرَّاً^(١)، أي هَذَا كَمِ اللَّهُ وَأَمْرَاكُم، فَيَكُونُ (هَذَا مَرَّاً) مِنْ جُمْلَةٍ أُخْرَى غَيْرَ قَوْلِهِ (فَكُلُوهُ)، فَلَا تَعْلَقُ لَهُ بِهِ مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابِ بَلْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى^(٢).

وَيُظْهِرُ أَنَّ قَرِينَةَ الْوَقْفِ هِيَ الَّتِي تَكْشِفُ دَلَالَةَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، فَمَعْرِفَةُ مَوَاضِعِ الْوَقْفِ يُظْهِرُ بَيَانَ الْمَعْنَى، فَيَصِلُ وَيَقِفُ وَيَبْدَأُ الْقَارِئُ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى كُلُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَتَدْبِيرِ الْمَعَانِي، فَالِنَّظَرِ إِلَى الْوَقْفِ يُعَيِّنُ عَلَى التَّدْبِيرِ، وَإِذَا قَرَأَ قَارِئٌ وَابْتَدَأَ بِمَا لَا يَحْسُنُ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ أَوْ الْوَقْفُ عَلَى كَلَامٍ لَا يُعْرِفُ مَعْنَى إِلَّا بِوَصْلِهِ بِمَا بَعْدَهُ فَقَدْ يَخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ بِدَعْوَتِهِ إِلَى تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَإِدْرَاكِ مَعَانِيهِ^(٣).

وَقَدْ تَنَبَّهَ أَبُو السُّعُودِ إِلَى أَهْمِيَّةِ الْوَقْفِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، إِذْ قَالَ: "وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ إِنْ جُعِلَ ظَرْفًا لـ (مُحَرَّمَةٌ) يَكُونُ التَّحْرِيمُ مَوْقَّتًا لَا مُؤَبَّدًا... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أَيِ يَتَحَيَّرُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ، اسْتِنْتَفَافَ لِبَيَانِ كَيْفِيَّةِ جَزْمَانِهِمْ، أَوْ حَالٍ مِنْ ضَمِيرٍ عَلَيْهِمْ، وَقِيلَ: ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بـ (يَتِيَهُونَ) فَيَكُونُ التَّيُّهُ مَوْقَّتًا وَالتَّحْرِيمُ مُطْلَقًا"^(٤)، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: "قَوْلُهُ ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ مَنْصُوبَةٌ بِالتَّحْرِيمِ؛ وَلَوْ قَطَعْتَ الْكَلَامَ فَنَصَبْتَهَا بِقَوْلِهِ ﴿يَتِيَهُونَ﴾ كَانَ صَوَابًا"^(٥)، وَاخْتَارَ هَذَا الرَّأْيَ الطَّبْرِيُّ وَالنَّحَّاسُ، وَذَكَرَا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾ وَهُوَ الْعَامِلُ فِي ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَكُثُوا لَا يَدْخُلُونَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَهُمْ تَائِهُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ لَا يَهْتَدُونَ لِمَقْصَدٍ، ثُمَّ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى فَفَتَحَ بِهِمْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ^(٦)، وَمِنْ نَصَبِهَا

١ - ينظر: مفاتيح الغيب: ٤٩٣/٩، والبحر المحيط: ٥١٣/٣.

٢ - ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: ٢٠٤.

٣ - ينظر: فضل علم الوقف والابتداء، الميموني: ٤.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٣١/٣-٣٢.

٥ - معاني القرآن، الفراء: ٣٠٥/١.

٦ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٩١/١٠ - ١٩٢، إعراب القرآن، النحاس: ٢٦٤/١.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

من المُفسّرين بالتحريم أراد أنّ تحريم الأرض المقدّسة والتّيه محدّد بأربعين سنة^(١)، وهذا يعني أنّ الوقف تام على ﴿يَهُونُ﴾، أمّا من نصبها بقوله: ﴿يَهُونُ﴾ فأراد أنّ التّحريم مؤبّد والتّيه محدّد بأربعين سنة^(٢)، ومعنى هذا أنّ الوقف على قوله: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، وقوله: ﴿يَهُونُ﴾ كلام مستأنف، ويكون التّيه غير مؤقت بمدة، فالوقف على (محرمة عليهم)، وهذا الذي ظهر لنا في تحليل أبي السُّعود للآية المباركة إذ إنّه أخذ بقرينة الوقف وبنى عليها المعنيين المُحتملين للآية الكريمة.

ثانيًا: قرينة التّنغيم

التّنغيم في اللّغة هو جرس الكلام، وحسن الصّوت في القراءة، والتّنغم: الكلام الخفي، يقال: سكت فلان فما نغم بحرف وما تنغم مثله وما نغم بكلمة، ويتنغم بشيء أي: يتكلم به^(٣).

أمّا في الاصطلاح: فهو صوت لابلث زمانًا، غير متغيّر إلى حدّة، تجري فيه الألحان مجرى الحروف من الأصوات^(٤)، أو هو الإطار الصّوتيّ الذي تقال به الجُملة في سياق معين، عن طريق ارتفاع الصّوت وانخفاضه أثناء الكلام^(٥)، وهذا الارتفاع والانخفاض في درجة الصّوت يُحدِث نغمة موسيقيّة في الكلام، فبه تتّضح الدّلالة على المعنى الوظيفي للجُملة، وهو الذي يغيّر الجُملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى تعجب في شكل الكلمات المكوّنة، بما تؤدّيه درجة الصّوت من أثر في تمييز المعنى الأساس للكلمة^(٦)، وبسبب ما للتّنغيم من نغمات كثيرة ممّا يستعمله

^١ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: ١٦٥/٢، ومفاتيح الغيب: ٣٣٥/١١.

^٢ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: ١٦٥/٢، ومفاتيح الغيب: ٣٣٥/١١، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء: ٢٦٤، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم: ٥٣.

^٣ - ينظر: العين: ٤٢٦/٤ مادة (نغم)، وتهذيب اللغة: ١٤٢/٨ مادة (نغم) ولسان العرب: ٥٩٠/١٢ مادة (نغم).

^٤ - ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي: ١٦٤، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي نكري: ٢٦٧/٣.

^٥ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦، ومناهج البحث في اللغة: ١٦٤.

^٦ - ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ٣١٠، والاتجاهات النحوية لدى القدماء: ١٩٩.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

للتزقيم من علامات كعلامة الاستفهام، وعلامة التعجب، والشرطة، والفاصلة والنقطة، وغير ذلك، وبسبب ما يصاحب التنغيم في حالات كثيرة من تعبيرات الملامح الوجهية، والحركات الجسدية التي تصاحب المتكلم، وعليه يكون التنغيم أوضح في التعبير عن المعنى الوظيفي للجملة^(١).

ولم يغفل علماء اللغة القدماء عن هذه القرينة، وأثرها في التحليل النحوي، وبيان معاني الوحدات اللغوية في السياق الأسلوبي بين الابواب النحوية، فقد استعملها سيبويه للتفريق بين المعاني المختلفة للجملة الواحدة، وقد تلمس أثر هذه القرينة اللفظية في تحليل العلاقات الشكلية في السياق من جهة، وبين وظيفته النحوية في تغيير دلالات التراكيب بارتفاع درجة التنغيم وانخفاضه في أثناء نطق الجملة من جهة أخرى، فالكلام ينتقل بواسطة التنغيم من أسلوب النداء إلى أسلوب الاستفهام وذلك في أثناء تحليله كلام جرير^(٢):

أعبدًا حلّ في شُعْبَى غريبًا ألوّمًا، لا أبا لكّ واغترابا

فطبيعة النّغمة الصّوتية تكون على وجهين: على النداء (أعبدًا) لكون الهمزة حرف نداء، أو على الاستفهام في حالة افتخار واجترأ بتأويل فعل محذوف تقديره (أتفتخر عبدا؟)، فالصيغة واحدة، وحملها على النداء مرة، وعلى الاستفهام مرة أخرى يكون ذلك بفعل التنغيم؛ وذلك لأنّ التنغيم في النداء يبدأ بنغمة صاعدة ثم ينتهي بنغمة هابطة على المقطع الأخير، وأمّا الاستفهام فهو النوع الوحيد الذي ينتهي بنغمة صاعدة على المقطع الأخير^(٣)، فطريقة النطق هي التي تحدّد نوع النمط اللغوي ودلالاته، والتنغيم بالصوت يؤثر بشكل كبير في التغيير الدلالي الحاصل في البيت الشعري، إذ يمكن أن يشير إلى انتقال الشاعر من أسلوب النداء إلى أسلوب الاستفهام.

^١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦-٢٢٧، والدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن

جني (بحث)، عبد الكريم مجاهد عبد الرحمن، مجلة الفكر العربي، العدد (٢٦)، ١٩٨٢م: ٧٧

^٢ - ديوان جرير: ٦٥٠.

^٣ - ينظر: الكتاب: ٣٣٩/١، واللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٩-٢٣٠، والبنى النحوية، نغوم

جومسكي: ٩٥، والقرينة في اللغة العربية: ٤٦-٤٧.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

أما المُحدِّثون فقد اتَّبَعُوا أسلافهم القدماء في بيان أهمّيّة التَّنْغيم في توجيه المعنى وبيان وظائفه الدَّلاليّة، وعدوه من قرائن التَّعليق اللَّفظيّة في السِّياق، والإطار الصَّوتيّ الَّذي تقال به الجُملة في السِّياق^(١)، فاللّغة العربيّة مثل اللّغات التَّنْغيميّة، إذ تعدّ متعدّدة التَّنوعات الموسيقيّة في الكلام بطريقة تُسهم في الدّلالة على المعنى، وبذلك يمكن تغيير الجُملة من أسلوب إلى آخر من دون تغيير شكل الكلمات المكوّنة لها، وذلك عن طريق تغيير نوع النّغم^(٢)، ويمكن أن تُعبر عن الجُملة -مثلاً- (قام زيدٌ) بنغمات متعدّدة، ويتغيّر معناها وفقاً لهذا التّعدّد، فتكون "استفهاماً إذا نطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى، وتكون خبريّة إذا نطقت بنغمة مستويّة، وتوكيديّة إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة، وترتيب الكلمات في الجُملة الأولى والثّانية والثّالثة واحد، والفرق هو طريقة نطق كل جملة"^(٣).

ويُعدُّ التَّنْغيم بديلاً عن بعض علامات التّرقيم الّتي لم يكن للعرب عهد بها في عصر التّدوين؛ ولذلك التجأ علماء العربيّة إلى ذكر الأدوات النّحويّة لتحديد العلاقات بين الكلمات والجمل لأمن اللّبس^(٤)، ومثال ذلك قول الشاعر^(٥):

ثُمَّ قالوا: تُحِبُّهَا قُلْتُ: بَهْرًا عددَ النجم والحَصَا والثَّرَابِ

فالنّغمة الاستفهاميّة في البيت الشعري أغنت عن ذكر همزة الاستفهام؛ وذلك في قوله: (تُحِبُّهَا)، بما لها من صفة وسيلة التّعليق عن أداة الاستفهام، فحذفت الأداة، وبقي معنى الاستفهام مفهوماً^(٦).

فالتَّنْغيم إذن يودّي أثرًا مهمًّا في توجيه المعنى، ويميّز بين المعاني النّحويّة المختلفة للجُملة الواحدة، ولهذا يجب مراعاة قوالب التَّنْغيم الخاصّة بكلّ جملة في

١ - ينظر: اللغة العربيّة معناها ومبناها: ٢٢٦، ومن وظائف الصوت اللغوي، أحمد كشك: ٥٣.

٢ - ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ٢٢٩-٢٣٠.

٣ - التَّنْغيم ودوره في التحليل اللغوي (بحث)، عبد الحميد السيد، مجلة دراسات، المجلد (١٩)، العدد (٢)، ١٩٩٢م: ٧٧-٧٨.

٤ - ينظر: اللغة العربيّة معناها ومبناها: ٢٢٧.

٥ - ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٥١.

٦ - ينظر: اللغة العربيّة معناها ومبناها: ٢٢٧.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

النّطق، ويمكن في ضوء التّغيم التّمييز بين العديد من وظائف المفردات والعبارات، فالإطار الصّوتيّ للكلمة والجُملة والعبارة في سياق النّظم يُسهم في فهم العلاقات والمعاني التّركيبية، ويقوم مقام علامات التّرقيم في الكتابة.

ولم يكن أبو السُّعود بمنأى عن ذلك، فقد أدرك الأثر الذي يؤديه التّغيم في اللّغة العربيّة عموماً، ولغة القرآن الكريم خصوصاً، ولا سيّما في تحديد مسارات الدّلالة اللّغويّة، والتّفريق بين الأنماط التّركيبية المختلفة، فقد وعى أثر التّناسق الموسيقي في إنتاج المعنى النّحويّ وعياً تامّاً في أثناء تحليله للنصوص القرآنيّة، ويمكن إجراء التّطبيقات التّغيميّة لدى أبي السُّعود على النّحو الآتي:

١ - التّغيم في توجيه الإعراب:

إنّ الوظيفة الأساسيّة للتّغيم هي الوظيفة النّحويّة؛ لأنّها العامل الفاعل في التّمييز بين أنماط التّركيب، فضلاً على أثرها الكبير في تلون الأساليب داخل النّصّ والتّفريق بين الأجناس النّحويّة، ومن ثمّ يمكن للدارس تحليل مادته تحليلًا علميًا دقيقًا بحسب إطارها الصّوتيّ وكيفيات أدائها الفعلي^(١)، ففي بعض الحالات لا يمكن الوصول إلى فهم الدّلالة الكاملة للسياق إلّا عن طريق النّمط التّغيمي المتشكّل في طول الزّمن المستغرق، وشدّة الصّوت والتّنوع التّغيمي^(٢)، وقد يذهب التّغيم بالدّلالة مذهباً يؤوّل فيه النّصّ إلى مجموعة من الأساليب، فيتنوع - وفق الظاهر - إلى خبر وإنشاء أصالة، أو تتنازع الدّلالات النّحويّة بتحوّلته التّحليليّة؛ ولذلك صار التّغيم من العناصر المهمّة التي تتألّف منها الجُملة^(٣).

وقد أشار أبو السُّعود إلى هذا الأمر تفسيره عبر تحليله الأساليب وتحديد الأنماط في تحولات البنية التّركيبية، ويتمثّل هذا في أن تتحول أداة أكثر من دلالة، وتحتل أكثر من معنى في النّصّ الواحد دون الخروج عن الأصل، ففي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ

١- ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٥٤١، والتّغيم اللّغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم العزاوي: ٢٤.

٢- ينظر: التّغيم اللّغوي في القرآن الكريم: ٢٤.

٣- ينظر: إشكالية المعنى في الجهد التّفسيري: ٤٠، وأثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط (أطروحة دكتوراه): ٩٠.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ [الأعراف: ١٨٤]، ذكر أبو السُّعُود في تحليله الأداة (ما) أنها تحتل وجهين داخل النص "إِذَا اسْتَفْهَامِيَّةٌ إنْكَارِيَّةٌ في محل الرِّفْعِ بالابتداء والخبرُ بصاحبهم، وإِذَا نَافِيَّةٌ اسْمُهَا جِنَّةٌ وخبرُها بصاحبهم... وقيل: قد تمَّ الكلامُ عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ أي أكذبوا بها ولم يفعل التَّفَكِيرُ؟ ثم ابتدئ فقيل: أي شيء بصاحبهم من جنة على طريقة الإنكار والتعجيب والتبكي، أو قيل: ليس بصاحبهم شيء منها، والتعبيرُ عنه (عليه الصَّلاة والسلام) بصاحبهم للإيذان بأنَّ طول مصابحتهم له (عليه الصَّلاة والسلام) عن شائبة ما ذكر، ففيه تأكيدٌ للنكير وتشديد له، والتعرض لنفي الجنون عنه (عليه الصَّلاة والسلام) مع وضوح استحالة ثبوته له (عليه الصَّلاة والسلام)" (١)، وهذا يعني أنَّ التحليل النحوي للأداة (ما) في الآية الكريمة قائم على التنغيم، إذ يمكن أن تؤدي بنمطين تنغيمين إلى في تحولات البنية التركيبية التي يتوجه بهما المعنى، فالأداء النطقي للجملة الاستفهامية يختلف عنه في الجملة المنفية، فالأولى تؤدي بارتفاع الصوت (نغمة صاعدة)، والأخرى تؤدي بانخفاض الصوت (نغمة هابطة).

ومثل هذه التحولات في البنية التركيبية في الأداة (ما) قد وُجِّهَتْ في تحليلها النحوي لدى أبي السُّعُود في مواطن مختلفة بتحليلات متشابهة (٢).

٢ - التنغيم في تحولات المقاصد الأسلوبية:

للتنغيم شأن كبير في تلوين المقاصد الأسلوبية، فقد يخرج الأسلوب في النص من معناه (الحقيقي) الذي وضع له إلى معنى - مجازي - آخر غير مقصود أصالة، وذلك عن طريق التنغيم متضافراً مع ظروف النص وما يتعلّق به من ملابسات المقام بكل عناصره، من مُتَكَلِّمٍ أو سامع أو زمان أو مكان أو غير ذلك ممّا يمليه الحال (٣).

١ - إرشاد العقل السليم: ٣/٣٣٧

٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٣٠، ٦/٢٦٦، ٨/١٩٢، ٩/١٩٢.

٣ - ينظر: ينظر: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: ١١٧ - ١١٩، وإشكالية المعنى في الجهد التفسيري: ٤٣، وأثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط (أطروحة دكتوراه): ٩٤.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

والتحول في المقاصد الأسلوبية يحصل في قسمي الكلام: الخبر والإنشاء "الذين يتلونان داخلياً ليخرج كل أسلوب إلى معان يقتضيها سياق الحال، أو خارجياً بالتقابل فيتحول الخبر إلى إنشاء أو الإنشاء إلى خبر" (١).

أ- تحولات الخبر: الخبر هو "كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته" (٢)، ويلقى لغرضين: فإن ألقى المُتَكَلِّم جملة بقصد إفادة المُخَاطَب مضمون الخبر كان غرضه (إفادة الخبر)، وإن ألقاها بقصد إفادة المُخَاطَب أَنَّ المُتَكَلِّم عالم بمضمون الخبر كان هذا (لازم الفائدة) (٣)، وقد يخرج الخبر إلى أغراض مجازية يكون التنعيم فيها عاملاً مهماً في التفريق بين الأنماط الأسلوبية المختلفة، وتنوع دلالاتها.

وتفسير أبي السُّعُود قد ضمَّ الكثير من تلك الأساليب في تحليلاته النحوية، فتوجّه لديه الخبر إلى أغراض متعدّدة، منها.

- التوبيخ والتفريع والتبكي: وذلك ظاهر في تفسير أبي السُّعُود كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، إذ قال: "...كأنّه قيل: وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فقلنا: اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها، وإنّما غيّر الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتنشئة التفريع، فإن كلّ واحدٍ من قتل النفس المحرّمة والاستهزاء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) والافتيات على أمره وترك المسارعة إلى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بأن تنعى عليهم بحيالها، ولو حُكِيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كلّ منها بما يُخصّص بها من التوبيخ..." (٤).

ومن ذلك خطاب النبي يعقوب (عليه السلام) لبنيه في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ [البقرة: ١٣٣]، أي: أي شيء تعبدونه بعد موتي فمن أين لكم أن تدعوا (عليه السلام) ما تدعون رجماً بالغيب وعند هذا تمّ التوبيخ والإنكار والتبكي، ثم بيّن أنّ الأمر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وأنّه

١ - إشكالية المعنى في الجهد التفسيري: ٤٣.

٢ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، أحمد الهاشمي: ٥٦.

٣ - ينظر: البلاغة والتطبيق: ١١٨-١٢٠، وعلم المعاني: ٣٤/١.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١٤٢/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

(عليه السلام) أراد بسؤاله ذلك تقريرَ بنيه على التَّوْحِيدِ والإسلامِ وأخذَ ميثاقهم على الثَّباتِ عليهما إذ به يَتِمُّ وصيَّته بقوله فلا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون^(١)، والغرض من السَّؤال حثُّهم على ما كانوا عليه حال حياتهِ من التَّوْحِيدِ والإسلامِ، وأخذ الميثاق منهم عليه فليس الاستفهام حقيقياً^(٢)، وإنَّما يدلُّ على معنى التَّقْرِيعِ والتَّوْبِيخِ^(٣)، وقد ساعد على هذا التعدُّد في المعاني المصاحبة لأسلوب الاستفهام نوع النِّعْمة في نطق الآية، فدرجة الصَّوت في نعمة الاستفهام عادة ما تكون صاعدة، ثم تهبط بالتَّدرِجِ حتى تصل إلى أدنى مستوى منها، وهي الهابطة^(٤)، ففي هذه الآية دلُّ الاستفهام على معانٍ كثيرة وهي التَّوْبِيخُ، والإنكار، والتَّكْبِيْتُ، فهي صاعدة أو عالية؛ وذلك لتقاربها في المعنى.

- التَّهَكُّمُ والاستهزاء: ومنه ما توجَّه لدى أبي السُّعُود في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، بيِّن المفسِّر معنى قوله ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ "أي نستضيء منه، وأصله اتخاذُ القبسِ" ﴿قِيلَ﴾ طَرْدًا لهم وتهكُّمًا بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة...^(٥)، فهو تهكُّم بهم وتخيب من المؤمنين أو الملائكة^(٦).

- التَّحَسُّرُ والتَّحْيِيرُ: قد يتحوَّل الخبر من قصد الإخبار إلى التَّحَسُّرِ والتَّحْيِيرِ، وذلك ما توجَّه لدى أبي السُّعُود في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]، بيِّن المصنِّف معنى الآية المباركة بقوله: "رجعةً إلى الدُّنيا

١ - إرشاد العقل السليم: ١٩٨/١.

٢ - ينظر: روح المعاني: ٣٣٨/١.

٣ - ينظر: البحر المحيط: ٦٨٣/١.

٤ - ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤٩٠/٨، ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤٤١/٤.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٢٠٨/٨.

٦ - ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البضاوي: ١٨٧/٥.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو عن هذه الأقوال تحسراً وتحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته^(١).

- الإنشاء: يمكن أن يُنزل الخبر منزلة الإنشاء، إذ تصبح الجملة ذات صياغة خبرية ودلالاتها دلالة إنشائية، مما يُعطي الخبر معنى من معاني الإنشاء ويؤدي غرضاً من أغراضه المتعددة، سواء أكان ذلك الغرض الأمر أم النهي أم الدعاء أم التعجب أم غيرها، وأمثلة ذلك كثيرة^(٢)، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا نَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، فقد توجه لدى أبي السُّعود أن جملة ﴿لَا نَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ "على إرادة القول أي قلنا أو قائلين لا تعبدون إلخ، وهو إخبار في معنى النهي كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٣) وكما تقول: تذهب إلى فلان وتقول كيت وكيت وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي حقه أن يسارع إلى الانتهاء عما نُهي عنه فكأنه انتهى عنه فيُخبر به الناهي^(٤).
وقد تنبّه إلى ذلك سيبويه في (باب الأمر والنهي) وذلك في قولنا: "زيّداً قطع الله يده، وزيّداً أمر الله عليه العيش؛ لأنّ معناه معنى: زيّداً ليقطع الله يده"^(٥)، ومنه أيضاً في باب (الحروف التي تنزل منزلة الأمر والنهي؛ لأنّ فيهما معنى الأمر والنهي)، قائلاً: "انقي الله امرؤ وفعل خيراً يثب عليه؛ لأن فيه معنى ليتق الله امرؤ وليفعل خيراً"^(٦).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٧٦/٧.

٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٩/١، ١٢٤، ١٢٣، ٨٩/٤، ١١١، ١٣٥/٦، ٢٢/٧، ٢٠٧/٨.

٣ - البقرة: ٢٨٢.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١٥٢/١-١٥٣.

٥ - الكتاب: ١٤٢/١.

٦ - المصدر نفسه: ١٠٠/٣.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ويرى ابن هشام(ت ٧٦١هـ) أنّ هناك جمل معينة يمكن فهمها بصورتين مختلفتين، إمّا بأنها تعبّر عن حالة أو وقع حدث(الخبريّة)، أو بأنها تعبّر عن شيء ممكن حدوثه أو تحقيقه في المستقبل(الإنشائية) فيختلف الحكم باختلاف التّقدير^(١). فتلك المعاني التي يخرج إليها الخبر تؤدي بأنماط تنغميّة مختلفة، وسياقات صوتيّة متباينة، يمكن أن يؤدّي بطرق مختلفة مثل التّوبيخ والتّقرّيع والتّبكيّ، ويمكن أن يكون الخبر على سبيل التّهمك والاستهزاء والتّحسّر، فكون الخبر على سبيل معين لا بدّ أن يكون له سياق معين وتنغيم مختلف يتناسب مع الطّريقة التي يتمّ فيها إيصال الخبر.

ب- تحولات الإنشاء :

يختلف القصد من الكلام في الإنشاء عنه في الخبر، فالفرق بين الطريقتين هو ما يقصده المتكلّم إلى الحكاية والإعلام بالخبر، أو ما يقصده إلى إيجاد نسبة ترتقب الخارج بالمطابقة أو عدمهما؛ لذا يكون "القصد من الكلام في الخبر أنّ له نسبة في الخارج تطابقه أو لا تطابقه والقصد من الكلام في الإنشاء هو إيجاد النسبة من غير قصد إلى كونه دالّاً عليها حاصلة في الواقع"^(٢)، لهذا عرّف الإنشاء بأنّه "الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه"^(٣).

وللإنشاء أساليبه التي منها: التّمني، والاستفهام، والأمر، والنّهي، والتّعجب، وغيرها، ولكلّ صيغه وأدواته التي تتحقق بها معاني هذه الأساليب أصالة، وربّما تخرج هذه الأساليب عن معناها الحقيقي إلى معاني أخرى وأغراض مجازيّة تفهم من سياق الكلام^(٤)، فقد يتحوّل أسلوب من أساليب الإنشاء إلى نوع آخر أو يتحوّل الإنشاء إلى خبر، وذلك بفعل قرينة التّنغيم التي توجّه المعنى إلى غير المعنى المراد أصالة.

١- ينظر: مغني اللبيب: ٤١٣.

٢- دلالات التركيب، محمد أبو موسى: ١٩٤

٣- التعريفات، الجرجاني: ٥٦.

٤- ينظر: البلاغة والتطبيق: ١٢٤، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكرى شيخ أمين: ٧٦/١.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ونذكر ما جاء في تفسير أبي السُّعود - على سبيل المثال - خروج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي كالإنكار، والتَّهْكُم والاستهزاء، والتَّوْبِيخ والتَّعْجِيب والتَّعْجَب، وغير ذلك، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]، إذ بيّن أبو السُّعود أنّ معنى ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ﴾ "استئنافٌ مَسوقٌ لنفي الخوفِ عنه (عليه السَّلام) بحسَبِ زعمِ الكفرةِ بالطريقِ الإلزاميِّ كما سيأتي بعد نفيه عنه بسببِ الواقعِ ونفسِ الأمرِ، والاستفهامُ لإنكارِ الوقوعِ ونفيه بالكليةِ، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) الآية لإنكارِ الواقعِ واستبعاده مع وقوعه"^(٢)، فقد خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى مقصد آخر - أملاه عليه مقتضى الحال الذي يتحدّث عن نفي الخوف عن النَّبي إبراهيم (عليه السَّلام) - وهو الإنكار، وذلك بأثر التَّنْغِيم، ولم تدلّ الأداة (كيف) وحدها على ذلك إذ إنّ "إدخال إحدى أدوات الاستفهام على التَّركيب التَّقْريري الإخباري لا يكفي وحده في المستوى المنطوق من اللُّغة، بل لا بدّ من التَّنْغِيم إلى جانب ذلك... فإنّ التَّنْغِيم أرسخ قاعدة وأثبت ركناً من بعض الأدوات"^(٣).

وقد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى أغراض مجازية كالتَّعْجَب والإنكار والتَّوْبِيخ والنفي وغير ذلك، فمن خروجه إلى معنى التعجب في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١]، قال أبو السُّعود: "ومدارُ التَّعْجَبِ الَّذِي يلوح الاستفهامُ دعوتهم إيَّاهُ إِلَى النَّارِ ودعوته إيَّاهم إِلَى النَّجَاةِ كأنَّه قيل: أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشَّرِّ"^(٤).

١ - التوبة: ٧.

٢ - إرشاد العقل السليم: ١٨٠/٣.

٣ - الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية، د. سمير شريف ستيتية، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية، المجلد (١٨)، العدد الأول، بغداد، ١٩٨٩م: ٣٢.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٦/٧.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

فقد خرج الاستفهام هنا عن المعنى الحقيقي إلى معنى التعجب، وقد ساعد على إظهار هذا المعنى استصحاب الاستفهام نغمة صاعدة توحى بدهشة واستغراب ذلك المؤمن من عمل قومه من الكفرة الذين يدعونه إلى أعمال أهل النار، ومعصية النبي موسى (عليه السلام)، وهو يبغى إنقاذهم منها، فتكون طريقة النطق بهذا كمن يقول لرجل: (ما لي أراك حزينا)، فكأنه يرغب بمعرفة الشيء الذي دعاه إلى هذا الحزن، والمعنى في الآية على وفق ذلك، أي: أخبروني عنكم كيف هذه الحال أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار^(١).

فالاستفهام الوارد في الآية لا يمكن حمله على حقيقته، إذ لا بُدَّ من شيء يميّزه بدلالته التي تقصد منه - "مدارُ التعجب الذي يلوح الاستفهام دعوتهم إيّاهُ إلى النار ودعوته إيّاهم إلى النجاة كأنه قيل أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشر"^(٢)- التعجب، وذلك بإجراء التنغيم على الاستفهام الوارد في الآية الكريمة.

وللتنغيم أثر واضح في التفريق بين أنماط الجُمْل الاستفهامية والتعجبية ففي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، قال أبو السُّعُود في تفسير ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: "تعجب من حالهم الهائلة التي هي ملاستهم بما يوجب النار إيجاباً قطعياً كأنه عينها و(ما) عند سيئويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصصها كتخصص شر في(شرُّ أهرَّ ذَا نَابٍ) خبرها ما بعدها أي شيء ما عظيم جعلهم صابرين على النار، وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها أي: أيُّ شيء أصبرهم على النار..."^(٣)، فمعنى الآية الكريمة لا يتضح بدقة إلا بتنغيم الاستفهام أو التعجب، فقد جاءت(ما)

^١ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: ٨٦/٢٤، ومجمع البيان، الطبرسي: ٥٢٥/٤.

^٢ - البحر المحيط: ٢٧٧/٧.

^٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٢٩/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

على وجهين: أحدهما: أن تكون تعجبية، وتقديره: شيء أصبرهم، والثاني: أن تكون استفهامية، وتقديره: أي شيء أصبرهم؟^(١).

وخلاصة ما تقدّم يمكن أن نصل إلى أنّ تمام المعنى وعدمه من ركائز دراسة التنّعيم، إذ يستند إلى تغيير نغمة الكلام التّام التي تنتهي بها الجّملة المثبتة بنغمة هابطة، على حين تنتهي الجّملة الاستفهامية بنغمة صاعدة^(٢)، أو بمعنى آخر أنّ الأساس في تحديد المعاني وتعيين قيمها يتوقّف على السّياق الذي ينطق فيه، ورغم أنّ بنية الجّملة أو مكوناتها قد تساعد في هذا العمل، إلّا أنّ الأساس يبقى التنّعيم الذي يصاحب النّطق^(٣).

ومن ذلك يمكننا القول إنّ التحليل النحوي في توظيف الأساليب بشكل يتماشى مع السّياق بتنوعها، وذلك يحتاج إلى تنوع تنغمي في تحديد معاني الأساليب الإخبارية والإنشائية، ممّا يسهم بشكل كبير في توجيه الفهم بناءً على حالة المتلقي لتحديد المعنى.

٣ - دلالة التنّعيم بالحذف:

يُعدّ الحذف باباً واسعاً في العربيّة، فهو لغة إيجاز واقتصار، وقد تجنّب العرب ممّا يُثقل في لسانها، ومالت إلى الخفة والسهولة في النّطق، فضلاً على ذلك أنّه عنصر من عناصر بلاغة المتكلّم كما يرى البلاغيون: "فهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر"^(٤).

ويشترط في الحذف ألا يكون مخلاً بالمعنى، والاعتماد على قرينة كاشفة للمحذوف سواء أكان حرفاً، أم اسماً أم فعلاً، ويمكن أن يكون التنّعيم داعياً للحذف،

١ - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ١/١٨٣.

٢ - ينظر: مقالات في اللغة والأدب: ١٧٨.

٣ - ينظر: علم اللغة العام (الأصوات)، كمال بشر: ١٩٠، والتوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي (علامات الإعراب والبناء أنموذجاً)، (أطروحة دكتوراه): ٢٣.

٤ - دلائل الإعجاز: ١٤٦.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

بما يفيد الاستغناء عن ذكر المحذوف إذا كان المخاطب قادراً على فهمه^(١)، وأكثر ما يكون ذلك عند حذف الأدوات من الكلام ولا سيما أدوات الصدارة^(٢)، ويكون ذلك أيضاً في أسلوب النداء والاستفهام.

وقد تنبه أبو السُّعود إلى حذف الأداة وبقاء معناها بوسيلة التنعيم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ تَخْرُجُوا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، إذ قال: "﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ منكرًا على السحرة موبخًا لهم على ما فعلوه ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ بهمزة واحدة إمّا على الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ أو على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة"^(٣).

وحذف أداة النداء كثير في التعبير القرآني، ومنه قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، قال أبو السُّعود: "﴿يُوسُفُ﴾ حُذِفَ مِنْهُ حَرْفُ النِّدَاءِ لِقُرْبِهِ وَكَمَالِ تَقَطُّنِهِ لِلْحَدِيثِ وَفِيهِ تَقْرِيبٌ لَهُ وَتَلَطِيفٌ لِمَحَلِّهِ"^(٤)، بتأويله يا يوسف أعرض عن هذا^(٥)، "حيث تتلى بالقلب التنغيمي للنداء، وهذا القلب قائم رغم حذف النداء"^(٦).

وقد تكون للتنعيم دلالات نفسية للمتكلم تنعكس عليه ويتأثر بها، ولا سيما عندما تتضافر معه سياق الحال أو حال المتكلم في أثناء الحديث، لذلك نجد أنّ المتكلم في استعماله أسلوب معين، قد يستعمل بعض الإيماءات بيديه، أو يطرأ عليه علامات تجعل من وجهه متغيراً، أو تظهر عليه انفعالات تدلّ على قوّة نفسه، وغير ذلك،

^١ - ينظر: التنعيم ودلالات التركيب (بحث)، نوزاد حسن أحمد، مجلة كلية الآداب والعلوم، جامعة قار يونس، ١٩٩٧م: ٢٠٢، والقرينة في اللغة العربية: ٥٦.

^٢ - ينظر: القرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي (بحث): ٥٠، ومقالات في اللغة والأدب: ٢٩٥/١.

^٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٧/٣-٢٩٨.

^٤ - المصدر نفسه: ٢٩٨/٤.

^٥ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٣٠٣/٢.

^٦ - القضايا التطريزية في القراءات القرآنية: ٢٦٦/١.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

عندما يثيره أمر ذو بال يستوجب هذه التغيرات الشكلية التي تنبئ عن العلاقة الوثيقة بين التنعيم وهذه التغيرات التي توحى بدلالة معينة يروم المتكلم التعبير عنها^(١). وكشف أبو السُّعود تلك الهيئة التنعيمية من الدلالات النفسية التي عبر عنها في مقام التحذير والتخويف، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥]، إذ قال: "تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع، وكلمة (من) متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التأكيد من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ..."^(٢).

وواضح من النص أن المقام الذي يتحدّث فيه النبي إبراهيم (عليه السلام) مقام تحذير وتخويف من سوء العاقبة، ولم يخل ذلك المقام من الرفق والتلطف والإشفاق على أبيه، فقد وردت في النص أمارات وإشارات لها دلالات نفسية مثل: أخاف، يمسك، وعذاب، فالخوف هو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، والمس إشعار بالقلّة، وهو غير وقوع الأمر حقيقة، والعذاب فقد جاءت بصيغة التأكيد لا التعريف؛ لأنّه لم يخصّص هذا العذاب، إذ بقي يحتمل التقليل والتعظيم في هذا العذاب^(٣)، وكل ذلك يتجلّى عن طريق أثر قرينة التنعيم الكاشف للحالة النفسية للمتكلّم في بيان مقاصده الأسلوبية، وإبراز أهميتها في التوزيع التحليلي للتراكيب.

^١ - ينظر: القرينة في اللغة العربية: ٦٥، والمنهج الوصفي في كتاب سيبويه: ٢٦٣.

^٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٩/٥.

^٣ - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٠٣، والكشاف: ٣/ ١٩، وروح المعاني: ٤١٥/٨.

المبحث الثاني

القرائن الصَّرفِيَّة

توطئة:

تُعَدُّ القرينة الصَّرفِيَّة من القرائن الأساسِيَّة في بنية اللُّغة العربيَّة، نظرًا لأثرها في تشكيل الجُمْل عبر تراكيب تحكمها البنية الصَّرفِيَّة للكلمات، والتي تتميز بكثرة الأوزان والأنماط الصَّرفِيَّة النَّاتجة عن التَّغيرات في هيكل الكلمة، وبفضل هذه القرينة يصبح من السَّهل تحليل تراكيب الجُمْل، وفهم العلاقات البنائيَّة بين الكلمات في الجُمْلَة، وكيفية تأثير هذه العلاقات في المعنى العام للجُمْلَة، ويُعَدُّ الصَّرف في اللُّغة العربيَّة جزءًا أساسِيًّا من النَّحو، إذ يتعلَّق بتغيير الكلمات وتصريفها وفقًا للظروف والسَّياق النَّحويّ.

والعلم الَّذي يختصُّ بدراسة الصَّيغ واشتقاقاتها وأوزانها وكلِّ ما يتعلَّق بها هو علم الصَّرف الَّذي ورد في اللُّغة بمعنى التَّغيير والتَّقليب والتَّحويل من وجه إلى وجه أو من حال إلى حال وهو مصدر (صَرَف) من صرف الزَّمان وصروفه وتصاريفه^(١).

وقد ورد لفظ الصَّرف والتَّصريف في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾، [الإسراء: ٤١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٥].

أمَّا في الاصطلاح فقد عُرِّف بتعريفات متعدِّدة منها ما يتعلَّق بالجانب العمليِّ وذلك قولهم التَّصريف: "وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجي في كلامهم إلا نظيره من غير بابيه، وهو الذي يسميه النحويون التَّصريف"^(٢) أو "أنَّ تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها إلى وجوه شتَّى مثال ذلك أن تأتي إلى (صَرَب) فتبني مثل (جَعْفَر) فنقول: صَرَبَ"^(٣)، هذا يسمى بالصَّرف العلمي النظري.

^١ - ينظر: أساس البلاغة: ٥٤٥/١ مادة (صرف)، ولسان العرب: ١٨٩/٩ مادة (صرف)،

والقاموس المحيط: ٥١٣/٣ مادة (صرف).

^٢ - الكتاب: ٢٤٢/٤.

^٣ - المنصف، ابن جني: ٤-٣.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

وأما ما يتعلّق بالجانب العلميّ للصرف فقولهم التّصريف: "علم بأصول تُعرّف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب"^(١)، أو هو "علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف وصحة وإعلال وإدغام وإمالة، وبما يُعرف لآخرها ممّا ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك"^(٢).

ولمّا كان المركز الرّئيس للدراسات الصّرفيّة التي تدور عليه هو الكلمة وما يصاحبها من تغيير من بناء إلى آخر، مثل الماضي والمضارع واسم الفاعل والمفعول، والمبني للمعلوم والمجهول وغيرها، فلا بدّ أن تحمل دلالات خاصّة تكشف عن معاني مقصودة لا تتّضح إلّا بها^(٣)، وللصرف وظائف أخرى تتعلّق بالبنية والوظيفة، وهو بيان أحكام بنية الكلمة وتصريفها إلى أجناس وأشكال بحسب وظيفتها، وذلك كتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، وتقسيم الفعل إلى ماض ومضارع وأمر وغير ذلك، وتقسيم الاسم إلى مفرد ومثنى وجمع، وإلى مذكر ومؤنث... إلخ^(٤).

وفي ضوء هذا العرض في الصّرف وأسلوبه، تظهر القرائن الصّرفيّة التي تتشكّل في الصّيغ الصّرفيّة، ومطابقتها لتراكيبها في الأفراد والتّثنية، والجمع، والتّذكير والتّأنيت، فضلاً عن التّغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة في القراءة القرآنيّة، وتتّضح رؤية ذلك في تطبيقات القرائن الصّرفيّة على النّحو الآتي:

أولاً- قرينة الصّيغة:

تُعَدّ قرينة الصّيغة من القرائن الصّرفيّة المهمّة في توجيه المعنى، والتي يتوصّل بها إلى تحديد كثير من الوظائف والعلاقات النّحويّة بين الأجزاء المختلفة في الجُملة، وقد أخذ مفهوم الصّيغة في اللّغة معاني متعدّدة بمفاهيم متقاربة منها ما ذكره الأزهري (ت ٣٧٠هـ) "هذا شيءٌ حسن الصّيغة: أي: حسن العمل، وفُلان حسن الصّيغة: أي حسن الخُلقة، والقَدّ، وصاغ الله الخلق يَصُوغُهُم، وصاغ فلانٌ زُوراً

١ - شرح شافية ابن الحاجب، ركن الدين الأسترباذي: ١/١٦٦.

٢ - المصدر نفسه (الهامش): ١/١٦٦.

٣ - ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٤-٣٦، والمنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي: ٢٣.

٤ - ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث، كمال بشر: ١٧٩.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

وكذبًا: إذا اختلَقَهُ^(١)، وذكر ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أنه: "صاغ شعرًا وصاغ كلامًا، أي وضعه ورتبه"^(٢)، فيقال: فلان يصوغ الكلام ويزخرفه^(٣)، ويقال مجازًا: فلان يصوغُ الكلام كذبًا وزورًا، إذا اختلَقَهُ^(٤).

أمّا في الاصطلاح فقد وضع الرّضيّ (ت ٦٨٦هـ) تعريفًا دقيقًا للصّيغة الصّرفيّة إذ حدّها وعيّن مميزاتها بقوله: "المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها: هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصليّة كلّ في موضعه؛ ف(رَجُل) - مثلاً - على هيئة وصفة يشاركه فيه (عَضُد)، وهي كونه على ثلاثة أولها مفتوح، وثانيها مضموم"^(٥).

وقد اهتمّ الدّكتور تَمّام حَسّان بـ(الصّيغ الصّرفيّة) اهتمامًا كبيرًا، إذ رأى أنّها تكون مفتاحًا في عمليّة التّحليل النّحوي؛ فتكون قرينة دالّة بحدّ ذاتها عندما تكون قرينة لفظيّة على الباب النّحويّ، فالمبتدأ والفاعل ونائب الفاعل لا يكون إلّا أسماء^(٦)، وبذلك تصبح الصّيغة الصّرفية دليلًا على وظيفتها التّركيبية، فتُسهم في فهم العلاقات السّياقيّة عندما ترتبط بالعناصر اللّغوية المحيطة بها^(٧)، "فنحن نعلم أنّ الفعل اللازم لا يصل إلى المفعول به بغير واسطة ونعلم أيضًا أنّ بعض الصّيغ معناها اللزوم وذلك كالمطاوعة، والمبني للمجهول من المتعدي لواحد، وأفعال السّجايا، مثل فَعَلَ - يَفْعُل، بضم العين، وغير ذلك فمعنى الصّيغة الصّرفية ينبئ عن علاقاتها السّياقيّة"^(٨).

١ - تهذيب اللغة: ١٤٨/٨، وينظر: لسان العرب: ٤٤٢/٨ مادة(صوغ).

٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٦١/٣.

٣ - ينظر: تاج العروس، الزبيدي: ٣٤١/٧.

٤ - ينظر: لسان العرب: ٤٤٢/٧ مادة(صوغ).

٥ - شرح شافية ابن الحاجب: ٢/١.

٦ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٠، ومقالات في الأدب واللغة: ٢٥٦/١.

٧ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٠.

٨ - المصدر نفسه: ٢١٠-٢١١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ويمكن أن نتلمّس أثر القرينة الصّرفيّة في تحليل أبي السّعود للنصوص القرآنيّة في مسألة تعدي الفعل اللازم بحرف الجرّ الذي من وسائله التّضمين في الأفعال، وذلك في تحليله لقوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، إذ قال: "والرفث كناية عن الجماع لأنّه لا يكاد يخلو من رفث، وهو الإفصاح بما يجب أن يكتنى عنه، وعُدّي بـ(إلى) لتضمّنه معنى الإفضاء والإنهاء، وإيثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبهه ولذلك سمّي خيانة..."^(١)، وجاء في معاني القرآن: "إنّما دخلت (إلى) لأنّ معنى (الرفث) و(الافضاء) واحد، فكأنّه قال: (الافضاء إلى نِسَائِكُمْ)، وإنّما يقال: (رفث بامرأته) ولا يقال: (إلى امرأته) وذا عندي كنحو ما يجوز من (الباء) في مكان (إلى) في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾"^(٢)، وإنّما هو (أحسن إليّ)..."^(٣)، ويرى ابن جني (ت ٣٩٢هـ) أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر فكثير ما يجري أحدهما مجرى صاحبه، ويحتذى به في تصرفه حذو صاحبه، فلا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنّما تقول رفثت بها أو معها؛ لأنّ الرفث بمعنى الإفضاء ولذلك عدي بـ(إلى)^(٤).

والذي يبدو أنّ أبا السّعود قد لجأ إلى المعنى في توجيه التعدي في تحليله للآية الكريمة للفعل (رفث) فقد تعدى إلى مفعوله بواسطة حرف الجر (إلى)، إذ ضمّن هذا الفعل معنى صيغة أخرى وهي (أفضى، أو أنهى) لتؤدي وظيفتها النحويّة. والتّضمين في الأفعال يُسهم في توسع الدّلالة وعدم تقييدها بفعل واحد، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين معنى الفعل الأوّل ومعنى الفعل الثّاني^(٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٣٩/١.

٢ - يوسف: ١٠٠.

٣ - معاني القرآن، الأخفش: ١٣٩-٤٠، وينظر: الكشف: ٢٣٠/١.

٤ - ينظر: الخصائص: ٣٥٢-٣٢٦، والتحرير والتنوير: ٧٦/٣٠.

٥ - ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ١١/٣.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ومن شواهد التّضمين بالفعل، ما ذكره أبو السّعود في سياق تحليله لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٤]، إذ قال أنّ معنى (خَلَوْا): "من خلوتُ إلى فلان، أي انفردت معه، وقد يستعمل بالباء، أو من خلا بمعنى مضى، ومنه القرونُ الخالية، وقولهم: خلاك ذمّ أي جاوزك ومضى عنك، وقد جُوز كونه من خلوتُ به إذا سخرتُ منه، على أنّ تعديته بـ(إلى) في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ لتضمّنه معنى الإنهاء أي وإذا أنهوا إليهم السّخريّة"^(١).

ويبدو أنّ الأكثر في (خلا) أن يتعدّى بالباء، وإلى، وإنّما تعدّى في هذه الآية بـ(إلى) لمعنى دقيق وبديع، وهو أنّه إذا تعدّى بالباء احتمل معنيين^(٢): أحدهما: الانفراد.

والثّاني: السّخرية والاستهزاء، إذ يقال: خلوت به أي: سخرت منه، وإلى لا يحتملُ إلّا معنىً واحدًا، و(إلى) هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم، أو تضمّن معنى ذهبوا وانصرفوا.

فصيغة الفعل (خلا) تدلّ على معنيين: (الانفراد)، و(السّخرية والاستهزاء)، فعندما يتعدّى بالباء يدلّ على معنى الانفراد فقط، ولكن قد ضمّن خلا معنى صرف فتعدّى بـ(إلى) لتضمّنه معنى الإنهاء، أو تضمّن معنى ذهبوا وانصرفوا.

وقد تكون الصّيغة الصّرفية للفعل قرينة يعتمدها أبو السّعود في تمييز ما بعدها كونه فاعلاً أو مفعولاً، إذ تكون هذه الصّيغة قرينة لتحديد الأثر الذي تقوم به الكلمة في الجملة، ومن ذلك ما جاء في تحليله النّحويّ لقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بِكُلِّهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِكُلِّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فقد اتّخذ من صيغة الفعل (تضار) وسيلة في تحليله لوجهي الرّفْع والجزم فيه، إذ قال: "لا تضارُّ بالرّفْع بدلاً من لا تكلف وأصله على القراءتين لا تضارّ بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول، وعلى الوجه الأوّل يجوز أن يكون بمعنى تضرّ والباء من صلته أي لا

^١ - إرشاد العقل السليم: ٦١/١.

^٢ - ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ٥١/١، جامع البيان في تأويل القرآن: ١٩٨/١، والبحر المحيط: ١١٣/١، والدر المصون: ١٤٥/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٦٠/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

يُضَرُّ الوالدان بالولد فيُفَرِّط في تعهده ويُقَصِّر فيما ينبغي له، وقرئ لا تضارَّ بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضرُّه وإضافة الولد إلى كلٍّ منهما لاستعطافهما إليه وللتنبية على أنه جدير بأن يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي أن يضرَّ به أو يُتضارَّ بسببه^(١)، فمن قرأ صيغة (تضارَّ) بضم الرَّاء وتشديدها على الإخبار، فتوجيه هذه القراءة واضحٌ ومناسب لما قبلها من قوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾، لاشتراك الجملتين في الرفع، وإن اختلف معناهما، إذ إنه عطف جملة خبرية على خبرية لفظاً ناهيةً معنى، ومن قرأ (تضارَّ) بفتح الرَّاء وتشديدها، على أنه نهي، وحرك لالتقاء الساكنين، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون أصله (تضارر) و(تضارر)، ثم ادغمت الرَّاء في الرَّاء، فالأولى سكنت للإدغام، والثانية للنهي، ثم حركت بالفتح لموافقة الألف التي قبلها، لتجانس الألف والفتحة، ومن قرأ (تضارَّ) بالسكون مع التشديد، أجرى الوصل مجرى الوقف^(٢).

والذي يبدو أن أبا السُّعُود فهم هذه الصيغة بما فيها من وجود للبناء للمعلوم ولل مجهول، ولذلك درس الفعل من جانبين، محاولاً أن يقدم تفسيراً يتناسب مع كلِّ بناء، موضحاً الارتباط الوظيفي الصرفي لصيغة الفعل بالمعنى النحوي للمرفوع بعده، ففي حال البناء للمعلوم والبناء للمجهول، يمكن أن يكون المرفوع بعد (تضار) إما فاعلاً أو نائباً عن الفاعل، مما يؤدي إلى تعدد في المعنى الوظيفي للصيغة الواحدة داخل النص، وهذا التعدد يؤدي إلى تغيير في التحليل النحوي.

فالصيغة الصرفية تقوم على عناصر محورية هي، الأصول التي تكون عادة ثلاثية وتحمل معاني عامة، والحركات التي تعمل على تغيير هذه الأصول فتكون مبانٍ جديدة تعبر عن مفاهيم جديدة تتصل بالمعنى معتمدة في ذلك على نظام خاص لتنوع الصياغات، ولهذا كانت الأصول هي النواة التي يعتمد عليها في اللغة العربية في إنتاج كلماتها وتغذيتها بالبنيات الصرفية، وتستعمل اللغة العربية وسائل متعددة

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٧٢/١.

٢ - ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات: ٢١٣/١، وتفسير البسيط: ٥٠٨/٤، والكشاف: ٢٧٨/١، ٢٧٩، والبحر المحيط: ٥٠٢/٢، والتبيان في إعراب القرآن: ١٨٥/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

لإنتاج معانيها، ومن أبرز هذه الوسائل: الاشتقاق، الزيادة أو الإلصاق والتحول الداخلي^(١)، ويمكن تتبع أثر هذه القرينة في توجيه المعنى عند أبي السُّعُود بحسب الآتي:

١ - الاشتقاق:

يُعرَّف الاشتقاق بأنه "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدلّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافا حروفاً أو هيئة كضارب من ضَرَبَ، وحَذَرَ من حَذَرَ"^(٢)، وعُرِفَ هذا الاشتقاق بمسمّيات أخرى، هي: الاشتقاق الصَّغير أو الصَّرْفِي أو العام، وهو المقصود عند إطلاقه^(٣)، والاشتقاق الكبير، وهو الأكبر عند ابن جني^(٤)، والاشتقاق الكبَّار^(٥).

ويُعدّ الاشتقاق جزءاً أساسياً لإبداع الكلمات وتكوين المصطلحات في اللُّغة العربيّة، إذ يُسهم في إثراء المفردات وتطويرها وتنوعها وازدهارها، فهو عمودها الفقري وأساس بنائها، ويتألّف الاشتقاق من جزئين مترابطين: الأصل الذي يستمدّ منه اللفظ الجديد أو المصدر والأوزان أو القواعد المحدّدة من قبل النّظام الصَّرْفِيّ للُّغة^(٦)، وهناك تماس لفظي بين الكلمات التي تكون مشتقة من جذور مختلفة في الصّيغة تتربط بينهما بالحروف الأصل، كما أنّ بينها ارتباطاً معنوياً بفضل المعاني العامة المشتركة التي تحملها، والتي تتغيّر حسب السّياق الذي تستعمل فيه^(٧)، ولذلك يعتمد الاشتقاق على

١ - ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ٤٣-٤٥، ودور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقييدها، د. لطيفة النجار: ٩٠، والقرينة في اللغة العربية: ٧٣-٧٧.

٢ - المزهر، السيوطي: ٢٧٥/١.

٣ - ينظر: فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب: ٢٩١، وفقه اللغة العربية: ٢٩٧.

٤ - ينظر: الخصائص: ١٣٣/٢، وفقه اللغة العربية: ٣٠١.

٥ - ينظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. حلمي خليل: ٨٤.

٦ - ينظر: مدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد محمد قدور: ٢٠٥.

٧ - ينظر: مناهج البحث اللغوي: ١٧٨.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

الأصل الثلاثي (الجزر) للكلمات الذي وضع له الصّرفيون بما يسمّى (الميزان الصّرفي)، (ف، ع، ل) (١).

وقد يتّخذ أبو السُّعود وسيلة في الحكم على الصّيغة الصّرفيّة بالصرف وعدمه في صيغة (إبليس) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ذكر المفسّر أنّ لفظة (إبليس) ممنوع من الصّرف؛ لأنّه اسم أعجمي، ومن صرفه جعله مشتقاً من الإبلّاس، قائلاً: "اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف، ومن جعله مشتقاً من الإبلّاس وهو إلباس قال: إنّهُ مُشَبَّهٌ بالعجمة حيث لم يُسمَّ به أحدٌ فكان كالاسم الأعجمي" (٢).

وتُعَدُّ البنية الاشتقاقية واحدة من العناصر المؤثّرة بشكل كبير في تركيب الجمل النحويّة، وتسهم في فهم العلاقات بين الكلمات وبين الأقسام المختلفة في الجملة لتوضيح العلاقات النحويّة، إذ تعزّز من دقة الإبداع اللّغوي، ولا سيّما في قواعد النّعت والحال، فضلاً عن الأقسام المتعلقة بالمشتقات مثل: اسم الفاعل والمفعول وغيرها (٣).

ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، يقول أبو السُّعود في معرض تفسيره لصيغة (المدثر): "أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشّعار الذي يلي الجسد... قيل: سمع من قریش ما كرهه فاغتم فتغطّى بثوبه متفكراً كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع إنذارهم وأن سمعوه وآذوه وقيل: كان نائماً متدثراً، وقرئ: المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أي الذي دثر هذا الأمر العظيم وعصب به" (٤)، فقد أخذت صيغة المشتق المتمثلة في (المدثر) أثرها الوظيفي من جانبيين أحدهما؛ إيضاح المعنى الوظيفي للكلمة وهي لبس الدثار، والثاني: من دثرت هذا الأمر على صيغة اسم المفعول، وبذلك قد وافق أبو السُّعود في توجيهه لهذه الصّيغة المفسّرين ومن بينهم الزّمخشري، إذ قال في كشّافه: "قيل: سمع من قریش ما كرهه فاغتم، فتغطّى

١ - ينظر: التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي: ١٠.

٢ - المصدر نفسه: ١١٣/١.

٣ - ينظر: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتعييدها: ١٥٣.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٥٦/٩.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

بثوبه مفكرًا كما يفعل المغموم، فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه، وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول، من دثره^(١).

ولعل من أهم الوظائف النحوية التي يتطلب فيها الاشتقاق الإشارة إلى لفظة (التسبيح) في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]، قال أبو السُّعُود: "سبحان علمٌ للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينًا، وجنسًا لا شخصًا... وانتصابه بفعل متروك الإظهار تقديره أسبح الله سبحان إلخ، وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السَّبْح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض، ومنه فرسٌ سَبُوحٌ أي واسعُ الجري، ومن جهة النّقلِ إلى التّفعيل، ومن جهة العدولِ من المصدرِ إلى الاسمِ الموضوع له خاصة ولا سيما وهو علمٌ يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذّهن، ومن جهة قيامه مقام المصدرِ مع الفعلِ، وقيل: هو مصدرٌ كغفرانٍ بمعنى التّنزه ففيه مبالغة من حيث إضافة التّنزه إلى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عُطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى، كأنّه قيل: تنزه بذاته وتعالى"^(٢).

ويظهر للباحث أنّ عبارة أبي السُّعُود تحمل عمقًا في توجيه المعنى والأثر البلاغي للاشتقاق في اللغة العربيّة، إذ درس مفهوم لفظة (السَّبْح) بوصفه مصدر يشير إلى الذهاب والإبعاد في الأرض، ومنه تشتق كلمات مثل (سبوح) التي تعني واسع الجري، كما يظهر النص كيف يتحوّل المصدر إلى اسم موضوعي يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذّهن، وإلى التنزيه البليغ لله تعالى عن كلّ ما لا يليق به، وهذا يبرز القوة البلاغية للغة العربيّة وقدرتها على التعبير عن المفاهيم الدّينية والفلسفيّة بطريقة دقيقة وعميقة.

^١ - الكشف: ٦٤٥/٤، وينظر: مفاتيح الغيب: ٦٩٧/٣، والبحر المحيط: ٣٢٤/١٠.

^٢ - إرشاد العقل السليم: ١٧٣/٥.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

٢ - الزيادة أو الإلصاق:

هي إلحاق الكلمة الأصلية، من الحروف ما ليس منها؛ لتأدية غرض ما فاللفظة المفردة لها معنى أساس نواته الجذر المجرد، ثم تدخل عليه الزوائد؛ لمعانٍ تفصيلية مثل: أَعْلَمَ، اسْتَعْلَمَ، تعالَمَ، فالزيادة اللفظية قد أضافت للمعنى الأصل بُعْداً ما^(١)، وتتجلى الزيادة لتأدية غرضين "غرض لفظي؛ لتكثير الصيغ، وآخر معنوي؛ لتكثير المعاني"^(٢)، وتتحقق هذه الزيادة بوسيلتين:

إحداهما: أن تكون بإضافة حروف الزيادة إلى أصل الكلمة أو جذرها الثلاثي، فتصاغ أبنية جديدة بمعانٍ مختلفة لم تكن موجودة في الأصل، والحكم على هذه الحروف بالزيادة، فتكون ذات معنى عند تجريدتها منها^(٣).

وللصيغ الصرفية أثر في بيان المعنى الوظيفي النحوي، وهذا ما اعتمده أبو السُّعُود في تحليله للصيغ الفعلية، ففي قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمٌ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، إذ قال: "الصَّمِيرُ مبتدأً وأقربُ خبره واللامُ في للكفر وللإيمان متعلّقة به وكذا يَوْمٌ ومنهم، وعدمُ جوازِ تعلقِ حرفين متّحدين لفظاً ومعنى بعامل واحدٍ بلا عطفٍ أو بدليةٍ إنّما هو فيما عدا أفعالِ التفضيلِ من العوامل، لاتحادِ حيثيةِ عملها، وأمّا أفعالُ التّفضيلِ فحيث دلّ على أصلِ الفعلِ وزيادته جرى مجرى عاملين كأنّه قيل: قربهم للكفر زائدة على قربهم للإيمان..."^(٤)، وقال أبو البقاء: "وجاز أن يعمل (أقرب) فيهما لأنهما يُشَبَّهان الظرف، وكما عمل (أطيب) في قولهم: هذا بُسْراً أطيّب منه رُطباً في الظرفين المقدّرين؛ لأنّ (أفعل) يَدُلُّ على معنيين: على أصل الفعل وزيادته، فيعملُ في كلّ واحدٍ منهما بمعنى غير الآخر، فنقديزه: يَزِيدُ قُرْبَهُمْ إلى الكفر على قُرْبِهِمْ إلى الإيمان"^(٥).

١ - ينظر: شرح المفصل: ٣١٤/٥، والتفكير العلمي في النحو العربي، د. حسن الملوخ: ١٣٥.

٢ - القرينة في اللغة العربية: ٧٦.

٣ - ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ٦٩، والقرينة في اللغة العربية: ٧٦.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١٢٦/٢-١٢٧.

٥ - التبيان في إعراب القرآن: ٣٠٨/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

والَّذي يُفهم أنّ الوظيفة النّحويّة لكلمة(أقرب) لا يجوز أن يتعلّق بها حرفا جر متحداً لفظاً ومعنىّ بعامل واحد، إلّا أن يكون أحدهما معطوفاً على الآخر أو بدلاً منه، ما عدا الأفعال التّفضيليّة؛ لأنّ فيها قوة عاملين، أصل الفعل وزيادته، وهذا ما يميزه عن الأفعال الأخرى.

أمّا الوسيلة الثّانية، فتكون بإضافة حروف الزّيادة إلى الصّيغ الصّرفيّة المجرّدة والمزيدة، لتدلّ على معنى لا يُفهم إلّا بها، ويدخل هذا الضّرب من الزّيادة ضمن اللواحق التي تقسم على قسمين^(١):

أحدهما: اللواحق التّصريفيّة، مثل ذلك: علامات التّثنية، والجّمع، والتّأنيث، ولواحق الفعل المضارع.

والثّاني: اللواحق الاشتقاقيّة، تتمثّل في المشتقات نحو: اسم الفاعل، والمفعول، والصّفة المشبّهة، وغيرها من المشتقات.

وقد رصد أبو السّعود مجموعة من الصّيغ الصّرفيّة مبينا علاقتها بالتركيب النّحويّ في أثناء تحليله للنصوص اللّغويّة، ومن ذلك تحليله لصيغة اسم الفاعل(الظّالم) في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظّالِمِ أَهْلُهَا ﴾[النساء: ٧٥]، إذ قال: "بالشّرك الذي هو ظلمٌ عظيمٌ، وبأذيّة المسلمين، وهي مكّة والظّالم صفتها، وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإنّ اسم الفاعل والمفعول إذا أُجري على غير مَنْ هُوَ له كان كالفعل في التذكير والتّأنيث بحسب ما عمل فيه"^(٢)، فالألف واللام في (الظّالم) موصولة بمعنى التّي، أي: التّي ظلم أهلها، ولم يؤنّث اسم الفاعل، وإن كان نعتاً للقرية في اللفظ؛ لأنّه قد عمل في الاسم الظاهر المذكور، وهو أهلٌ، ودُكر لإسناده إلى الأهل، كما تقول: مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ التّي ظَلَمَ أَهْلُهَا، ولو أُنْثِ فَقِيلَ: الظّالمةُ أَهْلُهَا^(٣).

^١ - ينظر: التفكير اللغوي، كمال بشر: ٣٢-٣٤، القرينة في اللغة العربية: ٧٧.

^٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٣٢/٢.

^٣ - ينظر: الكشف: ٥٣٤/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٣٧٣/١، والدر المصون: ٣٨/٤.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

وقد رصد أبو السُّعود مجموعة من الصِّيغ الصرفية مبيِّناً علاقتها بالتركيب النحوي في أثناء تحليله للنصوص اللُّغوية، ومن ذلك تحليله لصيغة اسم الفاعل (الظَّالم) في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥]، إذ قال: "بالشَّرك الذي هو ظلمٌ عظيمٌ، وبأذية المسلمين، وهي مكة والظالم صفتها، وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإنَّ اسمَ الفاعل والمفعول إذا أُجريَ على غير مَنْ هُوَ له كان كالفعل في التذكير والتأنيث بحسب ما عمل فيه"^(١)، فالألف واللام في (الظَّالم) موصولة بمعنى التي، أي: التي ظلم أهلها، ولم يؤنث اسم الفاعل، وإن كان نعتاً للقرية في اللفظ؛ لأنَّه قد عمل في الاسم الظاهر المذكور، وهو أهلٌ، وذُكِرَ لإسناده إلى الأهل، كما تقول: مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ التي ظَلَمَ أَهْلُهَا، ولو أُنِثَ ففعل: الظالمةُ أَهْلُهَا^(٢).

وقد يتَّخذ أبو السُّعود من القرينة الصرفية وسيلة للحكم في التركيب النحوي، ومن ذلك ما توجه لديه في كلمة (جاعل) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، إذ قال: "صيغةُ الفاعل بمعنى المستقبل، ولذلك عملت عمله، وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه فاعلٌ ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التَّصيير المتعدِّي إلى مفعولين، ففعل: أولهما خليفةٌ وثانيهما الظرفُ المتقدِّم على ما هو مقتضى الصَّنَاعة..."^(٣)، فصيغة (جاعل) تعبر عن فعل سيحدث في المستقبل، وهي تختلف عن صيغة المضارع، إذ لا تحمل صيغة المضارع الدلالة نفسها على حدوث الفعل، ويستعمل الجعل في هذه الحالة للتأكيد على حدوث الفعل مستقبلاً، ويمكن تفسيره بمعنى التَّصيير المتجه نحو مفعولين، إذ يمكن أن يكون المفعول الأوَّل خليفة، والثَّاني الظرف المتقدِّم.

^١ - إرشاد العقل السليم: ٢٣٢/٢.

^٢ - ينظر: الكشف: ٥٣٤/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٣٧٣/١، والدر المصون: ٣٨/٤.

^٣ - إرشاد العقل السليم: ١٠٥/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ويمكننا القول إنَّ قرينة الصَّيْغة تقدِّم أدلَّة في الإجراء الإعرابي، وتوجه إلى تحديد كثير من الوظائف والعلاقات، وتُعين على الوصول إلى المعنى النَّحوي^(١).

٣- التَّحَوُّل الدَّاخِلِي:

تتألف بنية الكلمة من عنصرين، أحدهما الأصل الثَّابت وتمثِّله الحروف، والآخر متغيِّر تمثِّله الحركات التي تستقل بتوجيه الدَّلالة إلى حيث يريد المُتكلِّم^(٢)، فعندما يحدث تغيير في حركة الحروف داخل الكلمة يؤدِّي إلى تغيير الدَّلالة المعنويَّة للصيغة فتتحول الصَّيْغة إلى صيغة مغايرة، وبدلالة مختلفة تعويلاً على المصوتات أي: الحركات القصيرة والطويلة^(٣)، فالأصول (الجزور) هي الحروف المكوِّنة للكلمة، والحركات (الطَّويلة والقصيرة) هي التي تحدّد صيغها ودلالاتها؛ لأنَّها العامل الحاسم في تكوين الكلمة في العربية^(٤).

ولم يغفل أبو السُّعود عن رصد التَّحوُّلات الدَّاخِلِيَّة في البنية أثناء تحليله للنصوص التي تحتوي على ألفاظ تعبّر عن تحولات حركيَّة في بنيتها الصَّرفيَّة، مثل التَّأثير الدَّلاليّ للمصوت القصير، سواء أكان على مستوى الكلمة أم التَّركيب في لفظة (كره) في قوله تعالى: ﴿كَبَّ عَلَىٰكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، إذ قال في قوله تعالى ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾: "حالية أي والحال أنَّه مكروه لكم طبعاً على أنَّ الكُرْه مصدرٌ وُصف به المفعول مبالغة، أو بمعنى المفعول كالحُبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح^(٥) على أنَّه بمعنى المضموم كالضَّعف والضُّعف، أو على أنَّه بمعنى الإكراه مجازاً كأنَّهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم"^(٦).

١ - ينظر: التحليل النحوي أصوله وأدلته: ١٨٠، والبيان في روائع القرآن: ١٧.

٢ - ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ٤٣-٤٥.

٣ - ينظر: القرينة في اللغة العربية: ٧٧-٧٨، والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة: ٣٤-٣٥.

٤ - ينظر: كشف المشكل في النحو: ٢٣٠، والمنهج الصوتي للبنية العربية: ٤٣.

٥ - ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعون الزائدة عليها: ٥٠٣.

٦ - إرشاد العقل السليم: ٢٥٦/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ومن أمثلة ذلك ما توجه لدى أبي السُّعُود في صيغة (فاعلة)، فقد خرجت إلى معنى المصدر مرة، واسم الفاعل مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، إذ قال: "أي خيانة على أنها مصدرٌ كلاغية وكاذبة أو فعلة خائنة، أي ذات خيانة، أو طائفة خائنة أو شخص خائنة، على أن التاء للمبالغة، أو نفس خائنة، ومنهم متعلقٌ بمحذوف وقع صفة لها، خلى أن (من) على الوجهين الأولين ابتدائية، أي على خيانة أو على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم، وعلى الوجوه الباقية تبعية، والمعنى أن الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولأسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتُمونها فلا تزال ترى ذلك منهم" (١).

وممكن تحليل نصّ أبي السُّعُود على أن كلمة (خائنة) اسم فاعل، والتاء للمبالغة في توسيع المعنى، كراوية وواهة، أي على شخص خائن أو خائنة، أو أنها اسم مصدر، كالعاقبة والعافية، نحو: قم قائماً، ويؤيد ذلك قراءة الأعمش (على خيانة) (٢).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٢/٣.

٢ - ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: ١٨٥/١، والكشاف: ٦١٦/١، والتبيان في إعراب القرآن، العكبري: ٤٢٧/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ثانيًا - قرينة المطابقة:

المطابقة في اللغة: تأتي مادة (طبق) بداليتين معجميتين هما:

١- الموافقة: يقول ابن فارس: "الطاء والباء والقاف، أصل صحيح واحد، وهو يدلّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه"^(١)، ومنه قولهم: طابق بين قميصين، أي لبس أحدهما على الآخر، وطابقت المرأة زوجها إذا وافقته على أموره كلّها^(٢).

٢- التماثل والتساوي: قال الجوهري (ت٣٩٣هـ): "والمطابقة: الموافقة، والتطابق: الاتفاق، وطابقت بين الشيئين، إذا جعلتهما على حدٍ واحد وألزقتهما"^(٣).

أمّا المطابقة في الاصطلاح: فلم يضع النحاة القدماء تعريفًا محددًا لها إلا أنّهم أشاروا إليها في أثناء حديثهم، إذ جعلوا مصطلح (المطابقة) يستعمل للتعبير عن خصائص الانسجام والتآلف والتوافق بين العناصر اللغوية في الجملة، أو التركيب اللغوي، وهذا يدلّ على وجود علاقة بين مفهومها اللغوي والاصطلاحي، فمطابقة الشيء للشيء في اللغة تقترب من هذا المفهوم^(٤).

وقد ورد الحديث عن المطابقة عند النحاة القدماء متفرّقًا أثناء عرضهم مسائل نحوية متعدّدة، فنذكر سيبويه مفهوم المطابقة وأطلق عليه (هو هو) إذ قال: "اعلم أنّ المبتدأ لا بُدّ له من أن يكون المبنيّ عليه شيئًا هو هو"^(٥)، يقصد بذلك المطابقة بين المسند والمسند إليه أي المبتدأ والخبر، ومن النحاة الذين استعملوا مصطلح المطابقة رضي الدّين الاستراباذي في شرحه لكافية ابن الحاجب أثناء حديثه عن ضمير الشّأن

١ - مقاييس اللغة: ٣/٣٤٩ مادة (طبق).

٢ - ينظر: تاج العروس: ١٨٣/١٣-١٨٧ مادة (طبق)، والمحكم والمحيط الأعظم: ٢٩٢/٦ مادة (ط ب ق).

٣ - تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/١٥١٢ مادة (طبق).

٤ - ينظر: ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، حسين عباس، (أطروحة دكتوراه)، جامعة مؤتة، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٣م: ١٩، وقرينة المطابقة في النحو العربي، محمد بن صالح، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر باتنة/ الجزائر، ٢٠٠٩م: ١٥.

٥ - الكتاب: ١٢٧/٢.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

والقصة، إذ قال: "ويُختارُ تأنيث الضمير لرجوعه إلى المؤنث أي القصّة، إذا كان في الجملة المُفسّرة مؤنث، لقصد المطابقة... كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج ٤٦]"^(١).

وأول من حدّد هذا المفهوم من النّحاة المتأخّرين نور الدّين الجاميّ (ت ٨٩٨هـ) بقوله: "والمراد بالمطابقة: الاتفاق في الأفراد والنّثنية والجمع، والتذكير والتأنيث"^(٢)، فالمطابقة تُعدّ من القرائن الصّرفيّة الّتي تدلّ على وجود علاقة نحويّة بين العناصر المكوّنة للتركيب النّحويّ^(٣)؛ "لأنّها توثق الصّلة بين المتطابقين فتكون هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط في المعنى، وتكون قرينة لفظيّة على الباب الّذي يقع فيه ويعبّر عنه كلّ منهما، فبالمطابقة تتوثق الصّلة بين أجزاء التّركيب الّتي تتطلبها، وبدونها تتفكك العرى وتصبح الكلمات المترابطة منعزلاً بعضها عن بعض، ويصبح المعنى عسير المنال"^(٤).

ويشير التّطابق بين كلمتين أيضاً إلى انتماء إحداها إلى الأخرى، مع الاشتراك بمعانٍ عامّة، وإليه أشار الدكتور تمام حسّان بقوله: "المقصود بالمطابقة: الشّركة في أحد المعاني العامّة الّآتية: التّكلم وفرعيه، والأفراد وفرعيه، والتّعريف والتّكثير والتّأنيث، ثم الإعراب، فإذا تحققت الشّركة في بعض هذه المعاني لكلمتين، دلّ ذلك على انتماء إحداها إلى الأخرى، وبهذا تعين المطابقة على الكشف عن بعض المعاني"^(٥)، ولذا اتّخذها علم اللّغة الحديث "وسيلة في التّحليل الشكليّ للتراكيب اللّغويّة"^(٦).

ولقرينة المطابقة عناصر يُعبّر عنها بـ(المباني التّصريفيّة) ويستدلّ على تلك المباني باللواصق والزوائد الّتي تلحق أوّل الاسم أو الفعل، أو آخرهما نحو: (أل)

١ - شرح الرضي على الكافية: ٤٦٧/٢.

٢ - الفوائد الضيائية، نور الدين الجامي: ٤٠٨/٢.

٣ - ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: ٢٨٩.

٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٢-٢١٣.

٥ - مقالات في اللغة والأدب: ٣٥٧/١.

٦ - المنهج الوصفي في كتاب سيويه: ٢٥٤.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

التعريف وأحرف المضارعة، وتاء التانيث، وما يدلّ على التثنية والجمع، والضّمائر، فكلّمة (مسلم) يفهم منها التذكير والإفراد، فإذا أريد التانيث أضيفت إليه تاء التانيث (مسلمة)، إذا أريد التثنية أضيف إليها ما يدلّ على ذلك (مسلمان)، (مسلمتان)، فإذا أريد الجمع أضيف ما يناسبه من اللواحق، فمجال المطابقة هو الصيغ الصرفيّة، والضّمائر، فلا مطابقة في الأدوات، ولا في الظروف إلّا في النّواسخ المنقولة عن الفعلية، فإنّ علاقاتها السياقية تعتمد قرينة المطابقة^(١).

وتظهر مجالات المطابقة بين أجزاء التركيب التي تقع فيه، وهي تتمثّل في^(٢):

- النوع (التذكير، والتّانيث).

- العدد (الإفراد، والتثنية، والجمع).

- الشّخص (التكلم والخطاب والغيبة).

وتتّضح عناصر المطابقة، في حالات اسناد الفعل إلى الفاعل أو نائب الفاعل، وفي المبتدأ والخبر، وفي الحال وصاحبه، وفي النّعت والمنعوت الحقيقي، وفي أبواب أخرى ربّما تكون فيها المطابقة من نوع ما^(٣).

وقد تكون المطابقة كلّية، أي في المجالات الخمسة المتقدّمة، أو جزئية، في مجال، أو مجالين، مثل ما نجده في المبتدأ والخبر والمعطوف عليه، والفعل والفاعل، "وقد تظهر عوامل التّطابق مجتمعة أو قد يظهر بعضها فقط ولكنها في كلتا الحالتين تجعل السياق متماسكًا وتضفي عليه تجانسًا شكليًا معيّنًا"^(٤).

والملاحظ أنّ أبا السّعود اهتمّ بهذه القرينة، فإذا حصل تطابق بين ركني الجملة، يصبح فهم النّصّ أسهل وأكثر وضوحًا بقدر تعلّق النّصّ بالمطابقة، أمّا إذا كانت

^١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٢، وأثر القرائن في تفسير البحر المحيط (أطروحة دكتوراه): ١٨٣.

^٢ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١١-٢١٢.

* أغفل البحث المطابقة في العلامة الأعرابية تجنبًا للتكرار؛ لأنّها ستتّضح في باب التّوابع.

^٣ - ينظر: القرائن النحوية وإطراح العامل الأعرابيين التقدير والمحلّي (بحث): ٤٧.

^٤ - الألسنية العربية، ريمون طحان: ٣٩.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

المطابقة غير واضحة فإنه يلجأ إلى التأويل والتقدير لفهم المعنى، متى ينسجم الكلام إلى المطابقة، ويظهر ذلك جلياً عن طريق:

المطابقة بين المسند والمسند إليه:

تتألف الجملة العربية من ركنين أساسيين هما: المسند إليه والمسند، فالمسند هو المخبر به؛ أي: المتحدث به وهو (الخبر، أو الفعل)، والمسند إليه، هو المخبر عنه؛ أي المتحدث عنه (المبتدأ أو الفاعل)^(١)، وكل من هذين الركنين عمدة لا تقوم الجملة إلا به^(٢)، والإسناد إما أن يكون في الجملة الاسمية، أو في الجملة الفعلية .

أ- المطابقة في الجملة الاسمية:

اشتراط النّحاة المطابقة بين المبتدأ والخبر في الجنس والعدد، سواء أكان المبتدأ نكرة أم معرفة؛ "لأنّ الابتداء إنّما هو خبرٌ، وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدئ بالأعرف؛ وهو أصل الكلام"^(٣)، وهذا ما نصّ عليه جمهور النّحويين فـ "حق المبتدأ أن يكون معرفة أو ما قارب المعرفة... وإنّما امتنع الابتداء بالنّكرة المفردة المحضة؛ لأنّه لا فائدة فيه... فإذا اجتمع اسمان معرفة ونكرة، فحقّ المعرفة أن تكون هي المبتدأ، وأن تكون النّكرة الخبر"^(٤).

ومما جاء ما ظاهره أنّ المبتدأ نكرة في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، حاول أبو السّعود تحليل كلمة (قتال) بما يسوّغ جواز الابتداء بالنّكرة، فقال: "بدلُ اشتمالٍ من الشّهر، وتكثيره لما أنّ سؤالهم كان عن مُطلق القتال الواقع في الشّهر الحرام لا عن القتال المعهود، ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشّهر الحرام"^(٥)، وقرئ (قتال) بالرفع وهي قراءة شاذّة فهو خبر لمبتدأ

١ - ينظر: مناهج البحث في اللغة: ٢٠٤.

٢ - ينظر: الجملة العربية (مكوناتها - أنواعها - تحليلها) د. محمد إبراهيم: ٣٣-٤٤.

٣ - الكتاب: ٣٢٨/١.

٤ - الأصول في النحو: ٥٩/١، وشرح الرضي على الكافية: ٢٣١/١، والأصول (دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، د. تمام حسان: ١٣٥.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٢٥٦/١.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

محذوف مسبوق بهمزة الاستفهام، على تقدير: أجاز قتال فيه^(١)، ولكن الرفع في (قتال) عند النحاس "غامض في العربية، والمعنى فيه يسألونك عن الشهر الحرام أجاز قتال فيه، فقوله: يسألونك يدل على الاستفهام"^(٢).

ويرى أبو حيان أن (قتال) مبتدأ، وإنما سوغ جواز الابتداء به وهو نكرة؛ أنه على نية همزة الاستفهام، أي: أقتال فيه^(٣).

وذكر أبو السعود أن جملة (قتال فيه كبير) "من مبتدأ وخبر محلها النصب بـ(قل)، وإنما جاز وقوع (قتال) مبتدأ مع كونه نكرة لتخصّصه إمّا بالوصف إن تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له أي: قتال كائن فيه، وإمّا بالعمل إن تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له أي: قتال كائن فيه، وإمّا بالعمل إن، وإنما أوتر التثنية احترازًا عن توهم التعيين وإيذانًا بأن المراد مطلق القتال الواقع فيه أي قتال كائن"^(٤)، ويرى الفخر الرازي أن اللفظ إذا تكرر وكانا نكرتين كان المراد بالثاني غير الأول، وهذا فيه تنبيه على أن القتال الذي يكون كبيرًا ليس هو هذا القتال الذي سألت عنه، بل هو قتال آخر؛ لأن هذا القتال كان الغرض به نصره الاسلام فكيف يكون هذا من الكبائر؟^(٥)، ويجوز الابتداء بالنكرة لأحد وجهين: إمّا الوصف، إذا جعلنا قوله: (فيه) صفة له، وإمّا التخصيص بالعمل، إذا جعلناه متعلقًا بقتال^(٦).

ومثل هذا التحليل نلمسه في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، قال أبو السعود: "...أقحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله، وقيل لمّا وصفت الأعناق بصفات العقلاء أُجريت مجراهم في الصيغة أيضًا"^(٧)، فثمة مخالفة وقعت في قرينة المطابقة بين

١ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١/١٧٤.

٢ - إعراب القرآن، النحاس: ١/١١٠.

٣ - ينظر: البحر المحيط: ٢/١٥٤، اللباب في علوم الكتاب: ٤/٤.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١/٢٥٦.

٥ - ينظر: مفاتيح الغيب: ٦/٣٨٨.

٦ - ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤/٥.

٧ - إرشاد العقل السليم: ٦/٢٥٥.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

لفظتي (خاضعين) و(الأعناق) فأخبر بلفظ المذكر عن المؤنث، وأصل الكلام: فظلوا لها خاضعين، فذكرت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله، كقوله: ذهبت أهل اليمامة، كأنَّ الأهل غير مذكور^(١)، وذكر السمين الحلبي أنَّ تذكير (خاضعين) وعدم مطابقتها لـ(الأعناق) فيها وجهان^(٢):

الأوّل: أنّه خبر عن (أعناقهم)، واستشكل جمعه جمع سلامة؛ لأنّه مختصّ بالعقلاء؛ لأنَّ الأعناق جمع عُقْ من النَّاس، وهم الجماعة، أو على تقدير حذف مضاف، أي: فظلَّ أصحاب الأعناق، أو أنَّ (الأعناق) لَمَّا أُضيفَتْ إلى العقلاء اكتسبت التذكير، كما يُكتسب التأنيث بالإضافة لمؤنث، قال أبو عبيدة: "إنَّ خاضعين ليس من صفة الأعناق، وإنّما هي من صفة الكناية عن القوم التي في آخر الأعناق فكأنّه في التمثيل: فضلت أعناق القوم في موضع (هم) والعرب قد تترك الخبر عن الأوّل، وتجعل الخبر للآخر منها"^(٣).

والثاني: أنّه منصوبٌ على الحال من الضمير في (أعناقهم) لا لـ(الأعناق)، هذا الرأي ذكره الكسائي، وضعفه أبو البقاء العكبري؛ "لأنَّ (خاضعين) يكون جاريًا على غير فاعل (ظَلَّتْ) فيفتقر إلى إبراز ضمير الفاعل، فكان يجبُ أن يكونَ (خاضعين هم)"^(٤).

وهنا تظهر أهميّة المطابقة في توجيه المعنى عند أبي السُّعود، فقد لجأ إلى التفسير بالحمل على المعنى عندما خرقت قاعدة المطابقة في النوع (التذكير والتأنيث)، فعندما جاء الخبر (خاضعين) بصيغة المذكر وهو يخبر عن مؤنث هي (الأعناق).

ومن ذلك اعتماد أبي السُّعود التّأويل بالحمل على المعنى في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، إذ قال: "تذكير قريب لأنَّ الرَّحْمَةَ بمعنى الرَّحْم، أو لأنّه صفةٌ لمحذوف أي أمرٌ قريبٌ، أو على تشبيهه

١ - ينظر: الكشف: ٢٩٩/٣، ومفاتيح الغيب: ٢٤ / ٤٩١.

٢ - ينظر: الدر المصون: ٥١٠-٥١١.

٣ - مجاز القرآن: ٨٣/٢.

٤ - التبيان في إعراب القرآن: ٩٩٣/٢.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

بفعيل الذي هو بمعنى مفعول، أو الذي هو مصدر كالنقيض والصَّهْل، أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره أو لاكتسابه التذكير من المضاف إليه كما أنَّ المضاف يكتسب التأنيث من المضاف إليه^(١)، وهذا التوجيه ذهب إليه غير واحد من المفسرين والتَّحويين^(٢).

وذكر أبو عبيدة أنَّ (قريب) في الآية ليس بصفة للرحمة، وإنَّما هو ظرف لها وموضع، فجاءت مع المؤنث والاثنتين والجمع بلفظ واحد، فإن جعلوها صفة بمعنى مقتربة، قالوا: قريبة وقريبتان وقريبات^(٣)، وقد تطفَّن الفراء بما استقراه من كلام العرب إلى أنَّ (قريب) إذا كان المراد به قرابة النسب يجب أن تؤنثه العرب، فتقول: دارك منَّا قريب، أو فلانة منك قريب، أمَّا إذا كان المقصود غير ذلك فإنَّ العرب يستعملونها لكلا الجنسين^(٤).

أمَّا الزمخشري فقد ذهب إلى أنَّ كلمة (قريب) صفة لموصوف محذوف، على تقدير: شيء قريب^(٥)، ويرى أبو حيان أنَّ (الرحمة) مؤنثة فقياسها أن يخبر عنها إخبار المؤنث، فتقول: قريبة^(٦).

ويبدو أنَّ أبا السَّعود حلَّ كلمة (قريب) حملاً على المعنى وهي مفرد مذكر على الرغم من أنَّها تعود على مؤنث (رحمة) وكان مقتضى القاعدة تأنيثها؛ ليقع التوافق من حيث النوع بين التذكير والتأنيث، فصار هذا التفاوت مدعاة للتأويل والتقدير بما يوافق الكلمتين من المطابقة، فكان الكلام عنده على توجيهات عدَّة لتوضيح الدلالة، ففي دلالة (رحمة) أوردها بمعنى الرَّحم، أو لأنَّه صفةٌ لمحذوف أي أمرٌ قريبٌ، أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول، أو مصدر، أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره.

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٦٧/٣.

٢ - ينظر: الخصائص: ٤١٣/٢، والكشاف: ٥٧١/٣، والأشباه والنظائر: ٢٣٥/٣.

٣ - ينظر: مجاز القرآن: ٢١٦-٢١٧.

٤ - ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٣٨٠-٣٨١.

٥ - ينظر: الكشاف: ١١١/٢.

٦ - ينظر: البحر المحيط: ٧١/٥.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

ب - المطابقة في الجملة الفعلية:

تتم المطابقة في الجملة الفعلية بين الفعل المسند والفاعل، أو نائبه "ما أسند إليه الفعل أو شبهه، على جهة قيامه به أي على جهة قيام الفاعل بالفعل ليخرج عنه مفعول ما لم يسم فاعله"^(١)، ويكون الإسناد الفعلي هو القرينة الكبرى التي تربط الفعل بالفاعل، وتجعل الفاعل هو الذي يقوم بالفعل، أو يتّصف به، وصلة الفعل بالفاعل تعتمد أساساً على قرينة المطابقة^(٢)، وتفتقر الجملة الفعلية إلى التّعيين (التّعريف والتّكثير)؛ لأنّه مختصّ بالأسماء من دون الأفعال، فلا تطابق بين الفعل وفاعله من حيث التّعيين .

ويجب أن يتطابق الفعل مع فاعله أو نائبه في النوع (التذكير والتأنيث)، فإذا كان الفاعل مذكراً فإنّ الفعل يجب أن يكون خالياً من أداة التأنيث، وإذا كان الفاعل مؤنثاً فإنّ الفعل يجب أن يحمل علامة التأنيث، وعندما يكون الفعل بمعزل من الضمير فإنّه لا يأتي بعلامة تنثية أو جمع، مثل قولنا: (زيد قام)، (الزيدان قام)، (الزيدون قام)، بلفظ الواحد في (قام)^(٣).

والتطابق في التذكير والتأنيث مطرد بين المسند والمسند إليه عندما يكون الخبر جملة فعلية، نقول: (هند قامت) فتقدّم الاسم على الفعل يوجب تطابقهما في التأنيث وكذلك إذا تأخر المسند إليه فهو مؤنث تأنيثاً حقيقياً غير منفصل عن الفعل سواء أكان مفرداً أم جمعاً^(٤).

وتطابق الفعل مع فاعله هو الأصل في العربية، أمّا إذا حصل عدول في ذلك التطابق فيرجع إلى التقدير والتأويل، ففي قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، يرى أبو السُّعود أنّ التاء في (تطهرهم) تتأرجح بين أن تكون ضميراً للصدقة، وبين أن تكون ضميراً للمخاطب، قائلاً: "والتاء للخطاب والفعل

١ - التعريفات: ١٦٦.

٢ - ينظر: الوظائف الدلالية للجملة العربية، محمد رزق: ٨٠.

٣ - ينظر: اللمع في العربية، ابن جني: ٣٣، وأوضح المسالك: ٩٨/٢.

٤ - ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: ٢١٨.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

مجزومٌ على أنه جوابٌ للأمر، وقرئ بالرفع على أنه حالٌ من ضمير المخاطب في خذ أو صفةً لصدقةً والتاء للخطاب أو للصدقة والعائد على الأول محذوفٌ ثقةً بما بعده، وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره^(١).

فإذا كانت التاء ضميرًا للمخاطب كان الفاعل مفردًا مذكرًا مخاطبًا، وهو النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا كانت ضميرًا للصدقة كان الفاعل مفردًا مؤنثًا غائبًا، فعلى الأول تكون الجملة في محلٍ نصبٍ على الحال من فاعل(خذ)، ويجوز أن تكون صفةً لـ(صدقة)، ولا بُدَّ من حذف عائد تقديره تطهرهم بها، وحذف(بها) لدلالة ما بعده عليه، وعلى الثاني تكون الجملة صفةً لصدقة ليس إلا^(٢).

ويبدو أن هذا اللبس الحاصل بين كون(التاء) في الفعل(تطهر) عائد على الصدقة مرة، أو للرسول مرة أخرى، سببه الصيغة الصرفية للفعل(طهر)، إذ يكون الفعل مشتركًا بين المفرد المؤنث الغائب، والمفرد المذكر المخاطب، ولا يفرق بينهما في هذه الحالة إلا بتعيين المرجع الذي يشير إليه الفعل.

وفي توجيه حذف التاء من الفعل(قال) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠]، قال أبو السُّعُود: "النِّسْوَةُ اسمٌ مفردٌ لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللِّمَّة وهي اسمٌ لجماعة النساء، والثُّبَّة وهي اسم لجماعة الرجال، ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث"^(٣)، ويرى الواحدي أن تقديم الفعل يدعو إلى اسقاط علامة التأنيث على قياس اسقاط علامة التثنية والجمع^(٤).

فعدم المطابقة في النوع بين الفعل والفاعل في الجملة الفعلية جائزٌ في حالة كون الفاعل مؤنثًا والفعل خاليًا من علامة التأنيث، فإن تأنيث المذكر ضعيف؛ لأن فيه ترك الأصل إلى الفرع^(٥)، وأشار إلى ذلك سيبويه بعدم المطابقة بين المسند والمسند إليه الظاهر اكتفاء بالمؤنث، قائلا: "وإنما حذفوا التاء لأنهم صار عندهم إظهار

١ - إرشاد العقل السليم: ١١٣/٤.

٢ - ينظر: الكشف: ٣٠٧/٢، والدر المصون: ١١٥/٦-١١٦،

٣ - إرشاد العقل السليم: ٩٢٨/٤.

٤ - ينظر: تفسير البسيط: ٤٤٣/١، ومفاتيح الغيب: ٤٤٧/١٨.

٥ - ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري: ١٠٣/٢.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء كما كفاهم الجميع والاثتان حين أظهرهم عن الواو والألف^(١)، وعليه جلّ علماء النحو^(٢).

فمّا جاء على ذلك ذهاب أبو السّعود في تحليله إلى حمل ذلك على المعنى أو التأويل في قراءة بعض القراء^(٣) لكلمة (يلتقطه) في قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠]، إذ قال: "وقرئ تلتقطه على التّأنيث لأنّ بعض السّيارة سيارة كقوله: كما شرقت صدرُ القناة من الدّم^(٤)، ومنه قُطعت بعضُ أصابعه"^(٥)، وهذا ما قال به الزّجاج والنّحاس^(٦)، فعندما أُضيفت (السّيارة) إلى (بعض) اكتسبت التّأنيث، والمضاف يكتسب أحكام المضاف إليه، قال سيبيويه: "إنّما أنت البعض؛ لأنّه أضافه إلى مؤنث هو منه، ولو لم يكن منه لم يؤنثه"^(٧).

وأما التّطابق العددي بين الفعل والفاعل، فلم يكن شرطاً أساسياً عند جمهور النّحاة فعندما يُسند الفعل إلى فاعل مثني أو مجموع يجب تجريد الفعل من علامة التّثنية أو الجّمع، اكتفاء بدلالة الفعل الظّاهر على العدد عن إلحاق علامة التّثنية أو الجّمع^(٨). وقد تحدث المطابقة بين المسند والمسند إليه في العدد على لغة قليلة عرفت بلغة (أكلوني البراغيث)، وهي لغة لا يقاس عليها^(٩)، وهذا ما نلمحه عند أبي السّعود في

١ - الكتاب: ٥٣/١.

٢ - ينظر: الأصول في النحو: ٤٧٦/٣، وشرح المفصل: ٣٧٦/٣، وشرح الكافية الشافية: ٣٤١/٣، ومغني اللبيب: ٦٦٢/٢، وشرح شذور الذهب: ٢٣٠.

٣ - وهي قراءة الحسن البصري ومجاهد وقتادة وأبو رجاء (تلتقطه) بالتاء، ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه: ١٧٧، والمحرر الوجيز: ٢٢٢/٣.

٤ - ديوان الأعشى: ١٢٣.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٢٨٣/٤.

٦ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٩٤/٣، وإعراب القرآن، النحاس: ٣١٦/٢.

٧ - الكتاب: ٥١/١.

٨ - ينظر: الكتاب: ٣٨/٢، واللمع في العربية: ٣١.

٩ - ينظر: الكتاب: ١٩/١، ٧٨، ٤١/٢، ومغني اللبيب: ٤٧٨/١ - ٤٧٩.

الفصل الأول :..... أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

تحليله لقراءة بعض القراء^(١)، في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، إذ قال: "...أريد بالإفلاح حقيقة الدُّخول في الفلاح الذي لا يتحقق إلا في الآخرة فالإخبار به على صيغة الماضي الدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وإن أريد كونهم بحالٍ تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها، وقرئ أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على أكلوني البراغيث"^(٢).

وأشار أبو السُّعود^(٣) في موطن آخر إلى جواز كون الواو علامة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣]، وهذا ما جوزه القراء والأخفش والعكبري أن يكون (الذين) فاعل (أسروا)، و(الواو) في الفعل (أسروا) علامة الجمع على لغة أكلوني البراغيث^(٤).

وقال الألوسي: "والواو حرف دال على الجمعية كواو قائمون وتاء قامت، وهذا على لغة أكلوني البراغيث وهي لغة لأزد شنوءة"^(٥).

ويتبين نوع المطابقة في صيغة أفعال التفضيل (أشقاها) في قوله تعالى: ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]، قال أبو السُّعود: "...إنَّ أفعال التفضيل إذا أضيفَ يصلح للواحد والمتعدّد والمذكر والمؤنث وفضلُ شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكلّ في الرضا به"^(٦).

١ - وهي قراءة طلحة بن مصرف بالواو (أفلحوا)، ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١٨٣.

٢ - إرشاد العقل السليم: ١٣٦/٦.

٣ - المصدر نفسه: ٢٠٩/٥.

٤ - ينظر: معاني القرآن، القراء: ٣١٧/١، ومعاني القرآن، الأخفش: ٦٣٢/٢، وإملاء ما من به الرحمن، العكبري: ٣٧٦.

٥ - روح المعاني: ١٣/١٧.

٦ - إرشاد العقل السليم: ١٥٣/٩.

الفصل الأول: أثر القرائن الصوتية والصرفية في توجيه المعنى

فقد جاءت صيغة التفضيل (أشقاها) بالإفراد ولم تأتِ على التثنية أو الجمع، قال الفراء: "ولم يقل: أشقيّاها، وذلك جائز لو أتى"^(١)، والمقصود بأشقاها: أنّهما كانا اثنين فلان بن دهر والآخر قدار بن سالف^(٢).

ويرى الرازي أنّ قوله (أشقاها) فيه قولان: "أحدهما أنّه شخص معين واسمه قُدارُ بن سالفٍ ويضرب به المثل يقال: أشأُ من قُدارٍ، وهو أشقى الأولين والآخرين بفتوى من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والثاني: يجوز أن يكونوا جماعة، وإنّما جاء على لفظ الوجدان لتسويتك في أفعال التّفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول: هذا أفضل النّاس وهؤلاء أفضلهم، وهذا يتأكّد بقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤] وكان يجوز أن يقال أَشَقَّوْهَا كما يُقال أفاضلهم"^(٣)، فعلى القول الأوّل تكون المطابقة في الإفراد، والثاني في الجمع.

^١ - معاني القرآن، الفراء: ٢٦٨/٣.

^٢ - ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٢٦٨/٣، وإرشاد العقل السليم: ١٥٣/٩.

^٣ - مفاتيح الغيب: ١٧٩/٣١.

الفصلُ الثاني

أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

توطئة:

المبحث الأول: القرائن اللفظية

أولاً: قرينة العلامة الإعرابية

ثانياً: قرينة الرتبة

ثالثاً: قرينة الربط

رابعاً: قرينة التضام

المبحث الثاني: القرائن المعنوية

أولاً: قرينة الإسناد

ثانياً: قرينة التخصيص

ثالثاً: قرينة التبعية

رابعاً: قرينة النسبة

الفصل الثاني:.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

القرينة النحوية

توطئة:

تُعَدُّ القرينة النحوية من أهم القرائن الأساسية التي تُسهم في توضيح المعنى وتُعين على فهمه في ضوء العلاقات النحوية بين الكلمات، إذ تأخذ كل كلمة في الجملة موقعاً وظيفياً محدداً وفقاً لقوانين اللغة^(١)، وهذا يُسهم في تحقيق التوازن والانسجام في البناء اللغوي، مما يجعل فهم النصوص أكثر سهولة ووضوحاً.

وقد اهتمت الدراسات القديمة بالنحو اهتماماً كبيراً، إذ يُعَدُّ أساس علوم العربية وقانونها الذي يحكم بين أجزائها، وعرفه ابن جني بأنه "انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك"^(٢).

وقد أكد عبد القاهر الجرجاني على أهمية النحو في نظم الكلام عندما قال: "اعلم أن ليس (النظم)، إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله..."^(٣)، ولذا اهتمت الدراسات الحديثة بالبحث في العلاقات والروابط الداخلية بين مكونات التراكيب النحوية في الجمل أو العبارات، إذ يمكن تفسير بعض الوحدات اللغوية عن طريق السياق الذي تظهر فيه^(٤)، وهذا يسمح بفهم أعمق للبنية اللغوية وكيفية تأثير العناصر المختلفة بعضها في بعض في النصوص. وعُرف علم النحو عند المحدثين بأنه: "العلم الذي يختص بقواعد اللغة التركيبية"^(٥)، أو: "هو العلم الباحث في التراكيب، ومن ثم كان معروفاً عند بعضهم

١ - ينظر: الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد: ١٩٤.

٢ - الخصائص: ٣٥/١.

٣ - دلائل الإعجاز: ٨١.

٤ - ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز: ١١٢.

٥ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة: ١١٤.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

بعلم التراكيب^(١)، ويقوم ببحث العلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة وبيان وظائفها التركيبية^(٢).

فالغاية التي يسعى إليها القارئ هي فهم النص، ووسيلته إلى ذلك أن ينظر في العلامات المنطوقة أو المكتوبة في النص ليصل بوساطتها إلى تحديد المبنى، وأن الوصول إلى المبنى بوساطة العلامة الإعرابية، ليس من العمليات العقلية الكبرى في التحليل؛ لأنها مسألة تعتمد على الإدراك الحسي بوساطة السمع أو البصر^(٣)، وهذا ما يقصد به القرائن اللفظية في الجملة الموضحة للمعنى، وما هو أكثر صعوبة من الإدراك من غير شك، هو القفز العقلي من المبنى إلى المعنى ووسيلة الوصول إلى هذا المعنى المحدد هي استعمال القرائن اللفظية والمعنوية، فالجملة نظام متكامل، ولكل نظام قواعد خاصة به، واصطلاح على هذه القواعد، مصطلح العلاقات النحوية، وهي قرائن لفظية، وقرائن معنوية^(٤)، وهذه القرائن تسهم في إدراك العلاقات السياقية القائمة بين تلك الألفاظ ثم معرفة المعاني النحوية.

وقد كانت هذه العلاقات النحوية بين أجزاء الجملة أو ما يسمّى بالقرائن النحوية الدليل الأقوى لدى أبي السُّعود في تحليل الآيات القرآنية، وتحديد معنى النص، وإمكانية توظيفها من قبل المفسر وتوجيه دلالتها، وهي على نوعين: قرائن نحوية لفظية، وقرائن نحوية معنوية.

١ - التفكير اللغوي بين القديم والحديث، كمال بشر: ١٨٣.

٢ - ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ١٢٣.

٣ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩١.

٤ - ينظر: المرجع نفسه: ١٩١، والقرينة في اللغة العربية: ٩١.

المبحث الأول

القرائن اللفظية

أولاً: قرينة العلامة الإعرابية:

تُعَدُّ العلامة الإعرابية من أهمّ القرائن في توجيه المعنى، وتتجلّى أهميّتها في كونها محوراً رئيساً ترتبط بمسائل النحو، ولا سيّما قضية العامل، والإعراب التقديرى والمحليّ، فضلاً عن أثرها الواضح في بيان المعاني النحوية^(١)، ف(الإعراب) يراد به (العلامة الإعرابية) فهو في اللغة "الإبانة والإفصاح (عن الشيء)... وأن لا تلحن في الكلام... والتعريب: تهذيب المنطق من اللّحن"^(٢)، وفي اصطلاح النحويين هو "اختلاف آخر الكلمة لاختلاف العامل فيها لفظاً أو تقديرًا"^(٣).

وقد وقف العلماء تجاه الإعراب فريقين:

الأول: الذين يقولون بالوظيفة الدلالية للإعراب، ومنهم: ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، والزجاجي (ت ٣٣٧هـ) وابن جني (ت ٣٩٢هـ) وابن فارس (ت ٣٩٥هـ).

يرى ابن قتيبة أنّ الإعراب يكون فارقاً بين المعاني المتكافئة، أي أنّ العبارة المجردة من الإعراب تحتل معاني متعدّدة، فيقول: "الإعراب الذي جعله الله شيئاً لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا فرق بينهما إذا تساوت حالهما في أماكن الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب"^(٤).

وأشار الزجاجي إلى أنّ العلامات الإعرابية دوال على المعاني النحوية لمفردات التركيب، فيقول: "إنّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة، ومفعولة، ومضافة، ومضافاً إليها ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلّة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تُنبئ عن هذه المعاني"^(٥).

١ - ينظر: الخلاصة النحوية، تمام حسان: ٣٤.

٢ - القاموس المحيط: ١١٣/١ مادة (عرب).

٣ - اللباب في علل البناء والإعراب: ٥٢/١.

٤ - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: ١٤.

٥ - الإيضاح في علل النحو: ٦٩.

وقال ابن جني في باب (القول على الإعراب): "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أَكْرَمَ سَعِيدٌ أَبَاهُ، وشكر سَعِيدًا أَبَوْهُ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان شَرْجًا واحدًا لا ستبهم أحدهما من صاحبه"^(١)، وأمّا ابن فارس فقد تنبّه إلى أهميّة الإعراب بوصفه وسيلة تكشف المقصود عن مراد المتكلم^(٢).

والثاني: الذين يرون أنّ ليس للإعراب أي أثر دلالي ومنهم: قطرب (ت ٢٠٦هـ) إذ يرى أنّ الحركات جيء بها للسرعة في الكلام، وللتخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام، فيقول: "وإنّما أعربت العرب كلامها؛ لأنّ الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضًا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطنون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقبًا للإسكان، ليعدل الكلام"^(٣).

أمّا في العصر الحديث فقد تابع الدكتور إبراهيم أنيس قطرب، إذ يرى أنّ الحركات الدلالية والنحوية لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير الغالب لوصل الكلمات بعضها ببعض، وتأكيد وظيفتها الصوتية فقط، وهي وصل الكلام والتخلص من الساكنين^(٤)، ويؤكد إبراهيم أنيس مذهبه قائلاً: "فليست حركات الإعراب في رأيي عنصرًا من عناصر البنية في الكلمات، وليست دلائل على المعاني كما يظن النحاة، بل إنّ الأصل في كلّ كلمة هو سكون آخرها، سواء في هذا ما يسمّى بالمبني أو المعرب، إذ يوقف على كليهما بالسكون، وتبقى مع هذا، أو رغم هذا، واضحة الصيغة لم تفقد من معالمها شيئاً"^(٥).

١ - الخصائص: ٣٦/١.

٢ - ينظر: التمهيد في هذه الدراسة: ٢٣.

٣ - ينظر: رأي قطرب نقله أبو القاسم الزجاجي في كتابه الإيضاح في علل النحو: ٧٠.

٤ - ينظر: من أسرار اللغة: ٢٣٧.

٥ - المصدر نفسه: ٢٢٨.

أمّا الدكتور تَمّام حَسّان فيرى أنّ العلامة الإعرابية من "كبرى الدّوال على المعنى"^(١)، وأنّها جزء من كلّ، وقرينة من القرائن التي لها أهمية في بيان المعنى مع غيرها من القرائن^(٢)، وأنّها تدلّ على أكثر من باب، فالضّمة والفتحة والكسرة كلّ منها لها أكثر من باب، فالمرفوع يكون فاعلاً ومبتدأً وخبراً وهكذا^(٣)، ويبيّن الدكتور تَمّام حَسّان اهتمامه بالقرائن الأخرى إذ يقول: "ولا أكادُ أملّ ترديد القول: إنّ العلامة الإعرابية بمفردها لا تُعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم(تضافر القرائن)، وهذا القول صادق على كلّ قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية"^(٤).

وقد أشار العلماء إلى دلالة العلامة الإعرابية فقالوا: الرّفْع علم الفاعليّة، والنّصب علم المفعوليّة، والجَر علم الإضافة، أو بمعنى أكثر دقّة: الرّفْع علم الإسناد، والنّصب علم التّخصيص، والجَر علم النّسبة^(٥)، وهذا تمييز مهمّ للعلامة الإعرابية؛ لأنّها إحدى القرائن التي تساعد على تحديد الحالة الإعرابية^(٦).

وقد اعتمد أبو السُّعود في تحليله النّحويّ على قرينة العلامة الإعرابية التي تعين على تحديد المعنى الوظيفي للمفردة في التراكيب المحلّلة في أثناء توجيهه للنصّ القرآني، وهو غاية التّحليل النّحويّ، ولعلّ من أمثلة ذلك ما توجّه لديه في كلمة(أحسن) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، إذ قال: "أي على مَنْ أحسن القيام به كائنًا مَنْ كان، ويؤيده أنّه قرىء على الذين أحسنوا وتَمَامًا على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغَه وهو موسى(عليه السّلام) أو تَمَامًا على ما أحسنه موسى(عليه السّلام) أي أجاده من العلم

١ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٢

٢ - ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: ٦٢.

٣ - ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ١٨٣.

٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧.

٥ - ينظر: شرح المفصل: ٧١/١-٧٢.

٦ - ينظر: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: ٢٣٠.

والشرائع أي زيادةً على علمه على وجه التتميم، وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه وآتينا موسى الكتاب تمامًا أي تمامًا كاملاً على أحسن ما يكون عليه الكتُب^(١)، فقد اختلف المعنى لاختلاف إعراب الكلمة، فأعربت مرة على أنها فعل ماض مبني على حركة البناء فاعله ضمير مستتر، ومرة أخرى على أنها مرفوعة بـ"قراءة ابن يعمر: تمامًا على الذي أحسن"^(٢)، بتقدير مبتدأ فيكون: (هو أحسن) وأصبحت كلمة (أحسن) اسمًا معربًا، وهنا تبين اختلاف المعنى في (أحسن) في حالة الفعل والاسم، وذلك باختلاف الحالة الإعرابية، فكلمة (أحسن) بفتح النون تنتقل من مبنى الفعلية إلى مبنى الاسمية بضم النون.

وهذا ما أكده الدكتور تمام حسان بقوله: "إن المعاني بحاجة إلى المباني سواء أكانت دلالة المبنى على المعنى وجودية بالذكر أو عدمية بالحذف أو الاستتار"^(٣)، فالمباني الصرفية تدلّ على المعاني الصرفية، كالاسمية والفعلية والظرفية وغيرها، فالمعاني الوظيفية يحددها الفهم صوتيًا من حيث إنّ المبنى إطار شكلي يتحقق بالعلامة، ونحويًا من حيث إنّ العلاقة السياقية تكشف لنا ترابط المباني التي تتحقق بالعلامات في سياق النص^(٤).

وقد تكون العلامة الإعرابية دليلاً على مبنى كلمة أخرى في التركيب نفسه، وهذا ما وظفه أبو السعود في إجراءات التحليلي على أن (إنما) في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، قد تكون (حرفًا) أو (اسمًا) في ضوء تحليله لكلمة (كيد) "بالرفع على أنه خبر لـ (إن) أن كيدٌ جنس السّاحر، وتكيزه للتوسل به إلى تكثير ما أضيف إليه للتحقير، وقرئ بالنصب

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٣٢/٣.

٢ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، ابن جني: ٢٣٤/١، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٢٢/٤.

٣ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٢٥.

٤ - ينظر: المرجع نفسه: ١٨٤، والرخصة النحوية، د. شوكت علي درويش: ١٧٠.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

على أنه مفعولٌ صنعوا و(ما) كافة^(١)، فعلى قراءة الرفع تكون(ما) إما موصولةٌ أو موصوفةٌ أي إن الذي صنعوه أو إن شيئاً صنعوه^(٢).

وفي ضوء العلامات الإعرابية قد يصرف المعنى ويحوّل إلى معنى آخر لتغيير الحركة الإعرابية عما يقتضيه الترابط النحوي أو النظام التركيبي^(٣)، ومما جاء في ذلك جملة(قول الحق) من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤] ، قال أبو السُّعُود: "بالنَّصب على أنه مصدرٌ مؤكَّدٌ لقول: إني عبد الله إلخ، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ﴾ اعتراضٌ مقرَّرٌ لمضمونٍ ما قبله، وقرئ بالرفع على أنه خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ أي هو قولُ الحق الذي لا ريب فيه..."^(٤)، فالمعنى تحدّده الحركة الإعرابية في(قول الحق) فالنَّصب يكون على المدح إن فسّر بكلمة الله على أنه مصدرٌ مؤكَّدٌ لمضمون الجملة إن أريد قول الثَّبات والصدّق، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو بدل، أو خبر مبتدأ محذوف^(٥).

ومن الأمثلة التي لا تذهب بعيداً عن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فقراءة الجمهور(الحمدُ) بضم الدال، وقد قرأ الحسن البصري (الحمدُ) بفتح الدال^(٦).

ففي كلمة(الحمد) نجد علاقيتين وظيفيتين في تحليل أبي السُّعُود لهذه اللَّفْظَة وتفضيل قراءة الرفع على النَّصب، فقال: "إيثار الرفع على النَّصب الذي هو الأصلُ للإيذان بأن ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لإثبات مُثبت، وأن ذلك أمرٌ دائمٌ مستمرٌ لا حادثٌ متجدّدٌ كما تفيده قراءة النَّصب...والمراد تخصيصُ حقيقة الحمد به تعالى

١ - إرشاد العقل السليم: ٣٤/٦.

٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٣٤/٦.

٣ - ينظر: المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، د. خليل أحمد عاميرة: ٣٥١.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٥/٥-٢٩٦.

٥ - ينظر: الكشف: ١٦/٣.

٦ - ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات: ٣٧/١، والبحر المحيط: ١٣١/١.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

المستدعي لتخصيص جميع أفرادها به سبحانه على الطريق البرهاني^(١)، فالجمله الاسميّة تدلّ على أنّ الله وحده المستحقّ للحمد، أمّا الفعلية فتدلّ على إنشاء المدح من المُتكلّم^(٢).

وذكر أبو السُّعود قراءة (الحمد لله) بكسر الدال على اتباع الأوّل للثاني، وبضم اللام على اتباع الثاني للأوّل بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة^(٣)، ويرى الزجاج أنّه لا يلتفت إلى قراءة النّصب للفظ (الحمد)، ويذهب إلى أنّ تلك القراءة وردت عن العرب، والاختيار في الكلام الرّفع^(٤)، فتغير الحركة الإعرابيّة تتغير معها معاني الألفاظ على التّركيب كلّها.

والذي يبدو أنّ أبا السُّعود عدّ العلامة الإعرابيّة قرينة مهمّة تعين على تحديد المعنى الوظيفي للكلمة في التّركيب، فالعلامة الإعرابيّة (الضّمة) في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أفاد العموم وهو تعبير عن تركيب اسمي (مبتدأ وخبره الظرف) الدالّ على الثّبوت، أي أنّ الحمد لله ثابت لذاته، أمّا النّصب فلم ير فيه دلالة العموم؛ لأنّ التحليل الإعرابي لحالة النّصب هو أنّ (الحمد) مصدر شأنه شأن المصادر المنصوبة بأفعالها المضمرّة ، كأنّه قيل: نحمد الله حمداً^(٥).

ويمكن للعلامة العلامة الإعرابيّة أن تعمل كقرينة لبيان المعنى الدلاليّ للنّصّ، الذي هو حصيلة المعنى المقالي، والمعنى المقامي للسياق، إذ يمكن عدّ العلامة الإعرابيّة نظاماً متكاملاً يدلّ على الوظيفة النّحويّة من ناحية، وعلى المعنى الدلاليّ من ناحية أخرى^(٦)، ولذلك تكون قرينة لفظيّة مقاليّة "من القضايا التي ربط فيها بين العلامة الإعرابيّة والمعنى، قضية الخلاف الدلاليّ وأثره في التوجيه الإعرابي حيث

١ - إرشاد العقل السليم: ١٨/١-١٩.

٢ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٤٥/١.

٣ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٩/١.

٤ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٥/١.

٥ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٨/١-١٩.

٦ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٣، ٣٣٩، والعلامة الإعرابية للجمله بين القديم والحديث: ٢٢٨.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

يتغيّر الإعراب بالتغيير الدلاليّ المفهوم من كلمة واحدة؛ أي يرتبط الإعراب بتحديد العلاقة الدلالية المفهومة من جملتين ترتبطان ببعضهما^(١).

فالعلاقة بين العلامة الإعرابية والمعنى في الجانب الوظيفي تكون واضحة وغير معقّدة ما دام الجهد المبذول في فهمها والإفادة منها محدودًا، إذ يستدلّ بالعلامة مباشرة على المعنى الوظيفي، ولكن المشكلة تكمن عندما تتعدّد احتمالات العلامة الواحدة داخل النصّ الواحد، فذلك يتطلب جهدًا كبيرًا لتحديد المعنى الصحيح^(٢)، وذلك ما يلحظ في تفسير أبي السّعود في تحليلاته النحويّة.

ومن أمثلة ذلك ما توجّه لديه في معرض تفسيره للفتحة (يعلم) الثانية في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، قال: "قرئ يعلم بفتح الميم^(٣) على أن أصله يعلمن فحذفت النون أو على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لإبقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين (ويعلم الصابرين) منصوب بإضمار (أن) على أن الواو للجمع... والمعنى أم حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ، والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر، أي الجمع بينهما... وقيل: مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حُرِّكَ لالتقاء الساكنين... وقرئ يعلم بالرفع على أن الواو للحال وصاحبها الموصول، والمبتدأ محذوف أي وهو يعلم الصّابرين كأنه قيل: ولمّا تجاهدوا وأنتم صابرون"^(٤).

ومن الواضح في النصّ أنّ اختلاف المعنى حاصل بالإعراب، فالعلامة الإعرابية (الفتحة) في (يعلم) ذات صلة وثيقة بالمعنى الدلاليّ المفهوم من سياق الآية على تقدير: أنه لم يتحقّق الجهاد والصّبر معًا، ولو سكنت لكان المعنى عطفاً على لفظ الفعل الأوّل، أمّا العلامة الإعرابية (الضمة) فيحتمل أن يريد به العطف على الموضع ومعنى الجمع على تقدير: ولمّا تجاهدوا وأنتم صابرون.

١ - العلاقة بين العلامة الإعرابية والمعنى في كتاب سيبويه: ١٠٣، وينظر: الرخصة النحوية: ١٧٣.

٢ - ينظر: الشكل والدلالة، د. عبد السلام السيد حامد: ٦٢.

٣ - ينظر: الحجة في القراءات السبع: ٣١٩/١.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١٠٦/٢.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وجّه أبو السُّعُود رفع لفظة (شهر) على أنه: "مبتدأ سيأتي خبره- الذي أنزل فيه القرآن- أو خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، أي ذلك شهرُ رمضان أو بدلٌ من الصَّيام على حذفِ المضافِ أي صيامُ شهرِ رمضان" ^(١)، فقد تعدّدت الوظيفة النحويّة؛ وذلك لاشتراك وظائف متعدّدة بعلامة واحدة (الرفع)، فاحتمل التّركيب النّحويّ- عند أبي السُّعُود- معاني مختلفة.

ولعلّ أهمّ المسائل النّحويّة التي يتّضح فيها أثر العلامة الإعرابيّة في المعنى الدّلاليّ، مسألة قطع النّعت عن منعوته، والسّبب الرّئيس لقطع النّعت هو لأداء معانٍ وأغراض بلاغيّة، يكاد ينحصر في توجيه الدّهن إلى النّعت المنقطع وتركيزه فيه، ولا سيّما إذا تعدّدت النّعوت وطالت الجُملة ^(٢).

فالنّعت المقطوع يفيد أنّ المنعوت اشتهر بهذه الصّفة، وأنّ المخاطب يعلم من اتصافه بها ما يعلمه المتكلّم ^(٣)، "والقطع إلى الرّفع أقوى من القطع إلى النّصب؛ لأنّ القطع إلى الرّفع بتقدير اسم مبتدأ، وأمّا القطع إلى النّصب فيكون بتقدير فعل، والاسم أقوى من الفعل وأثبت، فإذا كنت مادحًا كنت بالقطع إلى الرّفع أمدح، وإذا كنت ذامًا كنت بالقطع إلى الرّفع أذم" ^(٤).

ويظهر البحث أنّ العلامة الإعرابيّة من القرائن التّركيبيّة المهمّة في توجيه المعنى لدى أبي السُّعُود، وقد استثمر هذه القرينة لفتح المجال أمام الاحتمالات المختلفة للمعاني التي تدلّ عليها في توجيه النّصّ، فيعرض الكلمة على ما ورد فيه من قراءات مختلفة، محاولاً أن يجعل النّصّ الكريم شاملاً لأكبر عدد من المعاني المحتملة الموافقة مع النصّ القرآني ومراده، وذلك يُسهّم في توسيع نطاق الفهم

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٣٦/١.

٢ - ينظر: من أسرار الجمل الاستثنائية دراسة لغوية قرآنية، أيمن عبد الرزاق: ٣٧.

٣ - ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ٦٩/١.

٤ - المرجع نفسه: ٧٠/١.

والتأويل للنص الكريم، مما يعزز من عمق التفسير ويزيد من ثراء المعاني المستنبطة منه.

ثانياً: قرينة الرتبة:

تعدُّ قرينة الرتبة من القرائن اللفظية الأساسية في التحليل النحوي، فهي الموقع الأصلي الذي يجب أن تشغله الوظيفة النحوية مقارنة بالوظائف الأخرى المرتبطة بها بعلاقات نحوية تركيبية^(١)، فهي في اللغة: المنزلة، والترتيب يعني الثبات، يقال: رتبت الشيء ترتيباً، أي: أثبتته^(٢).

أمّا في الاصطلاح النحوي: فتعني "ملاحظة موقع الكلمة في التركيب الكلامي"^(٣)، وتمثل الرتبة العلاقة الرابطة بين عنصرين أو أكثر، يتقدم أحدهما على الآخر، أو يتأخر أو يتوسط بين العنصرين الآخرين^(٤).

وقد حظيت قرينة الرتبة بمزيد من العناية والاهتمام من لدن التحويين القدماء، ويظهر ذلك جلياً فيما أورده سيبويه أثناء حديثه عن المبتدأ والخبر "لأنَّ الحدَّ أن يكون الفعل مبتدأ إذا عمل"^(٥)، كذلك المبتدأ يعمل في الخبر، كما يعمل الجار على ما يتبعه، وهذا من مفاهيمه في نظرية العامل التي تستند عنده إلى تصور خطي (بنائي) يتضمّن أسبقية مرتبة العامل على المعمول^(٦).

وجاء بعد ذلك ابن السراج وصرّح بمصطلح الرتبة لفظاً ومعنى بقوله: "مرتبة العامل قبل المعمول فيه ملفوظاً به أو مقدراً"^(٧)، وفي السياق نفسه قال عبد القاهر الجرجاني: "وإنَّ الكَلِمَ تترتّب في النّطق بسبب ترتّب معانيها في النّفس"^(٨).

١ - ينظر: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها: ١٩٦.

٢ - ينظر: العين: ١١٥/٨ مادة (رتب)، ولسان العرب: ٤٠٩/١ مادة (رتب).

٣ - أقسام الكلام العربي: ١٨٦.

٤ - ينظر: الموقعية في النحو العربي دراسة سياقية: د. حسين رفعت: ٩٢.

٥ - الكتاب: ١/١٢٠.

٦ - ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: د. حسن عبد الغني الأسدي: ٢٣٧.

٧ - الأصول في النحو: ٩٣/١.

٨ - دلائل الإعجاز: ٥٦.

فالكلمات لا تتوالى في الجملة على نحو عشوائي، بل تتبع ترتيباً لأنساق تركيبية مطردة^(١)، تحدّد كيفية تواليها وانسجامها لتحقيق المعنى المطلوب.

فقرينة الرتبة هي التي تحافظ على المعنى النحوي، أو الباب النحوي^(٢)، وقد جاء ترتيب الألفاظ وأحقيتها في التقدّم داخل الجملة بأفضلية ما يُسمّى العمدة والفضلة وغيرها، لذلك تأتي العمدة في التقدّم قبل غيرها مثل تقديم المبتدأ على الخبر^(٣).

والرتبة على نوعين: الرتبة المحفوظة والرتبة غير المحفوظة، أمّا الرتبة المحفوظة فهي التي يعتمد عليها في التحليل النحوي - بحسب رأي الدكتور تمام حسان -؛ "لأنّها لو اختلفت لاختلّ التركيب باختلالها، ومن هنا تكون الرتبة المحفوظة قرينة لفظية تُحدّد معنى الأبواب المرتبة بحسبها"^(٤)، فتحليل الجملة يعتمد بشكل أساسي على موقع كلّ عنصر فيها، وهو موقع ثابت نسبياً في البنية اللغوية، ذلك أنّ ترتيب الكلمات في اللغة العربية يسير وفق نظام دقيق، وإنّ أيّ تقديم أو تأخير في أجزاء الجملة ليس عشوائياً؛ فالكلمات تحتلّ مواضع خاصّة بها وتشكّل تضاماً معيّناً، ممّا يجعلها ترتبط وظيفياً ببعضها ببعض استناداً إلى موقعها المحدّد في الجملة^(٥)، ومن أمثلة الرتب المحفوظة في التركيب العربي تقديم الموصول على الصلة، والفعل على الفاعل والمتبوعات على التوابع، وأدوات الشرط، والاستفهام، والعرض والتّحضيض على الفعل، وحروف الجرّ على الاسم، وواو المعية على المفعول معه، وفعل الشرط على جوابه، والمضاف على المضاف إليه، فكلّ طرف من هذه الأطراف حقّه التّقديم، كذلك الطرف الآخر حقّه التّأخير، وهذه يطلق عليها الرتب المحفوظة^(٦).

أما الرتبة غير المحفوظة ف" تخضع لمطالب أمن اللبس، وقد يؤدي ذلك إلى أن تتعكس الرتبة بين الجزئين المرتبين بها، ويكون ذلك أيضاً إذا كانت الرتبة وعكسها

١ - ينظر: العربية والوظائف النحوية، الدكتور ممدوح عبد الرحمن: ٢٢٠.

٢ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٨.

٣ - ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٣٤، والقرينة في اللغة العربية: ٩٨.

٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧.

٥ - ينظر: الموقعية في النحو العربي: ٩١، والمعنى وظلال المعنى: ٣٣١.

٦ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧، وأقسام الكلام العربي: ١٨٦-١٨٧.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

مناطق معنيين يتوقف أحدهما على الرتبة، والآخر على عكسها^(١)، فيلتزم النظام اللغوي بتقديم المبتدأ وتأخير الخبر "إذا استوى الطرفان في التعريف أو التأكيد ولم تكن هناك قرينة لفظية أو حالية معنوية تبين أحدهما من الآخر"^(٢)، ويلزم كذلك أن يتقدم الفاعل على المفعول به "إذا خيف التباس أحدهما بالآخر، وذلك إذا خفيت العلامة الإعرابية ولم تكن هناك قرينة"^(٣)، وهذا ما أشار إليه ابن جني بقوله: "فإن قلت: فقد تقول: ضرب يحيى بشري، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً وكذلك نحوه، قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ حاله ألزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب"^(٤)، فإن وجد في التركيب قرينة تمنع اللبس كقولك: أكل موسى الكمثرى، فلك أن تقدم وتؤخر^(٥).

ومن أمثلة الرتب غير المحفوظة عندما نأمن اللبس في المبتدأ وخبره، والمفعول مع الفعل والفاعل، والضّمير ومرجعه، والحال والفعل المتصرف، وخبر كان وأخواتها- إذا كان غير جملة-، وغيرها من الرتبة التي لا تحفظ^(٦).

وثمة علاقة وثيقة بين قرينة الرتبة وقرينة الإعراب التي تتيح نوعاً من الحرية النسبية للكلمات داخل التركيب، إذ تقوم بأدوار وظيفية في التمييز بين المعاني النحوية^(٧).

ويمكن ملاحظة أثر قرينة الرتبة في توجيه المعنى عند أبي السّعود في تفسيره عن طريق نوعي الرتبة: المحفوظة وغير المحفوظة.

١ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٩.

٢ - النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف: ١٣٨.

٣ - المرجع نفسه: ١٣٨.

٤ - الخصائص: ٣٦/١.

٥ - ينظر: المصدر نفسه: ٣٦/١.

٦ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧، والموقعية في النحو العربي: ١٢٦ - ١٣٢.

٧ - ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه: ٢٠٧، والتحليل النحوي عند ابن جني في ضوء النظرية التحويلية والقرائن (أطروحة دكتوراه): ١٤٤.

١- الرتبة المحفوظة، للرتبة المحفوظة أثر بارز في توجيه المعنى، وقد وقف عندها أبو السُّعُود بشكل جلي في تفسيره، وتجلّت الوظيفة النحويّة في ضوء هذه القرينة في حفظ رتبة الموصول وصلته في قوله تعالى: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، إذ قال: "الوُدُّ حُبُّ الشَّيْءِ مع تمنّيه، ولذلك يستعمل في كلّ منهما ونفيّه كنايةً عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للإشعار بعلّة ما في حيز الصلّة لعدم ودّهم، ولعلّ تعلّقه بما قبله من حيث إنّ القول المنهويّ عنه كثيرًا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير"^(١)، فقد وقع الكفر صلة للموصول وبيانه، وإقامة المظهر موضع المضمّر إشعار بأنّ كتابهم يدعوهم إلى متابعة الحقّ إلّا أنّ كفرهم يمنعهم وإنّ الكفر شرّ كلّهُ"^(٢).

ومن الرتب المحفوظة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، فقد ذكر أبو السُّعُود أنّ لفظ الجلالة (الله) قد تقدّم على العلماء، قائلاً: "إنّما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عزّ وجلّ وبما يليق به من صفاته الجليّة وأفعاله الجميلة لما أنّ مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه...وتقديم المفعول لأنّ المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر"^(٣)، وهو جائز؛ لأنّ العلامة الإعرابية "أغنت الرتبة التي تجعل السبق للفاعل على المفعول"^(٤)، وقد أشار أبو السُّعُود إلى أنّ التّداعي المعنوي بين الخشية والعبد أوضح الفاعل، ووجه تقديم المفعول؛ لأنّ المقام مقام حصر الفاعلية، أي إنّما العالم

١ - إرشاد العقل السليم: ١٧٤/١.

٢ - ينظر: روح المعاني: ٣٤٩/١.

٣ - إرشاد العقل السليم: ١٦٦/٧-١٦٧.

٤ - الزمن في النحو العربي، د. كمال إبراهيم بدري: ١٥٩.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

من يخشى الله تعالى^(١)، ولو عكسنا العلامة الإعرابية لآل المعنى إلى فساد، وخرج من دلالاته العقائدية^(٢).

وقد يلجأ مؤلف النص إلى تركيب تكون فيه الرتبة غير محفوظة أصالة، ولكن المعنى يجعلها محفوظة، وبخلافه يتغير المعنى المقصود ولا يؤمن اللبس، بمعنى أن حفظ الرتبة يكون واجباً في بعض المواضع حتى وإن كانت في الأصل غير محفوظة^(٣)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فالرتبة بين الفعل والمفعول به رتبة حرّة غير محفوظة^(٤)، ولكن متطلبات الشكل من ناحية، والمعنى من ناحية أخرى أوجب تقديم المفعول به للقصر والتخصيص، قال أبو السُّعود: "وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَرْهَبُونَ﴾^(٥) مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (معناه نعبُدُك ولا نعبُدُ غيرك) وتكرير الضمير المنصوب للتخصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة وإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب"^(٦)، فإذا أردنا تأخير المفعول يجب أن يُقال: نعبدك، وهو ليس مراداً؛ لأنّه يوجب اتصال المفعول به عند التأخر^(٧).

أما من ناحية المعنى فإنّ (نعبدك) ليس بجيد - كما عبّر عنه الشيخ الطوسي - لأنّه يكون قد قدّم ذكر العابد على المعبود^(٨)، فيكون محور الاهتمام هو العبادة وهي أقصى غاية التذلل والخضوع، بينما المهم في هذا السياق هو المعبود "ولعلّ ذلك

١ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٦٧/٧.

٢ - ينظر: قرائن الإعراب والصيغ والمطابقة في اللغة العربية، أمل باقر عبد الحسين، (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة - كلية الآداب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ٥٤.

٣ - ينظر: البيان في روائع القرآن: ٩٤.

٤ - ينظر: الخلاصة النحوية: ٨٦.

٥ - البقرة: ٤٠.

٦ - إرشاد العقل السليم: ٢٤/١.

٧ - ينظر: شرح ابن عقيل: ٩٧/٢.

٨ - ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٣١/١.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

لكون تقدّم المنصوب على الفعل دليلاً على أنّ الفعل غير مُهمّ وإلاّ لم يُؤخّر من مرتبته^(١)، فضلاً عن "تخصيص العبادة به تعالى أولاً، وباستدعاء الهداية إلى ما يوصل إليه آخرًا"^(٢).

والذي يبدو أنّ الأثر الأساس لقريّة الرتبة في تخصيص الخطاب القرآني جاء على ثبوت قطعية الخبر في تخصيص العبادة لله وحده، والأصل أنّ يتقدّم الفعل ثمّ الفاعل ثمّ المفعول به؛ لأنّ الفاعل منزل من الفعل منزلة جزئه، ثمّ تجيء الفضلة المفعول به بعدها^(٣).

ومما تقدّم يتضح أنّ الرتبة المحفوظة لها أثر كبير في توجيه المعنى في تفسير أبي السُّعود، وقد أخذت أشكالاً مختلفة في التأثير على معنى النصّ، ونظمت السياق الوظيفي في التركيب القرآني، وساعدت على فهم المعنى، وأمن اللبس.

٢- الرتبة غير المحفوظة: من الرتب غير المحفوظة في توجه المعنى وبيان فصاحة التركيب وصحته، ومنه جملة (يُغشي الليل النّهار) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قال أبو السُّعود: "أي يغطّيه به ولم يُذكر العكس للعلم به، أو لأنّ اللفظ يحتملها، ولذلك قرئ بنصب اللّيل ورفع النّهار، وقرئ بالتّشديد^(٤) للدلالة على التّكرار"^(٥)، فلم يقل: يغشي النّهار اللّيل؛ لأنّ الهمزة والتّضعيف كلاهما للتّعدية فيصير الفاعل مفعولاً بعد تعدية الفعل بهمزة التّعدية، فنقول: أغشى الله اللّيل النّهار، أو غشّى الله اللّيل النّهار، فصار ما كان فاعلاً قبل النّقل مفعولاً أولاً^(٦).

١ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ١٠/٢.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٤/١.

٣ - ينظر: شرح الكافية: ٧١/١، وشرح التصريح على التوضيح: ١٦١/١.

٤ - ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١٩٩/١.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٢٦٦/٣.

٦ - ينظر: التفسير البسيط: ١٧٣/٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٥٢/٩.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، فالكلام فيه تقديم وتأخير، قال أبو السُّعُود: " أي لم يكافئه أحدٌ ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبةٍ وَغيرها وله صلة لكُفُوٍ قدمت عليه مع أَنَّ حَقَّهَا التَّأخُّرُ عَنْهُ للاهتمام بِهَا؛ لِأَنَّ المقصودَ نفْيَ المكافأةِ عَنْ ذاتِهِ تعالى وقد جُوِّزَ أَنْ يكون خبرًا لا صلة ويكون كُفُوًا حالًا من أحدٍ وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنيٌّ عن البيان...^(١)."

وقد نصَّ سيبويه على ذلك في كتابه، إذ قال: "والتَّقديمُ ههنا والتَّأخيرُ فيما يكون ظرفًا أو يكون اسمًا، في العناية والاهتمام... فمن ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأهل الجفاء من العرب يقولون: ولم يكن كُفُوًا له أحدٌ، كأنَّهم أخروها حيث كانت غير مستقرَّة"^(٢)، وسياق هذا الكلام إنَّما لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهمُّ شيء وأعناهُ، وأحقه بالتَّقدم وأحراه^(٣).

فتغيَّر الباب النحويُّ عند الإخلال بالترتيب، فصارت (كُفُوًا) حالًا من أحد، أي: ولم يكن له أحد كُفُوًا، فلما قدَّم النكرة التي هي النعت، على المنعوت نصبها على الحال^(٤).

ومن دلالة الرتبة غير المحفوظة تقديم الخبر على المبتدأ إذا كان ظرفًا والمبتدأ نكرة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، يرى أبو السُّعُود أنَّ كلمة (سواء) خبر تقدَّم للعناية بشأنه، وقوله تعالى: ﴿أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ "مرتفع به على الفاعلية؛ لأنَّ الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جَرَد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٠٢/٩.

٢ - الكتاب: ٥٦/١.

٣ - ينظر: الكشف: ٨١٨-٨١٩.

٤ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٣٠٩/٢.

في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ﴾^(١) وحرفُ النداء في قولك: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا أَيْتَهَا الْعِصَابَةُ عن معنى الطلب المجرد التخصيص، كأنه قيل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُسْتَوٍ عَلَيْهِمْ إِذَارُكَ وَعَدْمُهُ، كقولك: إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه، أو مبتدأ، و(سواء عليهم) خبرٌ قُدِّمَ عليه اعتناءً بشأنه، والجُملة خبرٌ لـ(إن)، والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه عند بقاءه على حقيقته^(٢)، والمعنى سواء عليهم الإنذار وعدمه، وقد التزم تقديمه فيما وقع فيه المبتدأ نكرة والخبر ظرفاً^(٣).

ويرى ابن الحاجب أن تقديم الخبر على المبتدأ حسن؛ لأنَّ المتكلم إذا قال: زيد قائم تعلق بنفس السامع احتمالات شتى، من أنه قائم أو قاعد، إلى ما لا تُحصى كثرة، فإذا قُدِّمَ الخبر ارتفع هذا الأشكال، فيكون سواء خبراً مقدماً كان أولى من جعله فاعلاً^(٤)، فالتقديم هنا وإن وقع في اللفظ، ولكن بقي المبتدأ والخبر في وظيفته، وقد سوغ هذا التغيير في تركيب الجملة كون المبتدأ نكرة والخبر ظرفاً.

وقد تنبه أبو السُّعود إلى نوع من الرتب المعنوية، إذ يحكم العقل بالتقديم لأحد الأمرين، ولا يقتصر الأمر عند التعبير اللفظي، وإنما يؤمن اللبس على الرغم من تغيير ترتيب الأشياء، ومن ذلك تقديم (السجود على الركوع) في قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، إذ قال: "...وتقديمُ السجود على الركوع إما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك، وإما لكون السجود أفضل أركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع، ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقى من الأدنى إلى الأعلى، وإما ليفترن اركعي بالراكعين للإشعار بأن من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين، وأما ما قيل من أن الواو لا توجب الترتيب فغايبته التصحيح لا الترجيح"^(٥)، فهو متابع في ذلك ممن سبقه من النحويين، قال ابن جني:

١ - التوبة: ٨٠.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٤٩/١.

٣ - ينظر: المفصل في صناعة الإعراب، الزمخشري: ٤٤.

٤ - ينظر: الإيضاح في شرح المفصل: ١٩٠/١.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٤٣/٢.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

"واو العطف فنحو قولك: (قام زيد وعمرو) وليس فيها دليل على المبدوء به في المعنى، لأنها ليست مُرْتَبَةً، قول لبيد^(١):

أُغْلِي السِّبَاءَ بِكَلِّ أَدَكْنَ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا

فقوله: (قُدِحَتْ) أي (غرفت) ومنه سميت المعرفة مقدحة، وَفُضَّ خِتَامُهَا: فتح رأسها، وإنما تغرف بعد أن تفتح، فقد علمت أَنَّ (قدحت)، مقدّم في اللفظ مؤخر في المعنى.

وعلى هذا يتوجه قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، فبدأ بالسجود قبل الركوع لفظاً، وهو مؤخر معنى^(٢)، فالواو في قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ تفيد الاشتراك ولا تفيد الترتيب، يعني استعملي السجود في وقته اللائق به، وليس المراد أن تجمع بينهما، ثم تقدّم السجود على الركوع^(٣).

ويتّضح لنا ممّا تقدّم أَنَّ الرّتب غير المحفوظة قد تُهدر إذا أمن اللّبس كما في تقديم المفعول على الفاعل، والخبر على المبتدأ، ولكنها تحفظ إذا توقف المعنى عليها نحو(ضرب موسى عيسى) فالحال يدعو إلى حفظ الرّتبة؛ لأنّ أمن اللّبس متوقّف عليها، فالرّتبة تصبح محفوظة إذا اقتضى المعنى أو المبنى ذلك، فإذا لم يُقتض أحدهما حفظ الرّتبة كانت هناك حرية التّقديم والتّأخير في الاستعمال^(٤).

ثالثاً: قرينة الرّبط:

تُعَدُّ قرينة الرّبط من القرائن اللفظيّة الأساسيّة في توجيه المعنى، إذ تُسهم في وصل أجزاء الكلام ببعضه ببعض، وجعله متماسكاً، والرّبط في اللّغة: "رَبَطَ الشَّيْءَ يَرْبِطُهُ وَيَرْبُطُهُ رَبْطًا، فهو مربوطٌ وَرَبِيطٌ: شدّه، والرّباطُ: ما رُبطَ به، والجَمْعُ رُبُطٌ، وربط الدابة يربطها ويربطها رَبْطًا وارتبطها"^(٥)، أمّا في الاصطلاح: فهو اصطناع علاقة نحويّة سياقيّة بين طرفين باستعمال أداة تدلّ على تلك العلاقة، والغاية من ذلك

١ - ديوان لبيد بن ربيعة: ٣١٤.

٢ - سر صناعة الإعراب: ٢٧٧/٢.

٣ - ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١٨/٨.

٤ - ينظر: البيان في روائع القرآن: ٩٦-١٠٦، والقرينة في اللغة العربية: ١٠٧.

٥ - لسان العرب: ٣٠٢/٧ مادة(ربط).

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

إمّا أمن اللبس فيه أو الارتباط بين الطرفين المربوطين، وقد يكون أمن لبس فهم الانفصال بينهما^(١).

وللربط أهميّة في اللغة العربيّة لذا نجد النّحويين القدماء قد تنبّهوا إلى فائدته في الجملة العربيّة وفي مقدّماتهم سيبويه وقد عبّر عنه بمصطلح (التعليق)*، حينما سأل الخليل عن الرّبط مع إذا الفجائيّة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَمْتُطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] فقال: "هذا كلام معلق بالكلام الأوّل، كما كانت الفاء معلقةً بالكلام الأوّل"^(٢)، وتابع عبد القاهر الجرجاني سيبويه في استعمال هذا المصطلح، ووضعه أساساً لنظريّته في النّظم، فقال: "إن لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك"^(٣).

ويُعَدُّ الرّبط من القرائن التي تلجأ إليها اللغة العربيّة لأمن اللبس بين معنيين تكون بينهما علاقة ارتباطيّة، ويكون واسطة لفظيّة، ويأتي بصور متعدّدة، فيمكن أن يكون ضميراً بارزاً متصلاً، أو منفصلاً، أو اسم إشارة، أو موصولاً، أو أداة من أدوات الرّبط^(٤).

وعدها الدكتور تمام حسان من القرائن اللفظيّة التي يتمّ بها الاتصال ما بين المترابطين، ويتمّ عن طرائق مختلفة منها الإحالة والمطابقة والأداة^(٥)، وأكد أنّ الرّبط في اللغة العربيّة يتمّ عن طريق "الموصول وصلته، وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت ونعته، وبين القسم وجوابه، وبين الشرط وجوابه"^(٦).

١ - ينظر: نظام الارتباط والرّبط: ١٤٣، وأمن اللبس في النحو دراسة في القرائن بكر عبد الله خورشيد، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. : ٧٨.

٢ - الكتاب: ٦٣/٣ - ٦٤.

* التعليق عند تمام حسان: "إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة القرائن اللفظية والمعنوية والحالية". اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٨.

٣ - دلائل الإعجاز: ٩٨.

٤ - ينظر: نظام الارتباط والرّبط: ١٥٦.

٥ - ينظر: الخلاصة النحوية: ٨٨.

٦ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٣.

والربط في العربية نوعان:

الأول: الربط المعنوي: يتمثل بالمعاني النحوية (الوظيفية) والعلاقات السياقية، ويتمثل بالإسناد لبيان ارتباط المبتدأ بالخبر في الجملة الاسمية، وارتباط الفاعل بالفعل في الجملة الفعلية^(١). وهذا ما سنتحدث عنه في القرائن المعنوية (قرينة الإسناد).

الثاني: الربط اللفظي: ويتمثل بالأدوات، والضّمائر، وغيرها، وقد ذكر ابن هشام أنّ أنواع الروابط في الجملة العربية، عشرة، وهي: الضمير، والإشارة، وإعادة المبتدأ بلفظه، وإعادته بمعناه، وعموم يشمل المبتدأ، وأن يعطف بما السببية جملة ذات ضمير على جملة خالية منه، والواو العاطفة، وشرط مشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر، و(أل) النّائبة عن الضمير، وكون الجملة نفس المبتدأ في المعنى^(٢).

ولم يبتعد المحدثون عمّا ذهب إليه ابن هشام، فالروابط عند الدكتور تمام حسان خمسة: عود الضمير، والحرف، وإعادة اللفظ، وإعادة المعنى، والعهد^(٣)، وعند الدكتور فخر الدين قباوة: أدوات العطف، والجواب، والضّمائر العائدة، وأساليب الشرط، والقسم، والنداء، والإضافة، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، و(أل) العهدية^(٤).

وقد أكد النحويون أنّ الضمير هو الأصل في الربط، ويكون إمّا بارزاً متصلاً، أو منفصلاً، ويكون هذا الضمير رابطاً، ويشترط أن يكون له ما يعود عليه، ويكون ملفوظاً به سابقاً ومطابقاً له^(٥).

وللربط بالضمير أثر في توجيه المعنى عند أبي السُّعود، وقد أفاد من هذه القرينة لما لها من أهميّة في بيان الوظيفة النحوية، ومن ذلك عود الضمير في جملة (إنّه كان منصوراً) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا

١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩١-١٩٢، والقرينة في اللغة العربية: ١١٤.

٢ - ينظر: مغني اللبيب: ٦٤٩-٦٥٠.

٣ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٤، والخلاصة النحوية: ٨٩.

٤ - ينظر: التحليل النحوي أصوله وأدلته: ١٨٣.

٥ - ينظر: أنظمة الربط في العربية، حسام البهناوي: ١٠، والنحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود علي إسماعيل: ١٩٥.

فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿[الإسراء: ٣٣]﴾، إذ قال: "الضَّمِيرُ للولي على معنى أَنَّهُ تعالى نصره بأن أوجب له القصاص أو الدية وأمر الحكام بمعاونته في استيفاء حَقِّه فلا يبيع ما وراء حَقِّه ولا يستزِدَ عليه ولا يخرج من دائرة أمرِ الناصر" (١).

وقد أورد أبو السُّعُود احتمالات أخر للضمير العائد (٢).
أولاً: أَنَّ يعود الضَّمِير (الهاء) على المقتول ظلمًا على معنى أَنَّهُ تعالى نصره.
ثانيًا: أَنَّ تكون (الهاء) عائدة على الَّذِي يقتله الوليُّ ظلمًا وإسرافًا.
ووجهُ التعليل ظاهرٌ عند أبي السُّعُود بأنَّ الضَّمِيرَ في (لا يسرف) للقاتل الأول، وقد عَصِدَ رأيه بقراءة (فلا تسرفوا) (٣)، فالضَّميران عائدان إلى الولي أو المقتول، فالمراد بالإسراف حينئذٍ إسرافُ القاتل على نفسه بتعريضه لها للهلاك العاجل والآجل لا الإسرافُ وتجاوزُ الحدِّ في القتل أي لا يسرف على نفسه في شأن القتل (٤).
ونلاحظ من ذلك أَنَّ المعنى قد تغيَّر تبعًا لقرينة الرِّبْط بالضَّمير، فقد يعود إلى الولي، حيث إِنَّ الله تعالى فرض القصاص له وأمر الولاة بمعاونته، أو قد يعود إلى المقتول، الَّذي ينال النَّصرة في الدُّنيا عن طريق تحقيق القصاص، وفي الآخرة بالثَّواب، أو إلى الشَّخص الَّذي يقتل المقتول إسرافًا، فيكون عليه وزر الإسراف مع فرض القصاص.

ويربط الضَّمير الجَملة الواقعة خبر للمبتدأ "ويقع الخبر جملة مرتبطة بالمبتدأ برابط من روابط أربعة أحدهما الضَّمير وهو الأصل في الربط" (٥)، فالضَّمير يقوم بوظيفة أساسية في الرِّبْط بين المبتدأ والخبر وهذا الضَّمير المشترط في الخبر هو ضمير المبتدأ نفسه... (٦).

١ - إرشاد العقل السليم: ١٩١/٥.

٢ - ينظر: المصدر نفسه: ١٩١/٥.

٣ - ينظر: الحجة في القراءات السبع: ٢١٧، وإرشاد العقل السليم: ١٩١/٥.

٤ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٩١/٥.

٥ - شرح قطر الندى: ١١٨.

٦ - بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف: ١٠٦.

وشدّد أبو السُّعُود على ضرورة وجود الضمير الرّابط في الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ، فإن لم يظهر فهو مقدّر، كما في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ [النساء: ١١] إذ قال: "قوله تعالى ﴿لِلذَّكَرِ﴾ لا بُدَّ له من ضمير عائِدٍ إلى الأولاد محذوفٍ ثقةً بظهوره كما في قولهم: السَّمْنُ مَنَوَانٍ بدرهم، أي للذكر منهم، وقيل: الألف واللام قائم مقامه، والأصل لذكرهم، ومثُلُ صفةٍ لموصوفٍ محذوفٍ أي للذكر منهم حظ مثل حظ الأنثيين" (١).

ومن ملامح الرّبط الذي نلمسه عند أبي السُّعُود أثناء تحليله لأداة الرّبط بـ(إذا) الفجائية رابطة في الجمل، ولا سيّما في جواب الشرط كوقوع الفاء معها في قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، إذ قال: "جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسدّ مسدّ الفاء الجزائية كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَمْتَطُونَ﴾" (٢) فإذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط، والضمير للقصة أو مُبْهَمٌ يفسره ما بعده ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ على تقدير قول وقع حالاً من الموصول، أي يقولون: يا ويلنا تعال فهذا أوانُ حضورك" (٣)، فـ(إذا) هي إذا المفاجأة، وقد جاءت الفاء معها فتعاونتا على ربط الجزاء بالشرط.

ويحصل الرّبط بالفاء في المبتدأ المتضمّن معنى الشرط، فتدخل "الفاء في خبره كما تدخل في خبر الجزاء" (٤)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، أشار أبو السُّعُود إلى الرّبط بالفاء بين آخر الكلام وأوله في جملة (فلهم أجرهم)، قائلاً: "خبرٌ للموصول، والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها" (٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ١٧٠/٢.

٢ - الروم: ٣٦.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٩٤/٦.

٤ - الكتاب: ١٤٠/١.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٣٣١/١.

ف(الذين) هنا رُفِعَتْ بالابتداء، وخبرها جملة(فلهم أجرهم) التي اقترنت بالفاء، لمشابهة المبتدأ في العموم؛ لأنَّ المبتدأ هنا اسم موصول، وصلح في الذين؛ لأنها تأتي بمعنى الشرط والجزاء^(١).

وقد تكون الواو عاطفة بين الجمل، لما تمتاز به من خصائص أهلتها لأن تكون بمثابة الأم لأخواتها^(٢)، وقد أفاد أبو السُّعود من قرينة الرِّبط بالواو أثناء تحليله لجملة (يذبحون أبناءكم) من قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، إذ قال: "المولودين وإنما عطفه على يسومونكم إخراجاً له عن مرتبة العذاب المعتاد، وإنما فعلوا ذلك؛ لأنَّ فرعون رأى في المنام أو قال له الكهنة أنه سيولد منهم مَنْ يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يُغن عنهم من قضاء الله شيئاً"^(٣).

وقد وجَّه الفراء المعنى في ضوء قرينة الرِّبط بـ(الواو) أنهم يمسُّهم العذاب غير التذبيح كأنه قال: يعذبونكم بغير الذِّبح وبالذِّبح^(٤)، وقد أفاد النَّحَّاس من وجود الرِّابط (الواو) في تحليل معنى الآية المباركة، فيكون المعنى يعذبونكم ويذبحونكم، وبغير قرينة الرِّبط العاطفي (الواو) فهو تبين للأول وبطل منه^(٥)، ويرى الزَّمَخْشَرِيُّ أنَّ لقرينة الرِّبط بـ(الواو) أثراً في البناء التركيبي للآية المباركة، إذ يقول: "وهنا (يُذَبِّحُونَ) مع الواو، فما الفرق؟ قلت: الفرق أنَّ التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب"^(٦).

١ - ينظر: معاني القرآن، الزجاج: ٣٥٨/١.

٢ - ينظر: رصف المباني: ٤٧٣، والجنى الداني: ١٥٨.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٤٢/٥.

٤ - ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٦٩/٢.

٥ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٢٢٨/٢.

٦ - الكشف: ٥٤٠/٢.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

والذي يبدو أنَّ لقرينة الرِّبْط بـ(الواو) لها أهميّة كبيرة تُعين على صحة التّحليل وفهم التّراكيب، وتُعَدُّ من القرائن المميّزة في التّركيب النّحويّ فلولا وجود(الواو) لوجهت الآية الشّريفة إلى معنى آخر.

وقد تنبّه أبو السُّعود إلى قرينة الرِّبْط بالحرف(أو) إلى توجيه المعنى منها في تحليل الآية المباركة من قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ آثَمًا أَوْ كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، إذ قال: "و(أو) للدلالة على أنّهما سيّان في استحقاق العصيان والاستقلال به، والتّقسيم باعتبار ما يدعونه إليه فإنّ ترتّب النّهي على الوصفين مشعرٌ بعليتهما له فلا بُدَّ أن يكون النّهي عن الإطاعة في الإثم والكفر فيما ليس بإثم ولا كفر" (١).

وقد توجّه المعنى عند الزّجاج في ضوء قرينة الأداة(أو) بقوله: "أو ههنا أوكد من الواو؛ لأنّ الواو إذا قلّت: لا تطع زيداً وعمراً فأطاع أحدهما كان غير عاص، لأنّه أمره ألا يطيع الاثنين، فإذا قال: ولا تطع منهم آثماً ولا كفوراً ، ف(أو) قد دلت على أنّ كل واحد منهما أهل لأن يُعصى" (٢).

والذي يبدو أنّ أبا السُّعود وجّه المعنى الوظيفيّ لقرينة الرِّبْط (أو) ههنا للإباحة، أي لا تطع هذا الضّرب، وتجنب هذين المنكرين(الإثم والكفر) وهما متساويان في وجوب عصيانهما.

ومعطيات ما رصد تظهر أنّ قرينة الرِّبْط تتماز عن باقي القرائن اللفظيّة بأنّها تنشئ علاقات نحويّة سياقيّة بين مكونات التّركيب، وليس باستطاعة القرائن اللفظيّة الأخرى القيام بذلك، وإنّما هي وسيلة معينة على إبراز العلاقات النّحويّة السياقيّة (٣).

رابعاً: قرينة التّضام:

تُعَدُّ قرينة التّضام إحدى القرائن الشّكليّة التي تُعين على تحديد مواضع بعض الكلمات بين أقسام الكلمة، وهي من العناصر البارزة التي تُكوّن نظام تأليف العبارة

١ - إرشاد العقل السليم: ٧٤/٩.

٢ - معاني القرآن وإعرابه: ٢٦٣/٥.

٣ - ينظر: نظام الرِّبْط والارتباط في تركيب الجملة العربيّة: ١٥٨.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

في اللغة العربية^(١)، والتّضام لغةً: "صَمُّكَ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وَضَامَمْتُ فَلَانًا أَيْ قُمْتُ مَعَهُ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ، وَالضِّمَامُ: كُلُّ شَيْءٍ يُضَمُّ بِهِ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ"^(٢)، وقيل: "تضام القوم، إذا انضم بعضهم إلى بعض..."^(٣).

والتّضام في الاصطلاح: "أن تستدعي الكلمة كلمة أخرى في السّياق أو الاستعمال، أو هو إيراد كلمتين أو أكثر لخلق معنى أتم من معنى أيّهما"^(٤)، أو هو "أن تستلزم وحدة نحويّة وحدة في التّركيب ظهور وحدة نحويّة أخرى"^(٥)، وقد عرّف الدّكتور تمام حسان التّضام النّحويّ بأنّه "أن يستلزم أحد العنصرين التّحليليين النّحويين عنصرًا آخر فيسمّى التّضام هنا(التّلازم)، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمّى هذا (التّنافي)"^(٦)، وعلى أساس هذا عُرِفَت هذه القرينة عند بعض الباحثين بـ(قرينة الاستدعاء الوظيفي)^(٧).

فالتّضام هو قرينة لفظية تحافظ على سلامة التّركيب وصحة بنائه، ولم يبتعد الدّكتور فخر الدّين قباوة عن المفهوم السّابق لقرينة التّضام سوى في المصطلح إذ أطلق عليه(الاقترضاء النّحوي) ويعني به "طلب الكلمة ما يتمّ معناها في النّظم"^(٨)، وهذه القرينة تتجلّى في مظاهر متعدّدة، فهي "سبب العمل الإعرابي ويتضمّن جمهور الوظائف النّحويّة المعروفة كالتّعديّة والتّعليل، والطّرفيّة والحصر والمعيّة والتّوكيد والتّبيين والملابسة والتّفسير والتّضمن..."^(٩)، وهذا هو التّلازم، أمّا التّنافي فقد عدّة

١ - ينظر: أقسام الكلام العربي: ١٩٦، والقرينة في اللغة العربية: ١١١.

٢ - العين: ١٦/٧ مادة ضمم).

٣ - تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٧١/٥.

٤ - أقسام الكلام العربي: ١٩٦.

٥ - المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: ٢٥٧.

٦ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٧.

٧ - ينظر: المعنى وظلال المعنى: ٣٤١.

٨ - التحليل النحوي أصوله وأدلته: ١٧٥.

٩ - المرجع نفسه: ١٧٥.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

قرينة تميّز أنواع الوظائف والعلاقات^(١)، وسنعرض بالدرس قرينة التّضام عند أبي السُّعود بقسميها التّلازم والتّنافي، إذ كان لهما حضور في تحليله للنصوص القرآنيّة. أوّلاً: التّلازم

هو علاقة تركيبية بين عنصرين نحويين يستدعي أحدهما عنصراً آخر، أي أنّ ظهور هذا العنصر يستلزم ظهور عنصر آخر؛ لأنّ أحدهما متّم للآخر، وبه يكتمل معناه^(٢)، كالتّلازم بين المسند والمسند إليه، والصّفة والموصوف، والصّلة والموصول، والمضاف والمضاف إليه، والتّلازم بين الجار والمجرور^(٣).

والتّلازم عند الدكتور تَمّام حَسّان إمّا أن يكون بـ(المبنى الوجودي)، أي المبنى المذكور، وذلك عندما يستدعي أحد العنصرين المتلازمين العنصر الآخر الذي يكتمل فيه التّركيب، وهذه الصّورة يؤمن اللّبس فيها نتيجة الدّكر، أو بـ(المبنى العدمي)، أي: القائم على التقدير والحذف الذي لا يتحقّق بالعلامة الإعرابية؛ لأنّه على سبيل الاستتار أو الحذف، وأكثر ما يكون الدّكر قرينة على المعنى المراد^(٤).

وقد أفاد أبو السُّعود من قرينة التّضام في التّحليل النّحويّ، أسوة بالعلماء المتقدّمين، ولم تكن غائبة عن ذهنه، فقد وردت عنده إشارات دلّت على إدراكه لتلك الظاهرة في العربيّة، كالتّلازم بين المبتدأ والخبر بافتقار أحدهما إلى الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿سِر(١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١-٢]، فقد أشار أبو السُّعود إلى قول الخليل وسيبويه، إذ قالاً في(يس): "محلّه الرّفْع على أنّه خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ، أو النّصبُ على أنّه مفعولٌ لفعلٍ مضمرٍ، وعليهما مدارُ قراءةٍ يس بالرّفْع والنّصبِ أي هذه يس أو اقرأ يس"^(٥).

١ - ينظر: التحليل النحوي أصوله وأدلتها: ١٨٤.

٢ - ينظر: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه: ١٧٧.

٣ - ينظر: القرينة في اللغة العربية: ١٠٨-١٠٩، والقرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه: ١٧٧.

٤ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٧-٢١٨.

٥ - إرشاد العقل السليم: ١٧٤/٧.

وقد بين أبو السُّعُود في هذا الموضع معنى التَّضام بين العاطف والمعطوف عليه، إذ قال: "ولا مَسَاغٌ لِلنَّصَبِ بِإِضْمَارِ فِعْلِ الْقِسْمِ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَهُ مُقَسَّمٌ بِهِ وَقَدْ أَبَوَا الْجَمْعَ بَيْنَ قَسْمَيْنِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَوَّلِ وَلَا مَجَالَ لِلْعَطْفِ لِاخْتِلَافِهِمَا إِعْرَابًا"^(١)، وذكر أَنَّ النَّحَاةَ اسْتَكْرَهُوا الْجَمْعَ بَيْنَ قَسْمَيْنِ عَلَى مَقْسَمٍ عَلَيْهِ وَاحِدٍ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَوَّلِ، وهو السَّرُّ فِي جَعْلِ مَا عَدَا الْوَائِلَ الْأَوَّلَى عَاطِفَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: ١-٣]، إذ قال: "لا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الأول والثاني في الإعراب، نعم يجوز ذلك بجعل الأول مجرورًا باضمار باء القسمية، مفتوحًا لكونه غير منصرف، وقرئ (ص) و(ق) بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين"^(٢).

وحكى سيبويه قول الخليل أَنَّهُ قَالَ فِي الْآيَاتِ الْآتِيَةِ الذَّكَرُ: "الواوان الأخريان ليستا بمنزلة الأولى، ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك: مررت بزيد وعمر، والأولى بمنزلة الباء والتاء، ألا ترى أَنَّكَ تقول: والله لأفعلنَّ والله لأفعلن، فتدخل واو العطف عليها كما تدخلها على الباء والتاء"^(٣).

والذي جوز العطف هنا هو الضَّمُّ بَيْنَ الْمَحْلُوفِ بِهِمَا، أَي: اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَعَلَيْهِ وَجَّهَ أَبُو السُّعُودِ مَعْنَى الْوَائِلِ هُنَا أَنَّهَا لِلْعَطْفِ مِنْ دُونِ أَنْ تَكُونَ وَائِلَةً قِسْمٍ بِنَاءً عَلَى مَا قَالَ بِهِ الْخَلِيلُ وَسِيبُيْهِ، بِمَعْنَى أَنْ تَضُمَّ الْآخِرَ إِلَى الْأَوَّلِ وَتَحْلِفَ بِهِمَا.

وَمِنْ نَمَازِجِ التَّلَازُمِ: الْإِفْتِقَارُ وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّفْظَ لَا يَتِمُّ الْفَائِدَةُ إِلَّا بِهِ، إِذْ لَا يَصِحُّ وَرُودُهُ بِمُفْرَدِهِ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى ضَمِيمَةٍ تُتِمُّ مَعْنَاهُ، وَقَدْ يَكُونُ الْإِفْتِقَارُ مُتَأَصِّلًا إِذَا كَانَ اللَّفْظُ بِحَسَبِ الْأَصْلِ فِي الْوَضْعِ وَيَتِمُّثَلُ بِالْعُنَاصِرِ الَّتِي لَا يَصِحُّ إِفْرَادُهَا فِي الْإِسْتِعْمَالِ، كَإِفْتِقَارِ حَرْفِ الْجَرِّ إِلَى مُجْرُورِهِ، وَالْمَوْصُولِ إِلَى صِلَتِهِ، وَحَرْفِ الْعَطْفِ إِلَى مَعْطُوفِهِ، وَالضَّمِيرِ إِلَى مُرْجِعِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ^(٤).

١ - إرشاد العقل السليم: ١٧٤/٧.

٢ - المصدر نفسه: ٣٢/١.

٣ - الكتاب: ٥٠١/٣.

٤ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٧، والبيان في روائع القرآن: ١٥٤.

أما الافتقار غير المتأصل فهو الذي ينشأ بحسب نمط التركيب النحوي لا إلى الكلمة التي تشغله، فكل كلمة تشغل موقعاً يفرض عليها الافتقار؛ لأنها غير مفتقرة بحسب الأصل، كافتقار الفعل إلى فاعله، والمبتدأ إلى خبره، والمضاف إلى المضاف إليه، والنعت إلى منوعته، وغير ذلك^(١).

ومن أمثلة ما توجه لدى أبي السُّعُود افتقار المضاف إلى المضاف إليه، وقد تحدّد المعنى عنده بتقدير محذوف من الكلام وهو المضاف لقوة التلازم بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، إذ قال: "أي إلّا جزء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للتنبية على قوّة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد..."^(٢)، وقد يحذف المضاف للمبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] إذ قال: "حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للمبالغة أي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته"^(٣)، فقد تغيّرت الدلالة تبعاً لهذا التقدير: أي حبّ العجل الذي دخل في قلوب بني إسرائيل الذي أصبح متجذراً في عبادتهم، وقد ورد هذا الأسلوب في تفسير أبي السُّعُود في مواطن متعدّدة^(٤).

وقد يرد في التركيب عنصر مرفوع أو منصوب أو مجرور وليس معه عامله الذي عمل فيه الرفع أو النصب أو الجر، وذلك ماثل عند أبي السُّعُود في العطف على الضمير المجرور في جملة (به والأرحام) من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، إذ قال: "بالنصب عطفاً على محلّ الجار والمجرور كقولك:

١ - ينظر: الخلاصة النحوية: ٨٠، والبيان في روائع القرآن: ١٥٤.

٢ - إرشاد العقل السليم: ١٨٨/٧.

٣ - المصدر نفسه: ١٦٢/١.

٤ - ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٢/١، ٩/٢، ١٢٠، ١١١/٣، ٣٠٤، ٥١/٦، ٧٦، ٩٧/٨.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

مررتُ بزيد وعمرًا، وينصره قراءةُ تساءلون به وبالأرحام، فإنَّهم كانوا يقرئونها في السؤال والمناشدة بالله عزَّ وجلَّ، ويقولون: أسألك بالله وبالرحم^(١).

وهناك من العلماء -ذكرهم أبو السُّعُود- من قال: إنّ الأرحام "عطفًا على الاسم الجليل أي اتقوا الله والأرحام وصلوها ولا تقطعوها فإنَّ قطيعتها ممَّا يجب أن يُتقى وهو قولُ مجاهدٍ وقتادة والسَّدي والضَّحَّاك والفراء والزَّجاج، وقد جَوَّز الواحدُ نصبه على الإغراء أي والزموا الأرحام وصلوها، وقرئ بالجَرِّ^(٢) عطفًا على الضمير المجرور، وبالرَّفعِ على أنَّه مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ تقديره والأرحامُ كذلك"^(٣).

ويفهم من النَّصِّ هذا أنَّ أبا السُّعُود وجه عطف(الأرحام) على محلِّ الجار والمجرور(الهاء)، وعضد رأيه بقراءة: تسألون به وبالأرحام^(٤)، ويبدو أنَّ هناك عاملاً محذوفًا عمل الجرِّ في الاسم الوارد بعد أداة العطف(الأرحام) وهو(الباء)، وهذا التوجيه إنَّما هو مستوحى من المدرسة الكوفيَّة التي تجيز عطف الظَّاهر على المضمَر المجرور من دون إعادة الجار، أمَّا المدرسة البصريَّة فقد منَعوا عطف الظَّاهر على الضمير المخفوض إلَّا بإعادة الخافض^(٥).

وللتَّضام أثر رئيس في تفسير ظاهرة الحذف والتَّقدير في الجُملة، فهو العامل الوحيد الَّذي يمكن عن طريقه إثبات الحذف في النُّحو العربي، فإذا لم يكن المطلوب مذكورًا، فإنَّ ضرورة وجوده تفرض تقديره في الكلام^(٦).

وقد يكون التَّلازم مبررًا لتفسير العبارة عندما تخرج عن بنيتها التَّركيبية، جاء ذلك في سياق تحليل أبي السُّعُود لجُملة(إنَّ أنتم) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، إذ قال: "مرفوعٌ بمُضمَرٍ يفسِّره ما بعده تقديره إنَّ

١ - إرشاد العقل السليم: ١٥٩/٢.

٢ - قرأ حمزة وحدة: (والأرحام) بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: الحجة للقراء السبعة: ١٢١/٣.

٣ - إرشاد العقل السليم: ١٥٩/٢.

٤ - ينظر: الكنز في القراءات العشر: ٤٤٩/٢.

٥ - ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٧٩/٢، وشرح ابن عقيل: ٢٤٠/٣.

٦ - ينظر: القرائن النحوية (بحث): ٤٩-٥٠، والقرينة في اللغة العربية: ١١٢.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

ضربتم، فلما حُذِفَ الفعل انفصل الضمير، وهذا رأي جمهور البصريين، وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه مبتدأ بناءً على جواز وقوع المبتدأ بعد إن الشرطية كجواز وقوعه بعد إذا^(١)، ومنه -أيضاً- قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، إذ قال: "ارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعلٍ مضمرٍ يُفسرُه المذكورُ وعند البعض على الابتداء"^(٢).

فالأدوات بشكل عام تفتقر إلى العناصر الأخرى؛ لأنّ تضامها مع غيرها يُسهم في توضيح معانيها، على عكس الأسماء والأفعال التي تعبّر عن معانيها بنفسها، ومن ثمّ فإنّ الأداة جزء قاصر لا يمكن أن تكون مستقلة بنفسها، بل تكون تابعة لأحد مكونات التركيب ينهض ببيان معانيها ويحدّد عملها^(٣).

ثانياً: التنافي

يُعدُّ التنافي من ظواهر العناصر التركيبية، فهو خلاف التّضام، وإن أُدخل تحته لكونه قسماً له، فهو "قرينة لفظية سلبية يمكن بواسطتها أن نستبعد من المعنى أحد المتنافيين عند وجود الآخر، فإذا وجدنا (أ) استبعدنا معنى الإضافة المحضة وإذا وجدنا التّنوين استبعدنا معنى الإضافة بقسميها"^(٤)، وقواعد التّنافي عند النحويين "قواعد سلبية لا تخلو من (لا) النافية كقولهم: لا يدخل الحرف على الحرف"^(٥).

ويمكن أن نتلمّس ملامح قرينة التّضام السلبية في مسألة تنافي اجتماع المعوض والمعوض منه في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، لقد بيّن أبو السّعود إنّ أصل (اللهم) يالله فحذف حرف النداء وعوّض عنه بالميم؛ لأنّها تختصّ بالدخول على لفظ الجلالة، قائلاً: "الميم عوض

١ - إرشاد العقل السليم: ١٠٥/٣.

٢ - المصدر نفسه: ١٠٩/٩.

٣ - ينظر: التحليل النحوي عند ابن جني في ضوء النظرية التحويلية والقرائن (أطروحة دكتوراه): ١٦٣.

٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١١.

٥ - البيان في روائع القرآن: ١٥٥.

عن حرف النداء، ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه، وقيل: أصله يا الله أَمَّا بخير، أي اقصدا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته^(١)، وقد جُمعت في قول الشاعر^(٢):

إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثُ الْمَا أَقُولُ: يَاللَّهُمَّ يَاللَّهُمَّا

فالشاهد في البيت الشعري اجتماع المعوض والمعوّض عنه، وهذا لا يجوز في القرآن الكريم إلا في الشعر^(٣)، وهذا من تنافي التضام ومن خصائص لفظ الجلالة عدم حذف حرف النداء عند دخوله عليه من غير ميم^(٤).

ومن التنافي أيضًا ما رده أبو السُّعود على الزواج بأنّ (لا) النافية للجنس يكون اسمها معربًا، فذكر عدم تعلّق الجار والمجرور باسمها المبني في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، إذ قال: "كلمة (لا) نافية للجنس مفيدة للاستغراق، عاملة عمل إنّ بحملها عليها لكونها نقيضًا لها، ولازمة للاسم لزومها، واسمها مبنيّ على الفتح لكونه مفردًا نكرة لا مضافًا ولا شبيهًا به، وأمّا ما ذكره الزّجاج من أنّه معربٌ وإنّما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه، وسبب بنائه تضمّنه لمعنى من الاستغراقية؛ لأنّه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم^(٥)، وذكر أبو السُّعود أنّ (لا) النافية للجنس خبرها محذوف أي لا ريب موجود أو نحوه، والظرف صفة لاسمها، وعضد رأيه بقوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٤٣]، ف(اليوم) لا يجوز أن يكون خبر (لا)؛ لأنّ ظرف الزّمان لا يكون خبرًا عن الجثة، بل

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٧/٢.

٢ - ينسب هذا البيت لأبي خراشة الهذلي: ذكره صاحب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،

البغدادي من غير قائل: ٢٩٥/٢.

٣ - ينظر: شرح ابن عقيل: ٢٦٤/٣.

٤ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٨/٢.

٥ - المصدر نفسه: ٣٤/١.

الخبر (من أمر الله)، وكذلك لا يجوز أن يكون (فيه) خبراً عن (لا) النافية للجنس، إذ لو كان كذلك لنون (ريب) (١).

وهناك مسألة تتفرع من قرينة التّضام وهي ظاهرة الفصل أو عدم الفصل بين المتلازمين، وهو أمر مستقبح عند كثير من النّحويين (٢)؛ لأنّه يقطع روابط التّداخل بين المتضامين، إلّا أنّه قد ينطبق على بعض الحالات التي يقتضيها السّياق، ومن ذلك ما ذكره أبو السّعود من اعتراض بين القسم والمقسم عليه في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧]، إذ قال: "قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض في اعتراضٍ قُصِدَ به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيدهِ حيث اعترض بقوله وإنّه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أي كثير النّفع لاشتماله على أصول العلوم المهمّة في صلاح المعاش والمعاد" (٣)، وقد حسن هذا الاعتراض ما يقتضيه المقام من تنبيه السّامع إلى عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان (٤)، ويرى أبو السّعود أنّ قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ توسط بين الموصوف وصفته، وجواب لو إمّا متروكٌ أريد به نفى علمهم أو محذوفٌ ثقةً بظهوره أي لعظمتوه أو لعلتم بموجبه (٥).

وقد حسن الفصل بين المبتدأ والخبر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، إذ قال إنّ جملة ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: "اعتراضٌ وسّط بين المبتدأ الذي هو الموصول والخبر

١ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣٤/١، والتبيان في إعراب القرآن: ٧٠/٢.

٢ - ينظر: الخصائص: ٣٩٠/٢، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٤٢٧/٢-٤٣٥، ومعاني النحو: ٥١/١.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٠٢/٨.

٤ - ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٢/٨.

٥ - ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٢/٨.

الذي هو جملة ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ للترغيب في اكتساب ما يؤدّي إلى النّعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسّر تحصيله^(١).

بلحاظ ما تقدّم يتّضح للباحث أنّ أبا السُّعود أدرك أهميّة التّلازم بين العنصرين المتضامّين، وقد تنفصل روابطه في بعض الأحيان، إذ يمكن إدراج كلمة أو جملة بين العنصرين المتضامّين، وذلك مع متطلبات السّياق الذي يستدعي أحياناً حذف أحد الرّكنين الرّئيسيين في الجّملة لتحقيق الهدف الذي يسعى إليه المتكلّم.

خامساً: قرينة الأداة:

تُعَدُّ الأداة القرينة الأساس الذي تُبنى عليها الأساليب النّحويّة، فضلاً عن أنّها تمثّل وظيفة الرّبط بين أجزاء التّركيب، وقد وردت (الأداة) في اللّغة بمعنى الآلة و"جمعها أدوات ولكلّ ذي حرفة أداة، وهي آله التي تُقيّم حِرْفَتَهُ وأداة الحرب سلاحها"^(٢). أمّا في الأداة الاصطلاح: "هي التي يستخدمها المتكلّم لإحكام دلالة الجّملة، وإتمام إفادتها حتى يطابق الكلام مقتضى الحال، وللربط بين الأسماء والأفعال والجّمل من أجل إنشاء الأسلوب، ومن ثم تكتسب الأداة معناها من السّياق"^(٣)، فهي من القرائن التي تدلّ على المعنى في غيرها، وقد تستعمل للربط بين أجزاء الجّملة الواحدة أو للربط بين الجّمل، ويعرفها تمام حسن بقوله: "الأداة هذه القرينة اللفظيّة المستخدمة في التّعليق وتعتبر من القرائن الهامّة في الاستعمال العربي...في مجموعها من المبنيات فلا تظهر عليها العلامات الإعرابيّة ومن ثمّ أصبحت كلّها ذات رتبة شأنها في ذلك شأن المبنيات الأخرى التي تعينها الرّتبة من الإعراب"^(٤).

فالأداة بوصفها قرينة تضمّ تحتها الحروف، والأدوات، ولا بُدّ من التفريق بين الحرف والأداة، فالحرف مقيد بالحرف وحده وليس بالاسم والفعل، بينما الأداة أعمّ وأوسع؛ لأنّ الأدوات في العربيّة ليست حرفاً فقط، بل ترد أحياناً أسماءً وأفعالاً^(٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٦٢/٣.

٢ - لسان العرب: ٩٨/٨ مادة (أدو).

٣ - علم النحو العربي، رؤية جديدة، وعرض نقدي، صبري متولي: ٢٣٢.

٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٤.

٥ - ينظر: القرينة في اللغة العربية: ١٢٢.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

وأهمُّ وظيفة تؤديها الأداة داخل السياق هي الرِّبْط بين العناصر اللُّغويَّة المختلفة، بل إنَّ "الرِّبْط بالأداة هو أهمُّ طرق الرِّبْط وأكثرها استخدامًا في اللُّغة العربيَّة"^(١)، والأدوات بمجملها رابطة تُقَوِّى بها الصِّلة بين كلِّ المفردات الدَّاخلَة في حيزها، سواء أكانت الأداة داخلة على الجُملة، كأدوات النَّفي، والتَّوكيد، والاستفهام، والشَّرط، والتَّعجب، والنَّهي، والتَّمني، والقسم، وغير ذلك، أم كانت داخلة على المفردات، كحروف الجرِّ، أم كانت داخلة على الجُمْل والمفردات، كحروف العطف^(٢).*

ولأهميَّة الأداة بوصفها قرينة لفظيَّة، فقد أفاد منها أبو السُّعود أثناء تحليله للنصوص القرآنيَّة، ومن تلك الأدوات أداة النَّسخ(كان) في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[مريم: ٢٩]، ذكر أبو السُّعود أنَّ(كان) فيها أقوال، قائلاً: "وقيل: كان لإيقاع مضمون الجُملة في زمان ماضٍ مبهمٍ صالحٍ لقريبه وبعيده، وهو ههنا لقريبه خاصَّة بدليل أنَّه مَسوقٌ للتعجب، وقيل: هي زائدة والظرفُ صلة مَنْ وصبيًّا حالٌّ من المستكِّن فيه أو هي تامَّة أو دائمة"^(٣).

ويرى ابن يعيش أنَّ "حقَّ الزَّائد أن لا يكون عاملاً ولا معمولًا، ولا يحدث معنى سوى التَّأكيد ويؤيِّد ذلك قول الأئمة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾"^(٤) إنَّ(كان) في الآية زائدة وليست ناقصة، إذ لو كانت ناقصة؛ لأفادت الزَّمان ولم يكن لعيسى(عليه السَّلام) في ذلك معجزة؛ لأنَّ النَّاس كلَّهم في ذلك سواء"^(٥).

١ - الرِّبْط بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة، د. محمد حسن عبد العزيز: ١١١.

٢ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٤، والقرينة في اللغة العربية: ١٢٣.

* - لكثرة الأدوات المستعملة في الرِّبْط بين عناصر الجُملة العربية - وقد اتضح قسم منها في قرينة الرِّبْط وقرينة التضام- يحاول البحث بيان أثر بعض الأدوات التي التفت إليها أبو السُّعود أثناء تحليله للنصوص القرآنية بشكل مختصر خشية الإطالة.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٥/٥.

٤ - مريم: ٢٩.

٥ - شرح المفصل: ٣٤٧/٤.

ويبدو أنّ (كان) في هذا السياق تستعمل ليس لمجرد الإشارة للزمن، بل لتأكيد مضمون الجملة، والتعبير عن دهشة الحدث، فالتحليل التحويلي للعبارة يكشف أنّ (كان) هنا تؤدي وظيفة التأكيد على وقوع الفعل بطريقة تعجيبيّة، إذ تُشير إلى الحدث الموصوف وهو كلام طفل في المهد، وهو أمر غير مألوف، لذلك جاء استعمال (كان) ليضفي على الجملة دلالة التعجيبيّة.

ومن شواهد أبي السُّعُود في الأدوات والحروف إعمال (لا) عمل (ليس) مقترنة بتاء التّأنيث، في قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]، إذ قال: "وقوله تعالى ﴿وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ حالٌّ من ضمير نادوا أي نادوا واستغاثوا طلباً للنّجاة والحال أنّ ليس الحين حين مناصٍ أي فوتٍ ونجاةٍ، من ناصه أي فاتّه لا من ناص بمعنى تأخّر، ولا هي المشبّهة بليس زيدت عليها تاء التّأنيث للتّأكيد كما زيدت على رَبٍّ وثمّ، وخُصّت بنفي الأحيان ولم يبرز إلاّ أحد معموليها والأكثر حذف اسمها، وقيل: هي النّافية للجنس زيدت عليها التّاء وخُصّت بنفي الأحيان، وحين مناصٍ منصوبٌ على أنّه اسمها أي ولا حين مناصٍ لهم، وقُرىء بالرفع فهو على الأوّل اسمها والخبر محذوف أي وليس حين مناصٍ حاصلًا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر أي ولا حين مناصٍ كائنٌ لهم" (١).

فالأداة (لا) لا تعمل عمل (ليس) إلاّ إذا توفرت ثلاثة شروط ذكرها ابن يعيش في شرح المفصل: "أحدها: أن تدخل على نكرة، والثاني: أن يكون الاسم مقدّمًا على الخبر، والثالث: أن لا يفصل بينها وبين الاسم بغيره" (٢)، وكثيرًا ما تقترن بـ(التاء)؛ فتختصّ بأسماء الزّمان ويجب حذف أحد معموليها والغالب كون الاسم وكون معموليها لفظ (الحين) (٣).

ويخلص الباحث ممّا سبق أنّ الأداة (لا) هي المشبّهة بـ(ليس) وزيدت عليها تاء التّأنيث للتّأكيد مثلما زيدت التّاء على (ثمّ) و(ربّ)، ولات تستعمل لنفي الأحيان

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٢٧/٧.

٢ - شرح المفصل: ٢٦٩/١.

٣ - ينظر: تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، ابن هشام: ٢٩٣.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

(الأوقات)، وغالبًا ما يُحذف اسمها، ويبقى أحد معموليها ظاهرًا، وقد تداول أبو السُّعُود القراءات المختلفة للآية، فإذا كانت (حين مناص) منصوبة، فهي اسم (لا) والخبر محذوف، بمعنى: ولات حين مناص لهم، أمّا إذا كانت مرفوعة، فهي على تأويلين: الأوّل: تكون (حين مناص) هي الاسم والخبر محذوف، بمعنى: وليس حين مناص حاصل لهم، زالآخر: مبتدأ والخبر محذوف، أي: ولا حين مناص كائن لهم. ومن تلك الأدوات -أيضًا- أداة الاستفهام (هل)، وأصلها أن تكون بمعنى قد، والاستفهام فيها بتقدير ألف الاستفهام، ولما كثر استعمالها في الاستفهام حذفت الألف للعلم بمكانها^(١)، وهذا المعنى موجود في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، ذكر أبو السُّعُود أنّ قطربًا قال: "أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية، وليس بذلك بل هو استفهامٌ أُريدَ به التعجبُ ممّا في حيزه والتشويقُ إلى استماعه والإشعارُ بأنّه من الأحاديث البديعة التي حقّها أن يتناولها الرواة..."^(٢). ومن الأدوات التي لها أثر واضح في الدلالة على الزّمن الأداة (لن) فهو حرف نفي ونصب واستقبال^(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، إذ قال: "﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ كلمة لن لنفي المستقبل ك(لا)، خلا أنّ في لن زيادة تأكيدٍ وتشديد، وأصلها عند الخليل (لا أن) وعند الفراء (لا) أبدلت ألفها نونًا، وعند سيبويه حرفٌ مقتضبٌ للمعنى المذكور..."^(٤). والذي نخلص إليه أنّ أبا السُّعُود يعرض قاعدة نحويّة تتعلّق بمسألة استعمال أداتي النفي في اللغة العربيّة، وكيفية اختلاف دلّلتها الزّمنيّة عند دخولهما على الفعل المضارع، فالأداة (لن) تستعمل لنفي المستقبل، وهي أكثر تأكيدًا وتشديدًا من (لا)، ف(لا) قد تستعمل للنفي في المستقبل، لكنّها لا تحمل التأكيد نفسه الذي تحمله

١ - ينظر: الكتاب: ١٨٩/٣، ومعني اللبيب: ٤٦٠.

٢ - إرشاد العقل السليم: ١٣٩/٩.

٣ - ينظر: مغني اللبيب: ٨٧٥.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٨٨/١، وينظر: الكتاب: ٦-٥/٣، ومعاني القرآن، الفراء: ١٤١/١.

الفصل الثاني:.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

(لن)، كما أنّ (ما) لا تدخل على مضارع في معنى الحال، وهذا التحليل النحوي يظهر الدقة في اختيار الأداة المناسبة للتعبير عن النفي إمّا في الحال أو الاستقبال. ومن الأدوات التي لها علاقة بالزمن الأداتان (السين، وسوف)، وهما حرفا استقبال، ومعناهما التنفيس (التوسع) في الزمان، فهما ينقلان الفعل من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال^(١)، وأشار أبو السُّعود إلى أنّ سيبويه قال: "سوف كلمة تُذكر للتهديد والوعيد وينوبُ عنها السينُ وقد يُذكران في الوعد فيفيدان التأكيد"^(٢)، جاء ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ٥٦]، وأوضح أبو السُّعود أنّ (السين، وسوف) قد يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد^(٣).

١ - ينظر: مغني اللبيب: ٨٦٩.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٢١٩/٢، وينظر: الكتاب: ١١٥/٣.

٣ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢١٩/٢.

المبحث الثاني القرائن المعنوية

توطئة:

مما لا شكَّ فيه أنَّ النظام النَّحويَّ في اللغة العربيَّة يرتكز على قواعد متينة، وهذه القواعد هي التي تنظم العلاقات اللُّغوية بحيث تكون صحيحة في تركيبها، وتحقِّق بيانها اللَّفْظيَّ والمعنويَّ، وقد أشار النُّحويون القدماء إلى القرائن المعنويَّة، وعبر عنها ابن جني أثناء حديثه عن مقياس اللُّغة، إذ قال: "مقياس اللُّغة ضربان: أحدهما معنوي والآخر لفظي، وهذان الضَّربان وإن عمَّا وفشوا في هذه اللُّغة فإنَّ أقواهما وأوسعهما هو القياس المعنوي" (١).

وأصبح للجملة نظام يقوم على العلاقات السِّياقيَّة المتألِّفة فيما بينها بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الأخرى، وهذه القرائن التَّركيبية المعنويَّة هي التي تخرج لنا هذه العلاقات القائمة بتضافرها ببيان المعنى المراد منها (٢).

فالقرائن المعنويَّة علاقات سياقيَّة تفيد في تحديد المعنى النَّحويَّ أو الوظيفيَّ، وترتبط بين أجزاء الجُملة وتؤلِّف بين عناصرها، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الأخرى، فعلاقة الإسناد - مثلاً - علاقة رابطة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، أو نائبه تصبح عند فهمها وتصورها قرينة معنويَّة على أنَّ الأوَّل مبتدأ والثَّاني خبر، أو أنَّ الأوَّل فعل والثَّاني فاعل أو نائبه (٣).

والقرائن المعنويَّة عند تَمَّام حَسَّان أربع قرائن، هي: الإسناد والتَّخصيص، والنَّسبة والتَّبعيَّة، ويندرج تحت هذه القرائن قرائن معنويَّة أخصَّ منها، فالتَّخصيص - على سبيل المثال - قرينة معنويَّة كبرى تتفرع عنها قرائن معنويَّة أخصَّ منها وهي: التَّعديَّة، والغائيَّة، والمعنيَّة، والظَّرفيَّة، والتَّحديد والتَّوكيد، والملابسة، والتَّفسير، والإخراج،

١ - الخصائص: ١/١٧٩.

٢ - ينظر: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: ١١١.

٣ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩١-١٩٢.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

والمخالفة^(١)، ويندرج تحت قرينة النسبة قرينتان فرعيتان تمثل مجموع معاني حروف الجر، فضلاً عن الإضافة^(٢).

ومن الجدير بالذكر أنّ القرائن المعنوية تعتمد بشكل كبير على القرائن اللفظية؛ لأنها تسهم في توضيح القرائن المعنوية وفهمها، كما أنّ القرائن اللفظية أيسر وصولاً وفهماً من المعنوية؛ لأنها تتكون من ألفاظ نعيها وندرك تركيبها^(٣).

فالقرائن المعنوية هي التي يُعتمد عليها في الاستدلال على التحليل النحوي، إذ تكشف لنا المعاني في السياق، وتسهم في تحقيق انسجامه وضمان وضوحه، ويجري ذلك بتعاضدها مع القرائن اللفظية لتحقيق وظيفة معنوية محدّدة.

وتوضيح هذه القرائن، وتفصيلها على النحو الآتي:

أولاً: قرينة الإسناد:

تُعَدُّ هذه القرينة الأساس الذي تُبنى عليه التراكيب النحوية المختلفة، وكلّ ما جاء معها في التركيب يُعَدُّ فضلة أو مكملًا لها، فالإسناد لُغَةً "كلُّ شيء أسندت إليه شيئاً، فهو مُسند، والكلام سندٌ، ومسندٌ كقولك: عبدُ الله رجلٌ صالحٌ، فعبد الله مسندٌ، ورجلٌ صالحٌ مسندٌ إليه"^(٤).

وفي الاصطلاح عُرِّفَ بأنّه: "عبارة عن ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة، أي على وجه يُحسن السكوت عليه"^(٥)، أو هو: "ضمّ كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يُفيد الحكم بأنّ مفهوم أحدهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه"^(٦).

وقد أشار سيبويه إلى قرينة الإسناد عندما أفرد باباً في كتابه سمّاه باب المسند والمسند إليه، إذ قال: "وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجدُ المتكلم منه

١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٤.

٢ - ينظر: المرجع نفسه: ٢٠٤.

٣ - ينظر: القرائن النحوية وإطراح العامل (بحث): ٤٦.

٤ - العين: ٢٢٨/٧-٢٢٩ مادة (س ن د).

٥ - التعريفات: ٢٧.

٦ - شروح التلخيص، التفਤازاني: ١/١٩٠-١٩١.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

بُذًا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك...ومثل ذلك قولك: يذهب عبد الله، فلا بُدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بُدَّ من الآخر في الابتداء^(١)، فهو يشير إلى العلاقة القائمة بين ركني الجُملة (المسند والمسند إليه)، إذ لا بُدَّ من توافر ركنين لإتمام العملية الكلامية التي تتألف منها الجُملة "ولا يمكن أن تتألف الجُملة من غير مسند ومسند إليه - كما يرى النحاة - وهما المبتدأ والخبر وما أصله مبتدأ وخبر، والفعل والفاعل ونائبه، ويلحق بالفعل اسم الفعل"^(٢).

وقسم النحاة الإسناد على قسمين إسناد أصلي وآخر غير أصلي، فالإسناد الأصلي يتحقق بين المبتدأ والخبر والفعل والفاعل أو نائبه، أما غير الأصلي فهو يتحقق من عمل المشتقات داخل الجُملة^(٣).

والاعتماد على قرينة الإسناد وحدها في التحليل فيه شيء من الصَّعوبة، وهذا ما نبّه عليه الدكتور تمام حسان، إذ رأى أنها "تحتاج إلى قرائن لفظية تُعينها على تحديد نوعها"^(٤)، وقد ذكر من هذه القرائن العلامة الإعرابية، والرتبة، والمطابقة، ومباني التصريف، وهذا ما سمّي بـ(تضافر القرائن) لإيضاح المعنى النحوي الواحد^(٥).

ولكي يتّضح جليًّا أثر قرينة الإسناد في توجيه المعنى عند أبي السُّعود وبيان أهميتها في الجُملة الفعلية والاسمية، فسيكون الحديث عنهما على النحو الآتي:

١ - الإسناد في الجُملة الفعلية:

تتكوّن الجُملة الفعلية في اللغة العربية من ركنين أساسيين، لا يمكن لأحدهما أن ينفصل عن الآخر، ويربط بينهما رابط الإسناد، "وهو القرينة الكبرى التي تربط الفعل بالفاعل، وتجعل الفاعل هو الذي يقوم بالفعل أو يتصف به"^(٦)، وهو إسناد يكون فيه

١ - الكتاب: ٢٣/١.

٢ - الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٣.

٣ - ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٣١/١-٣٢، والجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٢٠-٢١، والقرينة في اللغة العربية: ١٣٦.

٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٢.

٥ - ينظر: المرجع نفسه: ١٩٢.

٦ - بناء الجملة العربية: ١٢٨، وينظر: نظرية نحو الكلام، د. كريم حسين الخالدي: ١٨٣.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

المسند فعلاً، والمسند إليه اسماً، ولهذا التركيب صورتان: الأولى هي صورة البناء للمعلوم التي تضم الفعل والفاعل، والثانية هي صيغة البناء للمجهول التي يكون فيها المسند إليه نائب الفاعل^(١).

وذكرت قضية الإسناد بشكل واضح في تفسير أبي السُّعود أثناء تحليله للنصوص القرآنية، فقد استعملها في تحديد الأحكام النحوية وفقاً لمتطلبات الإسناد الفعلي، ومن الأمثلة ما توجه لديه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، بحسب قرينة الإسناد في الجملة الفعلية (لا تحسبن)، قد يكون الفعل مسنداً إلى (الذين كفروا) أو مسنداً إلى الضمير ويُراد به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو ضمير من يحسب، قائلًا: "الخطابُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظٌ من الخطاب، وقرئ بالياء^(٢) على الإسناد إلى ضميره (عليه السلام) أو ضمير مَنْ يحسب، وقيل: إلى الذين قُتلوا، والمفعول الأول محذوف؛ لأنه في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة، والتقدير ولا يحسبَنَّهُم الذين قُتلوا أَمْوَاتًا أي لا يحسبنَّ الذين قُتلوا أنفسهم أَمْوَاتًا..."^(٣)، وأشار إلى ذلك الزمخشري بقوله: "فإن قلت: كيف جاز حذف المفعول الأول؟ قلت: هو في الأصل مبتدأ، فحذف كما حذف المبتدأ في قوله أحياء والمعنى: هم أحياء لدلالة الكلام عليهما"^(٤).

وقد يتخذ أبو السُّعود قرينة الإسناد الفعلي وسيلة لتطبيق الإسناد المجازي^(٥)، بما هو أهم للمبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ

١ - ينظر: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه: ٣٦.

٢ - قرأ ابن عامر وحمزة (وَلَا يَحْسِبْنَ) بالياء، ينظر: الحجة للقراء السبعة: ١٥٤/٤.

٣ - إرشاد العقل السليم: ١٢٨/٢.

٤ - الكشف: ٤٣٩/١.

٥ - عرّف علماء البلاغة العربية الإسناد المجازي، فكان من بينهم عبد القاهر الجرجاني، إذ قال: "وحدّه أنّ كلّ جملة أخرجت الحكم المُفاد بها موضوعه في العقل لضرب من التأويل، فهي مجاز"، أسرار البلاغة: ٣٣٢.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴿البقرة: ١٢٥﴾، إذ قال: "﴿وَأَمَّا﴾ أي آمنا كما في قوله تعالى: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾" (١) على إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة أو على تقدير المضاف أي ذا أمن، أو على الإسناد المجازي أي آمنا من حجه من عذاب الآخرة... (٢)، ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٠١]، إذ قال: "...وإنما أسند الفعل إلى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل، وقُرِئَ نفخةً واحدةً بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور، والمراد بها النفخة الأولى التي عندها خراب العالم" (٣).

فقيام المصدر مقام الفاعل جائز إذا عري الكلام ممّا هو أحقّ بالفعل وهو الفاعل يقول عبد القاهر الجرجاني: "فإنّ عُرِيَ الكلام من ذلك ووجدت فيه مصدرًا ومجرورًا أو ظرفًا كنت بالخيار في إقامة أي ذلك شئت مقام الفاعل وذلك قولك: سرت بزيد يوم الجمعة فرسخين سيرًا شديدًا، فإذا حذف الفاعل قلت: سير بزيد يوم الجمعة... فوصفت بزيد موضع الفاعل...وجملة هذه الأشياء متساوية في استحقاق محلّ الفاعل، لعدم التفاضل بينهما..." (٤).

وذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّه يجوز أن ينوب عن الفاعل ما كان أهمّ وأدخل في عناية المتكلم، فإذا كان المجرور هو المهم أنيب، وإذا كان المصدر هو المهم أنيب، وإذا كان الظرف هو المهم أنيب، فيقول مثلاً: جلس في الدار، وكما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، فهنا المهم هو المجرور، وكذا الأمر مع المصدر والظرف، أو يعينك ذكر أحد المفعولين دون الآخر ولا يعينك ذكر الفاعل، وهكذا فإن المعنى هو الحاكم (٥).

١ - العنكبوت: ٦٧.

٢ - إرشاد العقل السليم: ١٩١/١.

٣ - المصدر نفسه: ٢٧/٩.

٤ - المقتصد في شرح الإيضاح: ٣٥٢-٣٥٣.

٥ - ينظر: معاني النحو: ٦٩/١-٧١.

فقرينة الإسناد في الآية الأنفة الذكر قد رجّحت فكرة تامّة في ضوء المركب الإسنادي وأثره في عمليّة التعليق، لذلك عدّها الدكتور تمام حسان من وسائل الاتساق في الجُملة، فهي قرينة معنويّة كبرى لتمييز المسند إليه من المسند في الجُملة^(١).

٢ - الإسناد في الجُملة الاسميّة:

يراد به العلاقة المعنويّة بين الاسم الذي يكون أوّل الكلام وهو المبتدأ، والمسند سواء أكان اسمًا أم جملة^(٢)، أو يراد به العلاقة بين المبتدأ والخبر، وما كان أصله مبتدأ وخبر، واسم الفاعل وفاعله، والمصدر المشتق وفاعله أو نائب الفاعل^(٣).

ووضّح ابن جني علاقة الإسناد المعنويّة في الجُملة الاسميّة بقوله: "اعلم أنّ المبتدأ كلّ اسم ابتدأته وعريته من العوامل اللَّفْظِيّة، وعرضته لها، وجعلته أوّلًا لثاني يكون الثاني خبرًا عن الأوّل ومسندًا إليه وهو مرفوع بالابتداء، تقول: زيد قائمٌ ومحمّدٌ منطلقٌ، فزيدٌ ومحمّدٌ مرفوعان بالابتداء وما بعدها خبر عنهما"^(٤).

فالمبتدأ والخبر يحكما الإسناد، فقولك: زيدٌ منطلقٌ، إنّما تعلّق فيه (زيد) بـ(منطلق) برابط ذهني غير منطوق، وبسببه تحصلت الفائدة المرجوة من الكلام، ولو لم يكن موجودًا لاستحال الكلام إلى أصوات لا تماسك بينها، ومن ثم لا نصل إلى المعنى المراد من اجتماعهما^(٥).

وقد أفاد أبو السُّعود من قرينة الإسناد الاسمي أثناء تحليله النحويّ للنصوص القرآنيّة، ومن ذلك الابتداء بالنكرة، فمن شروط الإسناد الاسمي أن يكون المسند إليه معرفة، أو ما قارب المعرفة من النكرات^(٦)، وهذا ما أشار إليه ابن مالك في قوله^(١):

١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٣.

٢ - ينظر: القرينة وأثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش، قصي سمير العزاوي، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية - الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣م: ١٦٩.

٣ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩١ - ١٩٢، والجُملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٣.

٤ - اللمع في العربية: ٢٩.

٥ - ينظر: التحليل النحوي عند ابن جني في ضوء النظرية التحويلية والقرائن (أطروحة دكتوراه): ١٧٣.

٦ - ينظر: المقتضب: ١٢٧/٤.

ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تُقدّم، كَعِنْدَ زَيْدٍ نَمْرَةً
ولكن قد يأتي المبتدأ نكرة، إذا كان موصوفاً أو خلفاً من موصوف سواء أكان
موصوفاً بظاهر أم مقدّر^(٢).

وقد استند أبو السُّعُود إلى ما ذهب إليه من سبقه من النحويين في تحليله وجه
الابتداء بالنكرة (قتال) في قوله تعالى: ﴿سَأَلْنَاكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾
[البقرة: ٢١٧] إذ قال: "﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل، وإنما
جاز وقوع (قتال) مبتدأ مع كونه نكرة لتخصّصه إما بالوصف إن تعلّق الظرف
بمحذوف وقع صفة له أي قتال كائن فيه، وإما بالعمل إن تعلّق به، وإنما أُوثر
التّكرار احترازاً عن توهم التّعيين وإيذاناً بأن المراد مطلق القتال الواقع فيه أي قتال
كان"^(٣).

ويتضح لي أنّ النصّ يفسّر الجملة الاسميّة في ضوء مجيء المسند إليه نكرة
ولكنّه متخصّص بالوصف أو العمل، فالمسوغ للابتداء بالمسند إليه (قتال) أنّه
موصوف بصفة مقدّرة: أي قتال مستقر فيه، واختيار التّكرار هنا جاء لتجنب التّعيين
أو الإشارة إلى قتال معين، وإظهار أن المقصود هو أي قتال يقع في هذا السياق، أي
قتال بشكل عام وليس قتالاً محدّداً.

وقد يحتكم أبو السُّعُود إلى قرينة الإسناد الاسمي ببيان حذف أحد طرفي الإسناد
من التّركيب، ممّا يوجب تقدير المحذوف من ركني الإسناد، فقدّر الخبر المحذوف أو
المبتدأ المحذوف في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤]، إذ قال: "يرفع
الأوّل على أنّه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدأ، ونصب الثاني على أنّه
مفعول لما بعده قُدّم عليه للقصر، أي لا أقول إلاّ الحقّ والفاء لترتيب ما بعدها على

^١ - ينظر: شرح ابن عقيل: ٢١٥/١.

^٢ - ينظر: شرح الكافية: ٢٢٤/١، وشرح المكودي: ٤٨.

^٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٥٦-٢٥٧.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

ما قبلها أي فالحق قَسَمي على أَنَّ الحقَّ إمَّا اسمُهُ تعالى، أو نقيضُ الباطلِ عَظَمه الله تعالى بإقسامِهِ به أو فأنا الحقُّ أو فقولي الحقُّ" (١).

وعلى وفق مبدأ الإسناد يقدر أبو السُّعود في الآية المباركة الخبر محذوف من التركيب الإسنادي و(الحق) مسند إليه، والتقدير: فالحق قسَمي، أو المبتدأ محذوف، والتقدير: فأنا الحقُّ أو قولي الحق.

ويحذف المسند وجوباً في الجملة الاسمية مع المدح والذم ويكون مخبراً عنه بنعت مقطوع نحو: الحمد لله الحميد، أي هو الحميد، ومررت بزيد الفاسق، أي أعني الفاسق، والتزم الإضمار هنا؛ لأنهم قصدوا إنشاء المدح والذم ولو أظهروه؛ لأوهم الإخبار (٢).

ولا يقتصر أبو السُّعود في معالجته لموضوع الإسناد الاسمي عند باب المبتدأ والخبر، بل يمتد تحليله ليشمل الحروف والأفعال النَّاسخة التي تدخل على المبتدأ والخبر، إذ يبقى الإسناد هو العامل المشترك الذي يربط بينهما؛ "لأنَّ البنية العميقة للجملة المنسوخة تظل هي المبتدأ والخبر وتحدث تغيرات في المصطلحات النحوية فيسمى المبتدأ اسم (إن) أو (كان) والخبر يسمى خبرها وإنما هي أخبار أسماء هذه النواسخ على الحقيقة" (٣).

وقد وظف أبو السُّعود قرينة الإسناد للدلالة على ما ذهب إليه بجواز تغير خبر (إن) بحسب القراءة، وذلك ماثل في سياق تحليله لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، إذ قال: "وقرئ برفع (أمره) على أنه مبتدأ وبالع خبر مقدّم، والجملة خبر إن أو بالع خبر إن، وأمره مرتفع به على الفاعلية أي نافذ أمره، وقرئ بالعاً أمره على أنه حال وخبر إن قوله تعالى:

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٥٢/٧.

٢ - ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢٤٦.

٣ - الدلالة والتفعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، د. محمد سالم صالح: ١٧٩.

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي تقديرًا وتوقيتًا أو مقدارًا وهو بيانٌ لوجوب التوكّل عليه تعالى^(١).

وقد لاحظ أبو السُّعود أنّ الإسناد في خبر (كان) فيه قوّة من حيث الصّناعة النّحويّة، ودلالة من حيث الجانب البلاغي في فهم النّصّ، وذلك ماثل أثناء تحليله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، إذ قال: "بالنّصب على أنّه خبرٌ كان، وأن مع ما في حيزها اسمها، وقرئ بالرفع^(٢) على العكس والأوّل أقوى صناعة؛ لأنّ الأولى للاسميّة ما هو أوغل في التّعريف وذلك هو الفعل المصدر بأنّ إذ لا سبيل إليه للتّكثير بخلاف قول المؤمنين فإنّه يحتمله كما إذا اعتزلت عنه الإضافة، لكن قراءة الرّفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أنّ مصبّ الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحقّ بالخبريّة ما هو أكثر إفادة وأظهر دلالةً على الحدوث وأوفرّ اشتمالاً على نسب خاصّة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السّامع"^(٣).

يتضح للباحث من النّصّ المسوق أنّ أبا السُّعود ذهب إلى أنّ المسند وهو خبر الفعل الناقص (قول المؤمنين) بالنّصب أقوى من قراءة الرّفع من حيث الصّناعة النّحويّة؛ لأنّ الأولى للاسميّة ما هو أكثر تعيينًا أو تعريفًا، والمسند إليه الفعل المصدر بـ(أن) لا يمكن أن يكون نكرة، بينما (قول المؤمنين) يمكن أن يحمل التّكثير في حالة انفصال الإضافة عنه، وعلى الرغم من أنّ قراءة النّصب أقوى من حيث الصناعة، إلّا أنّ قراءة الرّفع أكثر تناسبًا مع المعنى المقصود؛ لأنّ البيان في الجمل يأتي عادة من المسند، والخبر في حالة الرّفع أكثر فائدة وأوضح في الدّلالة على الحدوث.

ومن الرّوابط الإسناديّة التي تدخل بين المبتدأ والخبر، الفاء، وضمير الفصل، ولكنّها روابط غير لازمة، إذ يمكن الاستغناء عنها دون أن يتأثّر المعنى، ولا يحدث

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٨-٢٦٦.

٢ - قرأ ابن أبي إسحاق بالرفع، ينظر: المحتسب: ١١٥/٢.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٠٤/٦.

فيها لبس يؤدي إلى عدم وضوح عنصر الإسناد داخل الجملة^(١)، على نحو ما نلاحظه في التركيب الذي يتصدره اسم الموصول؛ لأنّ مثل هذا التركيب الاسنادي يكون في معنى الجزاء فتدخل الفاء في خبره مثل ما تدخل في خبر الجزاء^(٢)، وذلك مائل في تفسير أبي السّعود في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، إذ قال: "﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبرٌ للموصول، والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها، وقيل: للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين إلخ"^(٣)، فجعل الخبر بالفاء؛ لأنّ الاسم (الذي) وصلته في معنى (مَنْ)، (ومن) يكون جوابها بالفاء في المجازة لأنّ معناها: من ينفق ماله فله كذا^(٤).

وأصبح تحليل الزّجاج أكثر وضوحاً، إذ قال: "(الذين) رفع بالابتداء، وجاز أن يكون الخبر ما بعد الفاء، ولا يجوز في الكلام (زيد فمنطلق)؛ لأنّ الفاء لا معنى لها، وإنما صلح في (الذين) لأنّها تأتي بمعنى الشرط والجزاء"^(٥).

والذي يبدو أنّ سبب مجيء (الفاء) في هذا السياق هو سبقها بالاسم الموصول (الذي)، وهو متضمّن معنى الشرط والجزاء، إذ لو لم يكن كذلك لما كان هناك مبرر لدخول (الفاء)؛ لأنّ السياق عندئذ يخلو من الشرط، وفي الشرط دلالة تامّة على معنى التّضمين، فالرّابط يتحقّق أولاً بالشرط، ومن ثمّ تأتي الفاء لربط طرفي جملة الشرط. أمّا ضمير الفصل، فهو ضمير بصيغة المرفوع، يقع بعد المبتدأ، أو ما أصله المبتدأ وقبل الخبر، ويكون مطابقاً لما قبله تكليماً وخطاباً وغيبة^(٦)، وهذا ما وقف

١ - ينظر: بناء الجملة العربية: ١١٤، والموقعية في النحو العربي: ١٨٤.

٢ - ينظر: الكتاب: ١٣٩/١-١٤٠، والأصول في النحو: ١٦٨/٢، واللباب في علل البناء والإعراب: ١٤٧/١.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٣١١/١.

٤ - ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ٢٠٣/١.

٥ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٣٥٨/١.

٦ - ينظر: المفصل في صناعة الإعراب: ١٧٢.

عنده أبو السُّعُود أثناء تحليله لضمير الرفع(هو) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]، إذ قال: "فهو ضميرُ الفصلِ دخلته اللامُ لكونه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخلَ المبتدأ... والقصصُ خبرٌ إنَّ والحقُّ صفتُهُ، أو هو مبتدأُ والقصصُ خبرُهُ والجُمْلَةُ خبرٌ لِإنَّ"^(١).

فضمير الفصل له محل من الإعراب، إذ يدخل ضمن العملية الإسنادية؛ لأنه يتوسط بين المبتدأ والخبر فيإمكانه أن يشكّل مع ما بعده جملة من مسند ومسند إليه^(٢)، ويمكن تحليله نحويًا على أنّه "بمنزلة اسم مبتدأ وما بعده مبني عليه"^(٣).

نخلص إلى أنّ قرينة الإسناد تُعدّ من القرائن المعنوية التي تربط ركني الجملة في العملية الكلامية، والتي تُعين على توجيه المعنى بربط الكلمات بعضها ببعض لتؤدي معنى يحسن السكوت عليه، وقد اتّضحت هذه القرينة في تفسير أبي السُّعُود بشكل كبير أثناء تحليله للنصوص المباركة، ممّا يدلّ على فهمه العميق للعلاقات النحوية التي تُسهم في تحقيق الدقة والوضوح في تفسير النصّ القرآني.

ثانيًا: قرينة التّخصيص:

التّخصيص في اللغة: مصدر خَصَصَ، يقال خَصَّه بالشّيء يَخْصُّه خَصًّا وخُصُوصًا، واختصّه بالشّيء: أفرده به دون غيره، والتّخصيص ضدّ التّعميم^(٤).
أمّا التّخصيص اصطلاحًا: فيعني "علاقة نحوية عامّة تربط بين المعنى الإسنادي المستفاد من المسند وبين طائفة من المنصوبات تشمل على المفعولات الخمسة والحال والمستثنى والتّمييز"^(٥)، ولذلك يمكن عدّها من القرائن المعنوية الكبرى التي تضمّ قرائن معنوية أخصّ منها، وإنّما سُمّيت هذه القرينة بـ(التّخصيص)؛ لأنّ كلّ ما يتفرّع عنها له علاقة إسنادية مُقيّدة بجهة خاصّة في فهم معنى الحدث الذي يشير

١ - إرشاد العقل السليم: ٥٥/٢.

٢ - ينظر: أمثلة لمثل هذا في تفسير إرشاد العقل السليم: ٤٢/٣، ٢٦٠، ٧٣/٥، ١٢٢/٧.

٣ - الكتاب: ٣٩٢/٢.

٤ - ينظر: العين: ١٥١/٣، ولسان العرب: ٢٤/٧، والقاموس المحيط: ٦١٧ مادة(خصص).

٥ - القرائن النحوية وإطراح العامل(بحث): ٤٢.

إليه الفعل، أو الصفة^(١)، ويمكن إيجاز هذه القرائن في تحليل أبي السُّعُود على النحو الآتي:

١ - قرينة التعدية: متمثلة بالمفعول به، وهي علاقة قائمة بين معنى الحدث في جملة الإسناد وبين المنصوب الذي يسمّى المفعول به^(٢)، والمفعول به عند جمهور النحاة هو: "الذي يقع عليه فعل الفاعل"^(٣)، فحين نقول: ضرب زيدٌ عمرًا، عرفنا أنّ الضرب وقع من زيد على عمرو، إي أنّ الوقوع على عمرو كان قيدًا في إسناد الضرب إلى من أسند إليه^(٤).

فوظيفة المفعول به تخصيص الإسناد وتقييده والدلالة على أنّ الفعل أو ما في معناه قد وقع تأثيره على المفعول، فإسناد الضرب إلى زيد كان مخصّصًا بوقوعه على عمرو، وكان أيضًا جهة دلالية للفعل (ضرب) حالت بينه وبين أن يفهم على إطلاقه^(٥)، وبذلك "تنشأ علاقة الارتباط بين الفعل المتعدّي والمفعول به، والأصل الدلالي لهذه العلاقة أنّ الفعل المتعدّي يفترق في دلالاته إلى اسم يقع عليه، أمّا الفعل اللازم فلا يفترق إلى ذلك"^(٦).

وقد اتخذ أبو السُّعُود من هذه القرينة وسيلة أساسية في تحليله للنصوص القرآنية، وبين أثرها في التركيب، ومن صور التخصيص بالتعدية ما توجه لديه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، إذ قال: "الإلقاء طرح الشيء، وتعديته بـ(إلى) لتضمّنه معنى الانتهاء والباء مزيدة، والمراد بالأيدي الأنفُس والتَّهْلُكَةُ مصدر كالتَّصْرَةِ والتَّسْثَرَةِ وهي والهلك واحدٌ أي لا توقّعوا أنفسكم إليها فحذف المفعول"^(٧)، وذكر السمين الحلبي أنّ الباء فيها ثلاثة أوجه^(٨).

١ - ينظر: ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٥.

٢ - ينظر: الرخصة النحوية: ١٧٩.

٣ - المفصل في صناعة الإعراب، الزمخشري: ٣٤.

٤ - ينظر: الجواز النحوي ودلالة الإعراب على المعنى، مراجع عبد القادر الطلحي: ٥٤٩.

٥ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٥.

٦ - نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٦٦.

٧ - إرشاد العقل السليم: ١/٢٤٤.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

الأول: أنها زائدة في المفعول به؛ لأنّ (ألقى) يتعدّى بنفسه، وأشار إلى ذلك الزمخشري بقوله: "والمعنى: ولا تَقْبِضُوا التَّهْلُكَةَ أَيْدِيَكُمْ، أي: لا تَجْعَلُوهَا آخِذَةً بِأَيْدِيكُمْ مَالِكَةً لَكُمْ" (١).

الثاني: أنها متعلّقة بالفعل غير زائدة، والمفعول محذوف، تقديره: ولا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيَكُمْ، ويكون معناها السبب كقولك: لا تُفْسِدْ حَالَكَ بِرَأْيِكَ.

الثالث: أن يضمن (ألقى) معنى ما يتعدّى بالباء، فيُعدّى تعديته، فيكون المفعول به في الحقيقة هو المجرور بالباء تقديره: ولا تُفَضُّوا بِأَيْدِيَكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

ويتّضح لي أنّ هذا التركيب مستند إلى قرينة التّعدية، إذ عدّت الباء الدّالة على كلمة (أيديكم) زائدة، ممّا جعل إسناد الفعل إلى فاعله مرتبطاً بوقوعه على (أيديكم)، أي أنّ الحدث قد وقع على من أسند إليه، ويجوز أن تكون الباء المقترنة بـ (أيديكم) أصلية، وليست زائدة، إذ المفعول محذوف والتقدير: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، وفي هذه الحالة تكون الباء دالة على السببية، والمعنى: لا ترموا أنفسكم بأيديكم.

ومن ملامح التّخصيص بالتّعدية ما أورده أبو السُّعود أثناء اعتماده على الدّالة المعجميّة للفعل (جعل) في بيان حال المفعول به في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذَّبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، إذ قال: "معنى ما جعل ما شرع وما وضع، ولذلك عُدِّي إلى مفعول واحد هو بَحِيرَةٌ وما عطف عليها، و(من) مزيد لتأكيد النفي، فإنّ الجعل التكوينيّ كما يجيء تارةً متعدّيًا إلى مفعولين وأخرى إلى واحدٍ كذلك الجعلُ التشريعيّ يجيء مرةً متعدّيًا إلى مفعولين كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُفْبَةَ الْغُبَىٰ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (٢)، وأخرى إلى واحد... (١)، ويرى العكبري أنّ (جعل) ههنا بمعنى (سمّى)

١ - ينظر: الدر المصون: ٣١١/٢-٣١٢.

٢ - الكشف: ٢٣٧/١.

٣ - المائدة: ٩٧.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

فتكون (بحيرة) أحد المفعولين والآخر محذوف؛ أي: ما سُمِّي الله حيوانًا بحيرة، ويجوز أن تكون (جعل) متعدية إلى مفعول واحد بمعنى: ما شرع ولا وضع^(٢).

والذي يبدو أن تعدية الفعل إما أن تكون بدلالة الفعل المعجمية من غير وسيلة أخرى، أو بوسيلة من وسائل التعدية، كتضعيف عين الفعل، أو بالتضمنين، أو بواسطة حرف الجر^(٣).

وبين أبو السُّعود أن بعض الأفعال يتعدى إلى مفعول بنفسه دون الحاجة إلى حرف الجر كما في الفعل (سبح) أثناء تحليله لقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]، إذ قال: "التَّسْبِيحُ تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى اعتقادًا وقولًا وعملاً عما لا يليق بجنابه من سبَح في الأرض والماء إذا ذهبَ وأبعدَ فيهما وحيثُ أَسَدَ هَهُنَا إلى غيرِ الْعُقْلَاءِ أيضًا...وهو متعدِّ بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ﴾"^(٤)، واللام إما مزيدة للتأكيد كما في نصحتُ له وشكرتُ له أو للتعليل أي فَعَلَ التَّسْبِيحَ لأجلِ الله تعالى وخالصًا لوجهه"^(٥).

٢- قرينة الغائية: وهي قرينة معنوية تدلّ على معنى المفعول لأجله وعلى معنى المضارع بعد اللام، وكى، والفاء، ولن، وإذن، وحتى^(٦)، وتدلّ على تقييد الإسناد إذ يكون من دونها أعمّ، وهو مسبب، فإذا قال المُتَكَلِّم: أتيت رغبة في لقاءك، أو كى ألقاك، أو حتّى ألقاك، فقد أسند إلى المُتَكَلِّم مقيدًا بسبب خاص، وهذا القيد هو الغائية الذي يُعدّ جهةً في فهم الإتيان؛ لأنّ هذا الإتيان لو كان من غير تقييد بسبب لكان أعمّ منه وهو مسبب، فالإتيان مفهوم من جهة كونه مسببًا عن الرّغبة في اللقاء

١- إرشاد العقل السليم: ١٠٣/٣.

٢- ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٦٤/١.

٣- ينظر: الوظائف الدلالية للجملة العربية، محمد رزق: ١١٦، ورؤى لسانية في نظرية النحو العربي، د. حسن الملق: ٢٣٠.

٤- الأحزاب: ٤٢.

٥- إرشاد العقل السليم: ٢٠٥/٨.

٦- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٤.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

فتكون الغائيّة وهي قرينة معنويّة دالّة على المفعول لأجله أو على المضارع بعد الأدوات المذكورة^(١)، وهذه القرينة على قسمين^(٢):

- ١- غائية السبب: متمثلة بنصب الفعل المضارع بعد (اللام، وكي، وفاء، وحتى).
- ٢- غائية المدى: وتضمّ غائية الزّمان، وتشمل الفعل المضارع بعد (لن، وإنّ، وحتى، وأو)، وغائية المكان في المضارع بعد (حتى).

ويمكن أن نوجز تطبيقات هذه القرينة في تفسير أبي السُّعود، فقد اعتمد قرينة الغائيّة كثيرًا في سياق تحليله للنصوص القرآنيّة، ومن ذلك تحليله لقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩]، فقد نصب (حذر الموت) "بيجعلون على العلة وإن كان معرّف بالإضافة كقوله^(٣):

وأغفر عوراء الكريم ادِّخاره وأصفح عن شتم اللئيم تكرمًا ولا ضير في تعدّد المفعول له، فإن الفعل يعلّل بعلل شتّى، وقيل: هو نصب على المصدرية أي: يحذرون حذرًا مثل حذر الموت، والحذر والحدار هو شدّة الخوف^(٤)، ويرى الأخفش أنّ (حذرًا) منصوب بالفعل بعد اسقاط (اللام) والأصل (لحذر)^(٥)، وقال الزّجاج: "ليس نصبه لسقوط اللام، وإنّما نصبه أنّه في تأويل المصدر، كأنّه قال: يحذرون حذرًا؛ لأنّ جعل الأصابع في الآذان يدلّ على الحذر"^(٦)، وإلى هذا ذهب جمع من اللّغويين^(٧).

والذي يبدو أنّ علاقة التّخصيص المعنويّة كانت الموجه لفهم أبي السُّعود للآية المباركة؛ لأنّ الفعل (يجعلون) يقيد الإسناد الفعلي بسبب أو علة، وعلاقة التّقييد هذه

١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٥-١٩٦، والقرينة في اللغة العربية: ١٤٩-١٥٠.

٢ - ينظر: الرخصة النحوية: ١٩٠، والقرينة في اللغة العربية: ١٥٠-١٥١.

٣ - ديوان حاتم الطائي: ٨١.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٧١/١.

٥ - ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٧٩/١.

٦ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٩٧/١.

٧ - ينظر: اللمع في العربية: ٥٨، وشرح المفصل: ٤٤٩/١.

قائمة على التفسير للفعل، وغالب اللغويين يرون أن (حذر الموت) كان علة لجعل الأصابع في الأذان، وفاعل الجعل وفاعل الحذر واحد، لذلك هو مفعول لأجله^(١).

ومن صور توظيف قرينة الغائية في توجيه المعنى عند أبي السُّعود استعمال (لام التعليل) التي تتفق في الجوانب التركيبية مع ما يدعى بـ(لام العاقبة) أثناء تحليله لقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فقد قدر أبو السُّعود اللام الواقعة في (ليجعل) بأنها "لام العاقبة كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابًا وَحَرِيبًا﴾" (٢) أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم، والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك أصلاً، وقيل: هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثله في النطق بذلك القول واعتقاده ليَجعله الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم" (٣).

ولعل من أهم المعاني التي تدل على التعليل الأداة (حتى)؛ إذ تستعمل كثيراً في إقامة علاقة بين ما قبلها وما بعدها أساسها معنى التعليل عندما يقع بعدها المضارع منصوباً^(٤)، وقد أشار أبو السُّعود إلى ذلك أثناء تحليله لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦]، إذ قال: "(حتى) سواء كانت للغاية أو للتعليل متعلقة بما بعدها لا بقوله تعالى استجارك؛ لأنه يؤدي إلى إعمال حتى في المضمرة وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله^(٥):

فلا والله لا يلفي أناسٌ فتى حثاك يا بن أبي زياد

كذا قيل إلا أن تعلق الإجارة بسماع كلام الله تعالى بأحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة أيضاً بذلك أو بما في معناه من أمور الدين" (٦).

١ - ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٥٥١/١.

٢ - القصص: ٨.

٣ - إرشاد العقل السليم: ١١٩/٢.

٤ - ينظر: حروف المعاني، الزجاجي: ٦٤، وارتشاف الضرب: ١٦٦/٣.

٥ - هذا البيت من الشواهد التي لا يعرف قائلها، ينظر: شرح ابن عقيل: ١١/٢.

٦ - إرشاد العقل السليم: ٥٢-٥٣/٤.

يتضح لي من النصّ المسوق آنفاً أنّ أبا السُّعود يعالج مسألة نحويّة دقيقة تتعلّق باستعمال (حتى) في سياق معين، مثل قول (استجارك) الذي قد يؤدّي إلى صعوبة فهم التّركيب اللُّغوي؛ لأنّ ذلك يستلزم استعمال (حتى) بشكل يجعلها تعمل في المضمّر هو أمر غير مألوف في اللّغة الفصيحة، إذ يرى أنّ الاستجارة إذا كانت متعلّقة بسماع كلام الله تعالى، سواء أكان للتعليل أم للغاية، فهذا يقتضي أن تكون الاستجارة مرتبطة بأمور الدّين أو بمعناها.

٣- قرينة الظّرفيّة: وهي قرينة معنويّة تدلّ على معنى المفعول فيه بتخصيص الزّمان والمكان، فهي علاقة إسناديّة مقيدة بالزّمان والمكان^(١)، وإنّما سُمّي مفعولاً فيه؛ لأنّ الأزمنة والأمكنة ظروف تحتوي على الأفعال، فصارت كالأوعية لها^(٢)، فارتباط الظّرف بالفعل وثيق؛ لأنّ الفعل دالّ على الحدث ولا يخلو الحدث عن زمان ومكان^(٣).

وقد نلمح أثر هذه القرينة في تفسير أبي السُّعود أثناء تحليله لكلمة (يوم) في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٠٨) يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [المائدة: ١٠٨-١٠٩]، إذ قال: "نصب على أنّه بدلُ اشتمالٍ من مفعول اتقوا لما بينهما من الملازمة، فإنّ مدار البدليّة ليس ملازمة الظّرفيّة والمظروفيّة ونحوها فقط بل هو تعلّق ما، مُصحّحٌ لانتقال الدّهن من المبدل منه إلى البدل بوجه إجمالي كما فيما نحن فيه...وقيل: هناك مضافٌ محذوفٌ به يتحقّق الاشتمال، أي اتقوا عقاب الله فحينئذٍ يجوزُ انتصابه منه بطريق الظّرفيّة، وقيل منصوبٌ بمضمّرٍ معطوفٍ على (اتقوا) وما عُطف عليه أي واحذروا أو انكروا يوماً إلخ... وقيل هو ظرفٌ لقوله تعالى: ﴿لَا يَهْدِي﴾ أي لا يهديهم يومئذٍ إلى طريق الجنّة كما يهدي إليه المؤمنين، وقيل: منصوب بقوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ بحذف مضاف أي اسمعوا خبرَ ذلك اليوم، وقيل: منصوب بفعل مؤخّرٍ قد حُذف للدلالة على ضيق

١ - ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٣٠٦.

٢ - ينظر: شرح المفصل: ٤٢٢/١، والأزمنة والأمكنة، المرزوقي: ١٤٢/١.

٣ - نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٧٤.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فضاة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كآته قيل: يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرسل إلخ^(١).

ف(يوم) يصح أن يكون مفعولاً فيه ظرف زمان، ومفعولاً به، وبذل اشتغال^(٢)، ولكن قد يكون متعلق الاسم موجهاً نحو وظيفة نحوية محددة، فاذا تعلق الاسم المنصوب (يوم) بقوله تعالى: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ فلا يجوز أن ينتصب على الظرف بهذا الفعل للاتقاء؛ لأنهم لم يؤمروا بالتقوى في ذلك اليوم، لكن انتصب على أنه مفعول به^(٣).

ويبدو للباحث أن قرينة الظرفية وحدها غير كافية، بل تتضافر معها قرائن أخرى لتوضيح الوظيفة النحوية كقرينة التعدية، وأظهر لنا توجيه المفسرين فهم العلاقة بين حدث الفعل والاسم المنصوب، وهي علاقة مبنية على التعدية لا على الظرفية، ولذلك كانت التعدية قرينة في تحديد الباب النحوي.

٤- قرينة التأكيد والتحديد: وهي قرينة تدل على معنى المفعول المطلق المؤكد، وسمي المصدر بعد فعله مفعولاً مطلقاً؛ لأن "الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم إلى الوجود، وصيغة الفعل تدل عليه، والأفعال كلها متعدية إليه سواء يتعدى الفاعل أم لم يتعدّه... وليس كذلك غيره من المفعولين"^(٤)، وقد حذّ النحويون بأنّه: "المصدر المنتصب توكيداً لعامله أو بياناً لنوعه أو عدده"^(٥)، فقرينة التوكيد والتحديد تختص ببيان الحدث بالفعل عن طريق توكيده ونوعه وعدده.

وقد أخذت هذه القرينة نصيبها في اهتمام أبي السُّعود أثناء تحليله لكلمة (تكليماً) في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، إذ قال: "مصدر مؤكّد رافع لاحتمال المجاز، قال الفراء: العرب تسمي ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأيّ طريق

١ - إرشاد العقل السليم: ١١٠/٣.

٢ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٠/٦، والبحر المحيط: ٤٠٢/٤.

٣ - ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٧٥/٥، والدر المصون: ٤٨٤/٤.

٤ - شرح المفصل: ٢٧٢/١، وينظر: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، محمد حسين: ٨٤.

٥ - شرح ابن عقيل: ١٦٩/٢، وينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٩٨/١.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

وصل ما لم يؤكّد بالمصدر فإذا أُكِّد به لم يكن إلا حقيقة الكلام^(١)، فلولا التأكيد بالمصدر لجاز أن تقول: قد كلمت لك فلاناً، أي كتبت إليه رقعة، وبعثت إليه رسلاً، فلما قال: (تكليماً) لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله تعالى^(٢).

واستدل أبو السُّعُود على أن التوكيد بالمصدر إنما يدلّ على أن الله كلم النبي موسى (عليه السلام) مباشرة من دون واسطة تخصيصاً له عن غيره، قائلاً: "والمعنى أن التّكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خُصَّ به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحاً في نبوة سائر الأنبياء (عليهم السلام)"^(٣)، فجاء المصدر مؤكّداً لفعله بلا زيادة عليه من وصف أو عدد، فهو بمنزلة التّوكيد في (جاء القوم كلّهم)، من حيث لم يكن في كلّهم زيادة على ما في القوم، فالمفعول المطلق هنا دلّ على التّقرير، أي يبعد الشكّ واحتمال المجاز، لذلك كان الاستعمال البلاغي فيه هو أن يؤتى به عندما يكون عامله في موضع غرابة أو شكّ^(٤).

وكان أبو السُّعُود غالباً ما يُشير إلى أن اللفظ المحلّ مصدر مؤكّد على مستوى تحليله للنص اللغويّ، نحو تحليله للفظ (عهداً) في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]، فقد ذكر في تحليله للعنصر النحويّ (عهداً) وجهين من الإعراب، قائلاً: "عهداً إمّا مصدرٌ مؤكّد لعاهدوا من غير لفظه أو مفعولٌ له على أنّه بمعنى أعطوا العهد"^(٥)، ومثله كثير في تفسير أبي السُّعُود^(٦).

٥- قرينة الملائسة: وهي قرينة معنوية دالّة على معنى الحال، بواسطة الاسم المنصوب، أو الجملة مع الواو أو بدونها، وتختصّ هذه القرينة عن طريق توضيح صورة صاحب الحال، فعندما نقول: (جاء زيدٌ راكباً) فالمعنى يكون ملابساً لحال

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٢/٢.

٢ - ينظر: البحر المحيط: ١٣٩/٤.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٢/٢.

٤ - ينظر: النحو الوافي: ١٦٣/٢.

٥ - إرشاد العقل السليم: ١٦٦/١.

٦ - ينظر: أمثلة لمثل هذا على مستوى التمثيل لا الحصر في إرشاد العقل السليم: ٢٤٣/١،

٢٣٨، ٢٩/٢، ١٣٥، ١٥٣، ١٤٥/٣، ١٩١، ١٢/٤، ٩٤/٤، ٢٣٩/٥.

الركوب، وكذلك عند قولك: (جاء زيد وهو يركب) فالحال هنا جملة، والواو تسمى واو الحال^(١).

وقد لاحظ أبو السُّعود في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢] العلاقة بين طرفي الإسناد بين (هذا) و(بعلي) و(شيخًا)، لتقوم عنده قرينة المُلَابسة المعنوية على أَنَّ كلمة (شيخًا) "نصبٌ على الحال والعاملُ معنى الإشارة، وقُرئ بالرفع على أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف أي: هو شيخٌ أو خبر بعد خبر، أو هو الخبرُ وبعلي بدلٌ من اسم الإشارة أو بيانٌ له، وكلتا الجملتين وقعت حَالًا من الضمير في (ألد) لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليقه أي: ألد وكلانا على حالة منافيةٍ لذلك..."^(٢)، فالحال جاءت هنا مؤكدة بعد جملة (هذا بعلي)، والخبر فيها صريح وليس فعلاً ولا راجعاً إلى معنى الفعل، فتكون الحال في مثل هذا التركيب النحويّ توكيداً للخبر بذكر وصف من أوصافه الثابتة له والفعل لا ثبات له ولا يوصف^(٣)، وكون إبراهيم (عليه السلام) كان شيخاً، وهذه صفة ثابتة فيه، لذا أرادت أن توضح الحال المُلَابسة التي كان عليها وتعجبها ممّا بُشّرت به.

٦- قرينة الإخراج: وهي قرينة معنوية متمثلة بـ(المستثنى)، وهذا المستثنى لا بُدَّ أن تسبقه وسيلة لفظية تنهض بتعيينه، وتُعَدُّ (إلا) أم أدوات هذا الباب تُشاركها وسائل أخرى تقوم بوظيفة إخراج ما بعدها من حكم ما قبلها^(٤)، والإخراج يفيد تحديد المخرج وتخصيصه بحكم لم يثبت لغيره، فكأنَّ مفهوم الاستثناء يتضمّن معنى الإخراج، ولذلك ساغ إدراج هذه القرينة ضمن قرائن التّخصيص^(٥).

وقد رصد أبو السُّعود هذه القرينة أثناء تحليله للنصوص القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٧-١٩٨.

٢ - المصدر نفسه: ٢٥٠/٤.

٣ - ينظر: شرح المفصل: ٢٣/٢.

٤ - ينظر: بناء الجملة العربية: ١٧٠.

٥ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٠.

[البقرة: ٣٤]، إذ قال: "وقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ استثناءً متّصل لما أنّه كانَ جَنِيًّا مفردًا مغمورًا بألوفٍ من الملائكة متصفاً بصفاتهم فعلبوا عليه فسجدوا، ثمَّ استثنى استثناءً واحدٍ منهم، أو لأنَّ من الملائكة جنسًا يتوالدون يقال لهم الجنُّ كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم، أو لأنَّ الجن أيضًا كانوا مأمورين بالسَّجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم أو منقطع وهو اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف" (١). فالاستثناء هنا على أصله والمستثنى أخرج من المستثنى منه، قال الأخفش: "فانتصب لأنَّك شغلت الفعل بهم عنه فأخرجته من الفعل من بينهم، كما تقول: جاء القومُ إلَّا زيدًا" (٢)، وذهب الزجاج، إلى أنّه أمر معهم وليس منهم، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] (٣).

ومنه -أيضًا- ما توجه لدي أبي السُّعود في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، قال أبو السُّعود إنّ الاستثناء في (إِلَّا أَمَانِيَّ): "منقطع إذ ليس ما يتمنى وما يُتلى من جنس علم الكتاب أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أمانِيَّ حسبما منَّهم أحبارهم من أنّ الله سبحانه يعفو عنهم وأنَّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وغير ذلك من أمانِيهم الفارغة المستندة إلى الكتاب على زعم رؤسائهم" (٤)، ولم يبتعد أبو السُّعود عن أسلوب ممَّن سبقه في هذا الشأن، فقد أشار اللُّغويون والمفسِّرون إلى أنّ كلّ ما جاء بمعنى (لكن) يكون منفصلاً من أوّل الكلام، ويفسّر بـ(لكن) لتوضيح هذا الانفصال، فتقدير (إِلَّا) بـ(لكن) يكون المعنى خارجاً من أوّل الكلام، وبالتالي يفهم انفصال المعنى الثاني عن المعنى الأوّل (٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ١١٣/١.

٢ - معاني القرآن، الأخفش: ٦٤/١.

٣ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١١٣/١-١١٤.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١٤٩/١.

٥ - ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٢٢/١-١٢٣، وجامع البيان في تأويل القرآن: ٢٦٤/٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٨٩/١، والدر المصون: ٤٤٦/١.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

٧- قرينة التفسير: وهي قرينة معنوية دالة على معنى التمييز، إذ يذكر الاسم المنصوب النكرة لتفسير إبهام يكون في معنى الإسناد، نحو: طاب زيد نفساً، أو في معنى التعدية نحو: زرعت الأرض شجراً، أو في اسم دالّ على مقدار، نحو: اشتريت متراً قماشاً، وإذا حصل بالتمييز رفع الإبهام وتخصيص عمومه، فقد أفاد ما أريد من معنى التخصيص^(١)، وقد حدّه النحويون بأنّه: "اسم نكرة فضلة، يرفع إبهام اسم أو إجمال نسبة"^(٢)، أي أنّ التمييز يستعمل تارة لبيان الذوات، وتارة لبيان جانب النسبة.

ومن الآيات التي وجهها أبو السُّعُود لهذه القرينة أثناء تحليله لكلمة (عدداً) في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، إذ قال: "عدداً أي فرداً فرداً وهو تمييزٌ منقولٌ من المفعول به كقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾"^(٣) والأصلُ أحصى عدد كل شيء، وقيل: هو حال أي معدوداً محصوراً أو مصدرٌ بمعنى إحصاءٍ وأياً ما كان ففائدته بيان أنّ علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلي إجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي"^(٤).

ويرى العكبري أنّ (عدداً): مصدرٌ؛ لأنّ أحصى بمعنى (عدّ)، ويجوز أن يكون تمييزاً^(٥)، وذهب أبو حيان أنّ عدداً: يعني معدوداً محصوراً، وانتصابه على الحال من كل شيء، وإن كان نكرة لإدراج المعرفة في العموم، ويجوز أن ينتصب نصب المصدر لأحصى لأنّه في معنى إحصاء^(٦).

فكلمة (عدداً) من حيث دلالتها النحوية يمكن أن تكون مصدرًا؛ لأنّ أحصى بمعنى (عدّ)، وبذلك يكون (عدداً) مفعولاً مطلقاً، ويجوز أن تكون تمييزاً منقولاً من

١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٩٩.

٢ - شرح شذور الذهب: ٢٥٤، وينظر: شرح المفصل: ٣٥/٢.

٣ - القمر: ١٢.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٤٩/٩.

٥ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٢٤/٢.

٦ - ينظر: البحر المحيط: ٣٠٨/١٠.

المفعول به، ويجوز أن يكون حالاً من (كل شيء) حتى لو كان (عدد) نكرة فإنه يعمل في الجملة بسبب اندراج المعرفة في العموم.

فقد تضافرت قرينة التمييز مع قرائن أخرى ساعدتها لتأدية مهامها التخصيصية، منها قرينة البنية كون التمييز اسماً نكرة جامدة مفسرة لمبهم، وقرينة العلامة الإعرابية وهي الفتحة فحكمة أنه منصوب دائماً، وكذلك قرينة الرتبة، إذ ينبغي أن يتأخر التمييز عن المميز ولا يتقدم عليه^(١).

٨- قرينة المخالفة: وهي قرينة معنوية تُعدُّ مظهرًا من مظاهر تطبيق القيم الخلافية بجعلها قرائن معنوية على الإعرابات المختلفة، كالمختص فيما يعرف بأسلوب الاختصاص، نحو: نحن العرب نُكرم الضيف، يعرب لمخالفته الخبر في قولنا: نحن العرب نُكرم الضيف، حتى كأنه لا يشاركهم فيه أحد، في حين يدل الخبر على مجرد الإخبار في كرمهم، ولا يمنع مشاركة غيرهم فيه^(٢)، وقد أطلق النحاة على أنه منصوب بفعل محذوف تقديره (أخص) أو (أعني)^(٣).

ومن ملامح توجيه المعنى لقرينة المخالفة عند أبي السُّعود لكلمة (الصَّابرين) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، إذ قال: "نُصب على الاختصاص، غير سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر وميزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله، قال أبو علي: إذا ذكرت صفات للمدح أو للذم فخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتتان ويسمى ذلك قطعاً؛ لأنَّ تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه"^(٤).

يفهم من كلام أبي السُّعود أنَّ (الصَّابرين) منصوب بتقدير: أعني الصَّابرين، و"الأحسن أن تخالف في إعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها؛ لأنَّ هذا

١ - ينظر: القرينة في اللغة العربية: ١٧٠

٢ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٠.

٣ - ينظر: الكتاب: ٢٣٣/٢.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٢٣١/١.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

الموضع من مواضع الإطناب في الوصف والإبلاغ في القول، فإذا خُولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل؛ لأنّ الكلام عند الاختلاف يصير كأنّه أنواع من الكلام، وضروب من البيان، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهًا واحدًا أو جملة واحدة^(١)، لذلك خولف بين وجوه الإعراب، وهو أبلغ؛ لأنّ الكلام يصبح على جمل متعدّدة، بخلاف توحيد الإعراب، فإنّه يكون جملة واحدة، كما أنّ تنوع الأسلوب والسيق يجذب الانتباه أكثر مقارنة بالكلام الذي يسير على نسق واحد.

وملخص القول إنّ قرينة التّخصيص المعنويّة بفروعها كان لها تأثيرٌ بارزٌ في التّحليل النّحويّ أو الوظيفيّ للأسماء المنصوبة، وقد تجلّت هذه القرينة عند أبي السّعود سواء بما تبناه لآراء العلماء الذين نقل عنهم، أم كانت آراؤه الشّخصيّة في التّحليل التي تُسهم في توضيح معاني النّصّ القرآنيّ.

ثالثًا: قرينة التّبعيّة:

التّبعيّة في اللّغة: مصدر تَبَعَ، يقال: تَبَعْتُ الشَّيْءَ تَبَعًا وَتَبَاعًا وَتُبُوعًا، أي: سَرْتُ في إثره، وَتَبِعْتُهُ وَأَتَبَعْتُهُ، مثل رَدَفْتُهُ وَأَرَدَفْتُهُ، وَالْجَمْعُ تَبَعٌ وَتُبَاعٌ^(٢). أمّا في الاصطلاح: فهي "القرينة التي يُفهم بها ارتباط التّابع بالمتبوع"^(٣)، وذكر النّحويون أنّ قرينة التّبعيّة يندرج تحتها أربع قرائن فرعيّة: هي النّعت والعطف والتّوكيد والبدل^(٤)، وهذه القرائن تتضافر معها قرائن أخرى لفظيّة أشهرها قرينة المطابقة، وقد تختلف أنواع المطابقة ما بين تابع وآخر، ولكن العلامة الإعرابيّة هي التي يتطابق فيها التّابع مع متبوعه التي لا تختلف في أي نوع من أنواع التّوابع، إذ يتطابق فيها التّابع مع متبوعه في العلامة الإعرابيّة^(٥).

١ - البحر المحيط: ١٤٠/٢.

٢ - ينظر: أساس البلاغة: ٨٩/١، ولسان العرب: ٢٨/٨ مادة (تبع).

٣ - القرائن النحوية وإطراح العامل (بحث): ٤٥.

٤ - ينظر: الوظائف الدلالية للجملة العربية: ١٨٩.

٥ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٤، والتوابع في الجملة العربية: ٧، ونظام الارتباط والربط في تركيب الجمل العربية: ١٨٩.

وقد أدرك أبو السُّعُود علاقة التَّابع بالمتبوع في الجانب التَّطْبِيقِيّ واعتمدها بوصفها عاملاً أساسياً في توجيه المعنى، وسنحاول بالدراسة الوقوف على القرائن الفرعية التي يُفهم بها ارتباط التَّابع بالمتبوع على الأضرب الآتية:

١ - **قرينة النّعت**: النّعت هو "تابع يدلّ على معنى في متبوعه مطلقاً"^(١)، أو هو "لفظ يتبع الموصوف تجلية له، أو تخصيصاً ممّن له مثل اسمه بذكر معنى في الموصوف أو شيء من سببه"^(٢)، ولقرينة النّعت أهميّة في توجيه المعنيين النّحويّ والدّلاليّ للجملة العربيّة عن طريق الارتباط بين النّعت والمنعوت تنشأ علاقة تؤدّي إلى إزالة ما في المنعوت من إبهام، ببيان معنى فيه لا ببيان حقيقته^(٣)، ويأتي النّعت لتحقيق غرض في الجملة، فهو يتبع ما قبله "لتخصيص نكرة، أو إزالة اشتراك عارض معرفة، أو مدح، أو ذمّ، أو ترحم، أو تأكيد"^(٤).

وقد أفاد أبو السُّعُود من هذه القرينة في توجيه المعنى ببيان العلاقة بين النّعت والمنعوت أثناء التّطبيق، ومن أمثلة ذلك ما نلمسه في توجيهه لـ(أذلة، وأعزة) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، إذ قال: "وهما صفتان أُخريان لقوم ترك بينها العاطفُ للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكلّ منهما، وفيه دليلٌ على صحّة تأخير الصّفة الصّريحة عن غير الصّريحة من الجملة والظرف"^(٥).

ف(أذلة وأعزة) صفتان لـ(قوم) سبقتهما جملة (يحبّهم) وهي صفة لـ(قوم) أيضاً في محلّ جر^(٦)، وقد استدلّ بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى جواز تقديم الصّفة غير الصّريحة على الصّفة الصّريحة؛ فإنّ قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ صفة غير صريحة؛ لأنّها

١ - شرح الكافية، الرضي الاسترأبادي: ٣١٢/٢.

٢ - اللمع في العربية: ٨٢.

٣ - ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٩٠.

٤ - المقرب، ابن عصفور: ٢١٩/١.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٦٣/٣.

٦ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٤٦/١.

جملة مؤولة بمفرد وقوله: (أذلة أعزة) صفتان صريحتان؛ لأنَّهما مفردتان^(١)، وهذا خلاف ممَّن ذهب إلى أنَّ الوصف إذا كان بالاسم وبالفعل لا يتقدَّم على الوصف بالفعل على الاسم إلَّا في ضرورة الشَّعر؛ إذ يبتدأ في الصِّفة بالمفرد ثمَّ الظَّرْف أو عدليه ثمَّ الجُملة كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكُفُّ إِيمَانَهُ﴾ [غافر: ٢٨]، فوصف بالصريح أولًا ثمَّ بشبه الجُملة من آل فرعون ثمَّ بالجملة الفعلية (يكتفم إيمانه)^(٢).

وقد يأتي النعت لمصدر محذوف كما في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، ذكر أبو السُّعود أنَّ (قليلاً) نعت لمصدر، ويجوز أن يكون حالًا من فاعل (لا تتبعوا)، قائلًا: "(قليلاً) نُصب إمَّا بما بعده على أنَّه نعتٌ لمصدر محذوفٍ مقدَّم للقصر، أو لزمانٍ كذلك محذوفٍ و(ما) مزيدةٌ لتأكيد القلة، أي تذكَّرًا قليلًا أو زمانًا قليلًا تذكرون لا كثيرًا حيث لا تتأثَّرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره... وإمَّا نُصب على أنَّه حالٌ من فاعل لا تتبعوا وما مصدريةٌ مرتفعةٌ به أي: لا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا تذكركم"^(٣).

ف(قليلاً) نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ تقديره: تذكَّرًا قليلًا تذكرون، أو نعتٌ ظرفٍ زمانٍ محذوفٍ أيضًا أي: زمانًا قليلًا تذكرون، فالمصدرُ أو الظَّرْفُ منصوبٌ بالفعل بعده^(٤).

ومن الآثار التي ترجحها قرينة النعت ما ذكره أبو السُّعود أثناء تحليله لكلمة (بورًا) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨]، إذ قال: "(قَوْمًا بُورًا) أي هالكين

١ - ينظر: البحر المحيط: ٢٢٩/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٣٩١/٧.

٢ - ينظر: البحر المحيط: ٢٢٩/٤، والدر المصون: ٣٠٨/٤.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٤٢/٣.

٤ - ينظر: الدر المصون: ٢٤٦/٥.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

على أَنَّ بُورًا مصدرٌ وُصف به الفاعلُ مبالغةً ولذلك يستوي فيه الواحدُ والجمعُ أو جمعٌ بائرٍ كعُودٍ في جمعِ عائذٍ، والجَمْلَةُ اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لمضمون ما قبله^(١)، ف(بورًا) صفةٌ للموصوف(قومًا) على جهة الدَّم، قال النَّحَّاسُ: "إِنَّ البورَ في لغة أزد عمان: الفاسد، وحكى الفراء: أَنَّ البورَ من كلام العرب لا شيء، وإنَّه يقال: أصبحت أعمالهم بورًا أي لا شيء"^(٢)، وبذلك يتّضح الأثر الرئيس لقرينة النّعت في ضوء ربط التّابع بالمتبوع، ممّا يحقق التّوافق بينهما في توضيح المعنى وإزالة الغموض في ضوء ارتباط إحدى الكلمتين بالأخرى، أي "إنَّه ضمّ كلمة حقيقية أو حكم إلى آخر مثله بحيث يفيد السّامع فائدة تامة"^(٣).

وقد يعمل النّعت على بيان معنى الوصفية بوصفها قرينة في التّحليل النّحويّ، إذ يتدخّل النّعت السّببي مع المتبوع السّابق له والمرفوع الذي يتبعه من حيث اللفظ والمعنى، ففي اللفظ يعود على المتبوع السّابق له، وفي المعنى فإنَّه يصف اللاحق به، لذا فإنّ موقفه من حيث أحوال التّطابق مختلفة عن التّطابق الحقيقي، إذ تراعي الحالة الإعرابية، والتّعيين في تطابقه مع المتبوع السّابق، ويراعي جانب المطابقة في العدد والنّوع مع الاسم الظاهر بعده^(٤)، وذلك ماثل عند أبي السّعود أثناء تحليله لقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥]، إذ يرى أَنَّ (الظّالم) صفة لـ(القرية)؛ لأنَّ اسم الفاعل واسم المفعول إذا أسند إلى غير ما هو لهما، يتبعان الفعل في التذكير والتّأنيث بناءً على ما يؤثّران فيه، قائلاً: "بالشّرك الذي هو ظلّم عظيمٌ وبأدوية المسلمين، وهي مكّة والظّالم صفتها، وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإنّ اسم الفاعل والمفعول إذا أُجري على غير مَن هو له كان كالفعل في التذكير والتّأنيث بحسب ما عمل فيه"^(٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٢٨/٦.

٢ - إعراب القرآن، النحاس: ١٣٢/٤، وينظر: معاني القرآن، الفراء: ٦٦/٣.

٣ - الكليات: ١٠٠.

٤ - ينظر: شرح شذور الذهب: ٥٥٧-٥٥٨، والنحو المصفى، د. محمد عيد: ٥٧٧-٥٧٨،

والوظائف الدلالية للجملة العربية: ٢٠٢.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٢٣٢/٢.

وقد وجّه الزّجاج إعراب كلمة (الظّالم) بأنّها نعت سببي لبيان صفة ما تعلّق بمتبوعه، فقال: "هو نعت للـ(قرية) ووحّد(الظّالم)؛ لأنّه صفة تقع موضع الفعل، تقول: مررت بالقرية الصّالح أهلها، كقولك: التي أصلح أهلها"^(١)، ووافقه النّحاس بقوله: "نعت للقرية وإن كان الفعل للضمير، كما تقول: مررتُ بالرجل العاقل أبوه، ولم يقل: الظالمين؛ لأنّه نعت يقوم مقام الفعل أي التي ظلم أهلها"^(٢).

والذي يبدو أنّ هذا النوع من التراكيب النّحويّة يحتوي على نعت ذي ارتباط بالاسم الذي يليه ومرتبطة معه برابط وهو الضّمير العائد عليه، فتكون قرينة المطابقة أكثر تضافراً مع قرينة التّبعية، ففي المثال السابق يلحظ أنّ (الظالم) متجه لأهل القرية لا للقرية.

٢- قرينة البديل: البديل "هو التّابع المقصود بالحكم بلا واسطة"^(٣)، والبديل والمبديل منه شيء واحد عند المتكلّم، والمُخاطَب يعرف واحد منهما، ويريد المتكلّم أن يبين للمخاطب أنّهما شيء واحد^(٤)، وهذا ما عبّر عنه العكبري بقوله: "البديل بمعنى المبدال"^(٥)، والبديل على أربعة أقسام^(٦):

أ- البديل المطابق (بديل كلّ من كلّ): وهو بديل الشّيء ممّا هو مساوٍ له في المعنى.
ب- بديل بعض من كلّ: وهو بديل الجزء من كلّ، قليلاً كان ذلك الجزء أو مساوياً أو أكثر.

ج- بديل الاشتمال: وهو الدّال على معنى في متبوعه.

د- بديل المباين: ويسمى بديل البّداء، وهو ثلاث أنواع: بديل غلط، وبديل نسيان، وبديل إضراب.

١ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٧٧/٢.

٢ - إعراب القرآن، النحاس: ٢٢٦/١، وينظر: مشكل إعراب القرآن: ٢٠٣/١.

٣ - أوضح المسالك: ٣٦٢/٣.

٤ - ينظر: بناء الجملة العربية: ١٨٧.

٥ - المتبع في شرح اللّمع، العكبري: ٤١٣/٢.

٦ - ينظر: شرح المقدّمة المحسّبة: ٤٢٤-٤٢٧، وأوضح المسالك: ٣٦٣-٣٦٤، وجمع

الهوامع: ١٧٦/٣.

وقد رصد أبو السُّعُود قرينة التبعية بالبدل في تحليله النَّحَوِيَّ أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاحة: ٦-٧]، جاءت كلمة (الصِّرَاط) "بدلٌ من الأول بدل كلّ، وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنّه المقصودُ بالنسبة، وفائدته التأكيدُ والتتصيصُ على أنّ طريق الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وهم المسلمون هو العِلْمُ في الاستقامة، والمشهودُ له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهمُ عند ذكر الطريقِ المستقيم إلاّ إليه" (١)، وهو بدل الشيء من نفسه في المعنى؛ لأنَّ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ﴾ هو ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بعينه، وهو كقولك: جاءني أبوك زيدٌ، وهو بدل المعرفة من المعرفة (٢).

فقد توجّه المعنى في ضوء التحليل النَّحَوِيَّ باستعمال بدل كلّ من كل، وكلاهما بمعنى واحد في معرفة بيان الهداية للصراط الأول، ممّا يعزّز التأكيد والتثبيت؛ لأنّ البدل يُساعد على "الإيضاح ورفع الالتباس، وإزالة التوسع والمجاز" (٣).

ومن الأبدال الأخرى بدل الاشتمال، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣]، قال أبو السُّعُود: "وقوله تعالى ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدلُ اشتمال من الضمير أي ما أنساني أن أذكره لك، وفي تعليق الإنشاء بضمير الحوتِ أولاً وبذكره له ثانياً على طريق الإبدال المنبئ عن تحية المبدل منه إشارةً إلى أن متعلّق النسيان أيضاً ليس نفس الحوت بل ذكر أمره... (٤).

إنّ البدل في الآية الشريفة أسهم في توضيح المعنى وإزالة اللبس عن النصّ الشريف، فجاء (أن أذكره) بدل من (الهاء) لاشتغال الذكر على الهاء في المعنى، والتقدير: وما أنساني أن أذكره إلاّ الشيطان (٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٥/١-٢٦.

٢ - ينظر: تفسير البسيط: ٥٣٠/١-٥٣١.

٣ - أسرار العربية: ١٥٧.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٢٦١/٥.

٥ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١٢٧/٣.

فقرينة البديل من القرائن المعنوية التي تُعين في توجيه المعنى لإزالة اللبس في النص، وهذا ما تجلّى لنا في تفسير أبي السُّعود أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فقد جاءت كلمة (قتال) "بديل" اشتغال من الشهر، وتذكيره لما أنّ سؤالهم كان عن مُطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود، ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام^(١)، ويرى أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) أنّ كلمة (قتال) مجرور على الجوار^(٢)، وقد ردّ أبو جعفر النحاس على رأي أبي عبيدة، فقال: "لا يجوز أن يعرب شيء على الجوار في كتاب الله عز وجل ولا في شيء من الكلام وإنما الجوار غلط"^(٣).

ويتضح لي أنّ رأي أبي السُّعود جانب الصواب على أنّ (قتال فيه) بدل اشتغال من الشهر؛ لأنّ السؤال ليس منصباً على الشهر الحرام بل أنّ السؤال عن القتال في ذلك الشهر، فتجلّى أثر قرينة البديل في ربط عناصر السياق بعضها ببعض فربط ما تقدّمه بالذي بعده، ولمثل هذا النوع من البديل نظائر أخرى في تفسير أبي السُّعود^(٤).

٣- قرينة التوكيد: التوكيد هو لفظ يتبع الاسم المؤكّد لتقوية المعنى في ذهن السامع وتمكينه لرفع اللبس وإزالة الاتساع، وإنّما تؤكد المعارف دون النكرات مظهرها ومضمورها^(٥)، والغرض منه تثبيت المعنى في النفس، وإزالة اللبس عن الحديث، والمتحدّث عنه، وإثبات الخبر عن المخبر عنه، فإنّك عندما تقول: جاءني زيد نفسه، أخبرت أنّ الذي تولّى المجيء هو بعينه، ولهذا دخل التوكيد في الكلام^(٦).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٥٦/١.

٢ - ينظر: مجاز القرآن: ٧٢/١.

٣ - إعراب القرآن، النحاس: ١٠٩/١.

٤- ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨٧/٢، ١١٢، ١٦٥/٣، ٧/٤، ١٣٤، ١٣٦، ١٧١، ٢٦٦/٥، ٨٠/٦، ١٠٢، ١٥٥/٧، ١٦١، ٢٣٩/٨، ١٥٨/٩.

٥ - ينظر: اللمع في العربية: ٨٤/١، واللباب في علل البناء والإعراب: ٣٩٤/١، ومعاني النحو: ١٣١/٤.

٦ - ينظر: علل النحو: ٣٨١، وشرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: ١١٩/١.

وقد أدرك أبو السُّعُود بقرينة التَّبَعِيَّة علاقة الارتباط بين طرفي التَّوكِيد بأكثر من مؤكِّد أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]، فقد أشار إلى أهميَّة مجيء توكيد بعد توكيد (كُلُّهُمْ، أَجْمَعُونَ) في سجود الملائكة، إذ جاء على صورة مجتمعة وليست متفرقة، فقال: "فسجد الملائكة (كُلُّهُمْ) بحيث لم يشذَّ منهم أحد (أَجْمَعُونَ) بحيث لم يتأخَّر في ذلك أحدٌ منهم عن أحدٍ، ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحاليَّة بل يفيدُه التَّأكِيد أيضًا، فإنَّ الاشتقاق الواضح يرشد إلى أنَّ فيه معنى الجَمْع والمعيَّة بحسب الوضع، والأصل في الخطاب التَّنْزِيل على أكمل أحوال الشَّيء، ولا ريب في أنَّ السَّجود معًا أكمل أصناف السَّجود لكن شاع استعماله تأكيدًا وأقيم مقام كلٍّ من إفادة معنى الإحاطة من غير نظر إلى الكمال...وقيل: أُكِّد بتأكيدين مبالغة في التَّعميم هذا"^(١).

فقد اجتمع في سياق الآية الكريمة لفظان من ألفاظ التَّوكِيد المعنوي وهما (كُلُّهُمْ، أَجْمَعُونَ)، والغرض من استعمالهما هو الإحاطة بما تضاف إليه فتعمل على إزالة الاحتمال عن الشُّمول الكامل، وقد يؤتى بـ(أَجْمَعُونَ) بعد(كلٍّ)؛ لتقوية قصد الشُّمول والعموم^(٢)، فالتَّأكِيد بقرينة(أَجْمَعُونَ) كان من القرائن المقيدة في الخطاب على أنَّهم سجدوا مجتمعين لا متفرقين، فضلًا عن قرينة الإخراج(الاستثناء) في إبعاد إبليس من ذلك السَّجود؛ لأنَّه من الجنِّ وليس من الملائكة^(٣).

٤- قرينة العطف: العطف هو التَّركيب الذي يتوسَّط بين التَّابع ومتبوعه حرف من حروف العطف المعروفة عند العلماء على خلاف بينهم في عددها^(٤)، "وسمِّي

١ - إرشاد العقل السليم: ٨٦/٥-٨٧.

٢ - ينظر: أسرار العربية: ٢٥٤، واللباب في علل البناء والإعراب: ٤٠٣/١، وأوضح المسالك: ٣٣١/٣.

٣ - ينظر: معاني القرآن، الزجاج: ١٧٩/٢.

٤ - ينظر: النحو الوافي: ٥٥٥/٣-٥٥٧، والتحليل النحوي في ضوء النظرية التحويلية والقرائن (أطروحة دكتوراه): ٢٠١.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

العطف في الكلام عطفًا؛ لأنَّك تلفت على الأوَّل فتشرك في حكمه غيره وتلفه به وسُمِّي العطف بالحروف نسقًا؛ لأنَّه من نسقُ الشيء إذ أتيتُ به متناسقًا^(١).

والعطف في العربيَّة على قسمين:

أ- عطف النَّسق: وهو "تابع مقصود بالنَّسبة مع متبوعه، يتوسَّط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة"^(٢).

ب- عطف البيان: "هو التَّابع المشبه للصفة في توضيح متبوعه إن كان معرفة، وتخصيصه إن كان نكرة"^(٣).

وقد أشار أبو السُّعود إلى أثر قرينة العطف في توجيه المعنى لكثير من الآيات القرآنيَّة الشَّريفة، ومنها قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة: ٩٥]، ذكر أبو السُّعود أنَّ لفظة (طعام) فيها ثلاثة أوجه إعرابية وهي: "عطفُ بيانٍ لـ (كفارة) عند من لا يخصَّصه بالمعارف، أو بدلٌ منه أو خبر مبتدأ محذوف أي: هي طعام مساكين"^(٤)، ويبدو أنَّ هناك تقاربًا بينهما، لذلك يُعدُّ عطف البيان أقرب إلى البدل؛ لأنَّ الطعام هو الكفارة، ولم يضاف الكفارة لأنَّها ليست للطعام إنَّما هي لقتل الصيد، إذ يمكن أن يقوم مقام لفظة (كفارة)، ويمكن أن يكون (طعام) بدلًا من (كفارة)^(٥).

ولقرينة التَّبعية بالعطف أثر في توجيه دلالة النَّصِّ تبعًا للقراءة القرآنيَّة، وذلك ماثل في تفسير أبي السُّعود أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، قرئت كلمة (الملائكة) بالرفع - وهي قراءة الجمهور - وقرئت بالجر^(٦)، قال أبو السُّعود: "(الملائكة) عطف

١ - المتبع في شرح اللُّمع: ٤٢٣/٢.

٢ - شرح الكافية للرضي: ٣٣١/٢.

٣ - أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ٣١٠/٣.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٩٦/٣.

٥ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٦١/١، وإعراب القرآن وبيانه: ٢٩٥/٢.

٦ - قرأ أبو جعفر بجر (الملائكة) والباقيون برفعها، ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ١٤٥.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

على الاسم الجليل أي ويأتيهم الملائكة فإنهم وسائط في إتيان أمره تعالى بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة... وقرئ بالجر عطفاً على (ظلل) أو (الغمام)^(١).

فالعطف في حالة الرفع عطفاً على اسم (الله)، وفي حالة الجر ففيه وجهان، أحدهما: الجر عطفاً على (ظلل)، أي: إلا أن يأتيهم في ظلل وفي الملائكة؛ والثاني: الجر عطفاً على (الغمام) أي: من الغمام ومن الملائكة، فتوصف الملائكة بكونها ظلاً على التشبيه، وعلى الحقيقة، فيكون المعنى يأتيهم أمر الله وآياته، والملائكة يأتون ليقوموا بما أمروا به من الآيات والتعذيب^(٢).

ويتضح مما تقدم أن لقرينة التبعية أثراً كبيراً في توجيه المعنى، ولا سيما إذا تضافرت معها قرائن لفظية أخرى كـ (العلامة الإعرابية)، فالتابع في الجملة يحد من معنى المتبوع ويخصّصه، مما يضيق من شموليته، وبهذا ينتقل المعنى تدريجياً من العموم إلى الخصوص، ومن الإطلاق إلى التقييد، إذ يعكس تعبير المتكلم عن مقصده وفهمه الدقيق.

رابعاً: قرينة النسبة:

النسبة في اللغة: مصدر الانتساب، والنسب واحد الانتساب، والنسبة النسبة يكون بالآباء، أي انتسب إلى أبيه وتنسب أي ادعى أنه نسيبك^(٣).

أما في الاصطلاح: فهي قرينة كبرى كالتخصيص وتدخل تحتها قرائن معنوية فرعية، والنسبة قيد عام على علاقة الإسناد أو ما وقع في نطاقها، وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد نسبية، ولكن معنى النسبة غير معنى التخصيص، إذ إن معنى التخصيص يأتي لتضييق علاقة الإسناد، ومعنى النسبة إلحاق لها^(٤)، وفائدة النسبة أن تضيف شيئاً إلى شيء آخر وربطها به، ولذا فهي بحاجة دائمة إلى طرفين

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٥٢/١.

٢ - ينظر: الدر المصون: ٣٦٤/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٨٢/٣-٤٨٣.

٣ - ينظر: تاج اللغة وصاح العربية: ٢٢٤/١، ولسان العرب: ٧٥٥/١-٧٥٦، والقاموس المحيط: ١٣٧/١، مادة (نسب).

٤ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠١.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

منسوب ومنسوب إليه^(١)، وينضوي تحت هذه القرينة في توجيه المعنى قرائن معنوية فرعية وهي: الإضافة ومعاني حروف الجر(حروف الإضافة)^(٢)، وسيطرق البحث إلى كلّ منهما على النحو الآتي:

١- قرينة الإضافة: الإضافة تعني النسبة بين المضاف والمضاف إليه، إذ يقوم المضاف مقام المضاف إليه إذا دلّت عليه قرينة معنوية، وأشار المبرّد إلى ارتباط المضاف بالمضاف إليه وعدهما كالكلمة الواحدة، إذ قال: "فإذا أضفت اسمًا مفردًا إلى اسم مثله مفرد أو مضاف صار الثاني من تمام الأول، وصاروا جميعًا اسمًا واحدًا بإضافة الأول إليه وذلك قولك: هذا عبد الله وهذا غلام زيد"^(٣).

وتقوم قرينة الإضافة على علاقة التّنافي بين الإضافة والتّثوين ونون الإضافة و(أل) في الإضافة المعنوية(أي المحضة)^(٤)، فضلًا عن الرّتبة التي تلازم حروف الجرّ، وهي مجيء المضاف قبل المضاف إليه، لذلك وصف النّحاة الإضافة بقولهم: "إسناد اسم إلى اسم آخر على تنزيل الثاني من الأول منزلة تثوينه أو ما يقوم مقامه"^(٥)، والإضافة قسمان: إضافة محضة، وتُسمّى الإضافة الحقيقيّة التي يكون فيها اللفظ على الإضافة والمعنى، وتفيد تعريفًا أو تخصيصًا بحسب المضاف إليه، ومعنى التّخصيص هو تقليل الاشتراك بعد عموم كان فيه، وتكون الإضافة المحضة مقدّرة باللام، أو بمن، أو بفي^(٦)، وغير المحضة، وتُسمّى الإضافة اللفظيّة و"فائدتها راجعة إلى اللفظ وهو التّخفيف اللفظي ويحذف التّثوين ونوني التّثنية والجمع؛ لأنّ التّثوين علامة التّكثير والإضافة علامة التّعريف والتّخصيص فلا يجتمعان ولا يجوز

١ - ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين، د. مصطفى جمال الدين: ١٨٠.

٢ - ينظر: القرائن النحوية(بحث): ٤٥، والقرينة في اللغة العربية: ١٧٣.

٣ - المقتضب: ١٤٣/٤.

٤ - ينظر: الخلاصة النحوية: ١٧٠.

٥ - أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ٨١/٣.

٦ - ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٢٢١/٣، وشرح التصريح على التوضيح: ٢٦/٢، والقرينة في اللغة العربية: ١٧٤-١٧٥.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

أن يعرفوا المضاف بـ(أل)؛ لأنها استخدمت لغير الغرض الأصلي من الإضافة، وتُسمى بالمجازية أيضًا...^(١).

ولقرينة النسبة بالإضافة أثر بارز في توجيه المعنى، إذ إنها من القرائن المتضافرة مع القرائن الأخرى، لذا نجد أنّ علاقة المضاف بالمضاف إليه لها ارتباط خاص في القرآن الكريم، وذلك ماثل في تفسير أبي السُّعود أثناء تحليله لقوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، إذ قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ قيل: هو علمٌ للتسبيح ولا يكاد يستعمل إلا مضافًا وقد جاء غير مضافٍ على الشذوذ غير منصرفٍ... وقيل: إنه مصدر منكرٌ كغفران، لا اسمٌ مصدر، ومعناه على الأول نستبحك عما لا يليق بشأنك الأقدس من الأمور التي من جملتها خلؤ أفعالك من الحكم والمصالح^(٢).

فكلمة (سبحانك) وجهت عند أصحاب إعراب القرآن الكريم على أنها أفادت معنى التعليق بين المضاف والمضاف إليه وما يؤديه معنى التنزيه للخالق عز وجل^(٣)، ولها أوجه متعددة من الإعراب، ولكن الرّاجح ما كان فيه معنى الإضافة، فضلًا عن ذلك كون هذه الكلمة من الأسماء الملازمة للإضافة والتي لا تتصرف^(٤).

وقد تنبّه أبو السُّعود إلى أهميّة قرينة النسبة في تحليله النحويّ عن طريق قوّة العلاقة بين المضاف والمضاف إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، إذ قال: "حُذفت تاءُ الإقامة المعوّضة من إحدى الألفين لقيام المضاف إليه مقامه"^(٥)، وفي قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، فقال: "﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ أي إقامتها لمواقيتها من غير

١ - القرينة في اللغة العربية: ١٧٥، وينظر: شرح شذور الذهب: ٢٢٧.

٢ - إرشاد العقل السليم: ١١٠/١.

٣ - ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ٤٤/١، والتبيان في غريب إعراب القرآن: ٤٩/١.

٤ - ينظر: همع الهوامع: ١١٦/٢.

٥ - إرشاد العقل السليم: ٨٦/٦.

الفصل الثاني :.....أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى

تأخير وقد أسقطت التاء المعوض عن العين الساقطة بالإعلال وعوض عنها الإضافة^(١).

ونكر الزجاج والنحاس أن (إقام) أصلها (إقوام) فلبت الواو ألفاً فاجتمعت ألفان، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين، فبقي أقمْتُ الصلاة إقامةً وأدخلت الهاء عوضاً من المحذوف، فلما أضيفت قام المضاف إليه مقام الهاء بعد حذفها^(٢).

ويرى الباحث أن المصدر (إقام) وقع مضافاً في الآية المباركة، ولا حاجة لتعويض أو زيادة؛ إذ إن الإضافة تثبت اسمية المضاف، فالمضاف إليه المعرف بـ(أل) - الصلاة - يوضح العلاقة النسبية بين المضاف والمضاف إليه، فالإضافة هنا كافية لتحديد علاقة الارتباط بينهما بتلك النسبة.

ولقرينة النسبة بالإضافة أثر بارز في إقامة الربط بين المضاف والمضاف إليه، مما يجعل لها أهمية كبيرة في التحليل النحوي والإعرابي، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فمن قرينة النسبة بين المضاف (الشياطين) والمضاف إليه (الإنس) توجه التحليل للمضاف (شياطين) عند أبي السعود على أن التقدير في قوله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ "أي مردة الفريقين على أن الإضافة بمعنى (من) البيانية، وقيل: هي إضافة الصفة إلى الموصوف والأصل الإنس والجن الشياطين، وقيل: هي بمعنى اللام أي الشياطين التي للإنس والتي للجن"^(٣)، وأعرب الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء العكبري أن (شياطين) بدل من (عدو)، كما جوزوا بدلية (الجن) من (شركاء)^(٤)، وقد رد أبو حيان بقوله: "أن قوله: شياطين الإنس والجن هو إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الإنس والجن الشياطين"^(٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ١٩٥/٦.

٢ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٤/٤٦، وإعراب القرآن، النحاس: ٣/٥٣.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٠٢/٣.

٤ - ينظر: الكشف: ٥٩/٢، والمحزر الوجيز: ٣٣٥/٢، والتبيان في إعراب القرآن: ١/٥٣٢.

٥ - البحر المحيط: ٦٢٤/٤.

بلحاظ ما تقدّم يتضح للباحث أنّ (الشّياطين) صفة للإنس والجن، والإضافة هنا من باب إضافة الصّفة إلى الموصوف، والتّقدير: الإنس والجن الشّياطين، أو أنّ الإضافة ليس من باب إضافة الصّفة إلى الموصوف، وإنّما هي بمعنى اللّام، والتّقدير: الشّياطين التي للإنس والجن.

٢- قرائن معاني حروف الجرّ:

حروف الجرّ هي نسبة بين الحدث (الإسناد) وبين المجرور، وسُمّيت بحروف الإضافة؛ لأنّها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى معاني الأسماء بعدها^(١)، وتُسَمّى بحروف الجرّ أيضًا؛ لأنّها تجر ما بعدها من الأسماء فتحدث صفة في الاسم كالظرفية، والبعضية، والاستعانة، والإلصاق وغيرها من المعاني^(٢).

وتدلّ حروف المعاني على الارتباط بين الشّيئين والنّسبة بينهما، فإذا قلت: خرجت من الدّار، فإن خروجك مرتبط بالدّار، والدّار تعلّقت بالخروج لا بوقته، وإذا قلت: اعتكف إبراهيم في المسجد، فقد كان اعتكاف إبراهيم منسوبًا إلى المسجد، ومتعلّقًا به^(٣)، فعلاقة الحرف بعلاقة النّسبة هي علاقة "التّعليق بواسطة ما يفهم بالحرف من نسبة هو في حقيقته إيجاد علاقة نسبية بين المجرور وبين معنى الحدث الذي في علاقة الإسناد"^(٤)، فالحروف من ناحية وصلها بين العامل والاسم المجرور يُسمّى (التّعلّق بالعامل) ومرتبطة ارتباطًا معنويًا كما يرتبط الجزء بكّله، أو الفرع بأصله، لذا "يرى النّحاة أنّ الجار والمجرور لا بُدّ أن يتعلّق أو ما هو بمعناه"^(٥)، ومعاني حروف الجرّ التي رصدها النّحاة تناهز الثلاثين معنًى^(٦).

١ - ينظر: شرح الكافية: ٢٦١/٤، وحاشية الصبان: ٣٠٢/٢.

٢ - ينظر: شرح المفصل: ٤٥٤/٤، وهمع الهوامع: ٤١٣/٢، ومعاني النحو: ٥/٣.

٣ - ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق: ١٨٣.

٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٤.

٥ - معاني النحو: ٩٧/٣.

٦ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٣، والقرائن النحوية (بحث): ٤٥، وفي النحو العربي

قواعد وتطبيق: ١٧٨-١٧٩.

وقد أشار أبو السُّعُود إلى تعدّد معاني حروف الجرّ التي تجرّ الأسماء، وتعدّد دلالتها، فقد جاء الحرف على دلالات متنوعة ومعانٍ مختلفة، وأفاد الرّبط بين الأسماء والحدث والتعلّق بما قبلها، ففي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ذكر أبو السُّعُود أنّ حرف الباء في قوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ جاء "إما للتعدية فهي متعلّقة بجاءت أو للملابسة فهي متعلّقة بمقدّر وقع حالاً من الرّسل، أي والله لقد جاؤوا بالحق ولقد جاؤوا ملتبسين بالحق" (١)، وهذا المعنى هو الذي عبّر عنه سيبويه بالإلحاق والاختلاط، فيقول: "وباء الجرّ إنّما هي للإلحاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به، وضربت به بالسّوط، ألزقت ضربك إيّاه بالسّوط" (٢)، وقد وردت الباء في تفسير أبي السُّعُود بمعنى السببية أو المقابلة، والمصاحبة، والاستعانة (٣).

ولما كانت النسبة قرينة دالة على تعلّق الجار بالمجرور، فإنّ أبا السُّعُود وضّح تلك العلاقة من حيث احتمالية معاني الحروف التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قائلاً: "الباء في (بحمدك) متعلّقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير، أي ننزّهك عن كلّ ما لا يليق بشأنك...واللّام في لك إمّا مزيدة والمعنى نقدّسك، وإمّا صلة للفعل كما في سجدت لله، وإمّا للبيان كما في سقيّاً لك، فتكون متعلّقة بمحذوف، أي نقدّس تقدّيساً لك أي نصّفك بما يليق بك من العلوّ والعزّة وننزّهك عمّا لا يليق بك" (٤).

وقد يكون لزيادة حروف الجرّ في الكلام أثر في توجيه المعنى، إذ إنّ زوال حرف الجرّ يؤدي إلى الالتباس، فدخول (الباء) الجارة في الجملة المنفية بـ(ما) -مثلاً- يأتي

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٦٢/٣.

٢ - الكتاب: ٢١٧/٤.

٣ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٥٦/١، ١٦٧/١، ١٧/٦.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١٠٧/١.

لتوكيد النفي^(١)، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، ذكر أبو السُّعُود أَنَّ تَعَلُّقَ حَرْفِ الْجَرِّ (الباء) بخبر (ما) الحجازية أدَّى إلى وظيفة نحوية ودلالية، إذ قال "﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ رَدُّ لَمَّا ادْعَوْهُ وَنَفْيٌ لَمَّا انْتَحَلُوهُ، وَمَا حِجَازِيَّةٌ، فَإِنَّ جَوَازَ دُخُولِ الْبَاءِ فِي خَبَرِهَا لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ اتِّفَاقِيٌّ بِخِلَافِ التَّيْمِيَّةِ، وَإِثَارُ الْجُمْلَةِ الْاِسْمِيَّةِ عَلَى الْفِعْلِيَّةِ الْمُوَافَقَةُ لِدَعْوَاهُمْ الْمَرْدُودَةِ لِلْمَبَالِغَةِ فِي الرَّدِّ بِإِفَادَةِ انْتِقَاءِ الْإِيمَانِ عَنْهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَنَةِ لَا فِي الْمَاضِي فَقَطْ كَمَا يَفِيدُهُ الْفِعْلِيَّةُ"^(٢).

نلاحظ من النصّ المسوق أنّ أبا السُّعُود ركّز على دقة البناء اللُّغويّ والنحويّ في الآية المباركة، إذ إنّ تَعَلُّقَ (الباء) بضميمتها (المؤمنين) يكون لتأكيد النفي، فتعني تأكيد نفي الإيمان عنهم، وهذا النفي القاطع باستعمال حرف (الباء) يزيد من تأكيد عدم وجود الإيمان لدى هؤلاء الأشخاص، بدليل أنّ الجملة الاسميّة تحمل دلالة أقوى من الجملة الفعلية لما تقيده من الثبات والاستمرارية، أي أنّ عدم إيمانهم ليس مؤقتاً أو متعلّق بزمان معين، بل هو نفي دائم ومستمر عبر الأزمنة.

ومما وظّفه أبو السُّعُود في تفسيره ما جاء مجرور بحرف الجر (من) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، إذ قال: "كلمة (من) متعلّقة بما تعلّقت به أختها ولا ضمير فيه لاختلاف معنييهما فإنّ الأولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية أي أنفقوا بعض ما رزقناكم من قبل"^(٣)، ولهذا نظائر أخرى في تفسير أبي السُّعُود^(٤).

وترد (من) تبعيضية فيكون ما قبلها جزءاً من المجرور بها مع تمام المعنى عند حذفها وتعويضها بكلمة (بعض)، مثل قولنا: أخذت من المال، أي بعض المال،

١ - ينظر: معاني النحو: ٢٧/٢.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٥٥/١.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٠/١.

٤ - ينظر: المصدر نفسه: ٩/٢، ١٥٩، ١٨/٣، ١٠، ٢١١، ٢٤٥/٥، ٥٤/٦، ٢٨٦/٧.

ويمكن أن تكون زائدة مثل: ما جاءني من أحد، أي أحد^(١)، وقد لمسنا ذلك عند أبي السُّعود أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، إذ قال: "﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف و(من) تبعيضية متعلّقة بجاعل أي وجاعل بعض ذريتي، كما تقول: وزيدًا لمن يقول سأكرمك، أو بمحذوف أي واجعل فريقًا من ذريتي إمامًا، وتخصيص البعض بذلك لبداية استحالة إمامة الكلّ وإن كانوا على الحق"^(٢)، فتعلّقت(من) التبعيضية ومجرورها ب(جاعل) إنّما هو لقيام قرينة النسبة على هذا التعلّق، إذ إنّ المعنى لديه: إنّ الله سيجعل الإمامة لبعض ذرية إبراهيم(عليه السلام) وليس لجميعهم؛ لأنّ الإمامة منصب خاص لا يصلح لكل فرد من الذرية.

يتّضح ممّا سبق أنّ قرينة النسبة سواء عن طريق الإضافة أم عن طريق حروف الجرّ، تؤدي أثرًا كبيرًا في التحليل النحويّ، وقد رصد أبو السُّعود هذه القرينة في تفسيره، ممّا يعكس فهمه العميق في ضوء تقييد العلاقة بين المضاف والمضاف إليه، وربط الحدث بالاسم المجرور.

^١ - ينظر: اللمع في العربية: ٧٣، والنحو الوافي: ٤٢٥/٢.

^٢ - إرشاد العقل السليم: ١٩٠/١.

الفصل الثالث

أثر القرائن الحالية في توجيه المعنى

توطئة:

المبحث الأول: قرينة سياق الحال وعناصرها في توجيه المعنى

أولاً: قرينة سياق الحال

ثانياً: قرينة أسباب النزول

ثالثاً: عناصر القرينة الحالية

المبحث الثاني: مجالات القرينة الحالية في توجيه المعنى

أولاً: التقديم والتأخير

ثانياً: الحذف والتقدير

ثالثاً: التعريف والتنكير

رابعاً: الإحالة بالضمير

الفصل الثالث:..... أثر القرائن الحالية في توجيه المعنى

القرينة الحالية

توطئة:

تُعَدُّ القرينة الحالية من كبرى القرائن التي تضمّ قرائن فرعية أصغر منها يطلق عليها قرينة المقام أو الحال^(١)، فهي في اصطلاح اللُّغة: تعني الظُّروف والأحوال والمناسبات التي يتمّ بها الحدث اللُّغوي مع العناصر المشاركة في تشكيل مكوناته ومقاصده، فتكشف عن المعنى المُراد، وتشمل أنواع النّشاط اللُّغوي المنطوقة والمكتوبة^(٢)، وجملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي، منها شخصيّة المُتكلّم والسّامع وتكوينهما النّقافي، وشخصيات من يشهد الكلام إن وجدوا، وبيان علاقته بالسلوك اللُّغوي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللُّغة وبالسلوك اللُّغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي^(٣).

وهذه القرينة وتلك العناصر والظُّروف جاءت في مباحث علماء اللُّغة بمصطلحات لُغوية مختلفة منها: الحال المشاهدة، والمقام، وقرائن الحال، والماجريات، والمسرح اللُّغوي، وسياق الحال^(٤).

ولم تكن هذه القرينة بعيدة عن إدراك علماء اللُّغة القدماء، فقد جاءت في مباحثهم اللُّغوية مبينين أثرها وأهميتها في التّحليل النّحويّ، ولا سيّما في سياق الحال، قال سيبويه: "فإنّ النّحويين ممّا يتهاونون بالخُلف إذا عرفوا الإعراب"^(٥)، وهذا يدلّ على أنّ سيبويه قد أدرك "تقصي الإعراب عن تحقيق الشّمول في تحليل

١ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٩-٤٠.

٢ - ينظر: التحليل النحوي أصوله وأدلتها: ٥٥، والعلاقات الدلالية، د. عبد الواحد حسن: ١٨-٢٠، والدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي (بحث)، د. كاصد الزبيدي، جامعة الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد ٢٦، ١٩٩٥ م: ١٢٥.

٣ - ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ٣١١.

٤ - ينظر: الخصائص: ٢٦٥/١، ٢٨٨/١، ومفتاح العلوم، السكاكي: ١٨٠، ٣١٩، ١٩١، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٣١١، ودراسات في علم اللغة: ١٦٥/٢، وسياق الحال في كتاب سيبويه، د. أسعد العوادي: ١٩.

٥ - الكتاب: ٨٠/٢.

الظاهرة النحوية، فوجه نقدًا إلى معاصريه من النحويين لانشغالهم بالإعراب وإهمالهم هذا النوع من التحليل"^(١).

وقد أدرك ابن جني أهمية سياق الحال في الاستعمال اللغوي، فقال: "وإنما يعتمد في تحديد الغرض فيه بما يصحب الكلام من أوله، أو آخره، أو بدلالة الحال، فإن لها في إفادة المعنى تأثيرًا كبيرًا، وأكثر ما يعتمدون في تعريف ما يريدون عليها"^(٢)، وأشار-أيضًا- إلى أهمية مشاهدة الأحوال والتعبيرات في توجيهه النحوي، فقال: "ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة نحو قولك إذا رأيت قادمًا: خير مقدم أي قدمت خير مقدم، فنابت الحال المشاهدة مناب الفعل الناصب"^(٣).

ومع هذا الإدراك لم يتمكن العلماء القدماء من إيلاء القرائن الحالية الاهتمام الكافي في دراستهم، ولعلّ السبب في ذلك أنّها قرائن يصعب ضبطها وحصرها، يقول الغزالي في حديثه عن أقسام القرائن: "والقرينة إمّا (لفظ مكشوف)... وإمّا (إحالة على دليل العقل)... وإمّا (قرائن أحوال) من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتّخمين يختصّ بدركها المشاهد"^(٤)، ويرى الدكتور تمام حسّان-أحد تلامذة فيرث وزعيم المدرسة السياقية العربية- أنّ القرائن الحالية "لا تخضع للتقعيد والضبط كما تخضع القرائن المقالية... وعلة ذلك هي أنّ القرائن الحالية تعبّر عن مقامات اجتماعية، فهي نسيج للثقافة بالمعنى (الأنثروبولوجي)، أي هي نسيج من العادات والتقاليد والأعمال اليدوية والفلكلور الشعبي..."^(٥)، وبذلك خالف رأي أستاذه فيرث الذي ذهب إلى أنّها قابلة للتجريد والضبط كما هو الحال مع سياق المقال، وعدم القدرة على تقنين هذا النوع من السياقات ويصعب تطبيقه

١ - القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه: ١٩٦.

٢ - المنصف: ٢٥٥.

٣ - الخصائص: ٢٦٥/١.

٤ - المستصفى في علم أصول الفقه، أبو حامد الغزالي: ١٨٥.

٥ - الوصفية في اللسانيات العربية الحديثة، حيدر غضبان، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية (صفي الدين الحلي)، جامعة بابل، ٢٠١٠م: ٣١٢، وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٤٢.

بشكل عملي في إطار النظريات دون أن يحقق قبولاً واسعاً، وهذا ما جعله عرضة للنقد؛ لأنه لم يقدم أي نموذج لغوي يصف فيه اللغة وصفاً تاماً^(١).

ويرى الدكتور حلمي خليل أنّ مفهوم سياق الحال فكرة قديمة، أحيائها فيرث إذ تُعدّ من أهمّ وسائل الاستدلال التي لجأ إليها العلماء والمفسّرون والمناطقّة والبلاغيون، فقد حدّدوا فائدته على نحو دقيق إلّا أنّ فيرث استطاع أن يصوغ منها نظريّة علميّة^(٢)، ولا يكون وصف اللغة كاملاً دون الإشارة إلى سياق الحال، فالعنصر اللغويّ يفسّر في ضوء الموقف الذي تستعمل فيه اللغة^(٣).

وفي إطار النظام التحليلي في تفسير أبي السّعود، يمكن فهم أسلوبه في استعمال القرينة الحالية أو المقام ضمن تحليله النّحوي، ولم يغفل عن ذكرها، فقد كانت هذه القرينة حاضرة بشكل واضح في تفسيره، إذ إنّها تكشف عن المعنى الدّقيق في تحليل النّصوص القرآنيّة، وأدرك تأثر الكلام بالعوامل الخارجيّة وما يرتبط بالحدث الكلامي من ظروف محيطيّة بالنّصّ، فذكر من هذه العوامل: أسباب النّزول، ومراعاة عناصر سياق الحال من مُتكلّم ومُخاطَب، وأثرها في تحليل الأساليب النّحويّة، وهذا ما سنوضحه في هذا الفصل.

١ - ينظر: علم الدلالة إطار جديد، فرانك بالمر: ٧٨-٧٩.

٢ - ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل: ١٣٢.

٣ - ينظر: الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح: ٤٤.

المبحث الأول

قرينة سياق الحال وعناصرها في توجيه المعنى

أولاً: قرينة سياق الحال

سياق الحال قرينة غير لفظية فهو مجموعة من الظروف المتعلقة بالمقام الذي تقال فيه الكلمة، أو بعبارة أخرى تحليل الكلام في السياق الذي يقع فيه، ويتضمن السياق الخارجي الظروف المحيطة بالحدث الكلامي وهي العصر ونوع القول وجنسه، واللغة أو اللهجة المستعملة، والمتكلم أو الكاتب والمستمع أو القارئ، والعلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة والجنس والعمر والألفة والطبقة الاجتماعية، ويمكن أن نلخص مفهوم سياق الحال بثلاث نقاط هي: مقصود المتكلم، وظروف الموقف الكلامي، وما يسبق أو يلحق به من كلام أو يعرف بالسياق اللغوي^(١).

وقد أولى أبو السُّعُود اهتماماً كبيراً بسياق الحال وما يحيط بالحدث الكلامي من ظروف تخصّ المتكلم أو المخاطب، وأبرز أثره في توجيه المعنى وتحديد العناصر اللغوية المحذوفة عن طريق توجيهه للعديد من الشواهد القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُمُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، ذكر أبو السُّعُود أنَّ خبر (لا أبرح) -وهي من أخوات كان- محذوف، اعتماداً على سياق الحال والكلام، يقول: "من برح الناقص كزال يزال أي لا أزال أسير فحذف الخبر اعتماداً على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله: ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ﴾ فإن ذلك غاية تستدعي ذا غاية يؤدي إليها، ويجوز أن يكون أصل الكلام لا يبرح مسيري حاصلاً حتى أبلغ فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجزوء المحلّ مرفوعاً مستكناً، والفعل من صيغة الغيبة إلى التّكلم، ويجوز أن يكون من برح التّام كزال يزول أي لا أفارق ما أنا بصددته حتى أبلغ ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾"^(٢).

١ - ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: ٧٦، وسياق الحال في كتاب سيبويه: ٢٢-٢٣.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٥٩/٥.

يكشف النَّصَّ أَنَّ القرينة التي اعتمد عليها أبو السُّعُود في تحليله النَّحْوِيَّ مقاميةٌ حاليةٌ، فإنَّ قول: (لا أبرح) إن كان بمعنى (لا أزال) يقتضي وجود خبر، وقد حُذِفَ الخبر؛ لأنَّ سياق الحال والكلام يدلُّ عليه، فالحالُ تشير إلى كونها حال سَفَرٍ، والكلامُ يوضح ذلك عن طريق قوله (حتى أبلغ) الذي يُحدِّد نهاية، وعليه يكون المعنى: لا يبرح مسيري حتى أبلغ، بحيث يكون (حتى أبلغ) هو الخبر، فلمَّا حُذِفَ المضافُ أُقيم المضافُ إليه مقامه وهو ضميرُ المُتكلِّم، فتحولَ الفعلُ مِنْ ضمير الغائبِ إلى صيغة المُتكلِّم، وإن كان بمعنى (لا أزل) من موضع الإقامة، فهذا يشير إلى الاستمرار في المكان وليس إلى السَّفَر.

ولم يقتصر أبو السُّعُود في تحليله النَّحْوِيَّ على استعمال مصطلح (قرينة الحال)، أو (قرينة المقام)^(١)، بل لجأ أيضًا إلى استعمال مصطلح (سياق النظم الكريم)، الذي يعني دراسة السَّيَاق الكامل للنَّصِّ القرآني، لفهم المعاني النَّحْوِيَّة بشكل أعمق وأدق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، إذ قال: "كلامٌ مبتدأٌ مسوقٌ لإنكار عدم تفكرهم في شأنه (صلَّى الله عليه وسلَّم) وجعلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها، والهمزة للإنكار والتَّعجيب والتَّوبيخ، والواو للعطف على مقدرٍ يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه"^(٢).

ومن الأدوار الأخرى التي لمسناها لقرينة السَّيَاق عند أبي السُّعُود في تحديد المعنى والحكم النَّحْوِيَّ المناسب للكلمات والجمل في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، إذ قال: "﴿مِنْ وَرَائِي﴾ أي بعد موتي متعلِّقٌ بمحذوف ينساق إليه الذهنُ أي فعلُ الموالي من بعدي أو جَوَر الموالي وقد قرئ كذلك أو بما في الموالي من معنى الولاية أي خِفْتُ الَّذِينَ يَلُون الأَمْرَ مِنْ وَرَائِي لَا يَخْفَتُ لِفَسَادِ الْمَعْنَى، وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء، وقرئ

١ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٤١/٢.

٢ - المصدر نفسه: ٣٣٧/٣.

خَفَّت^(١) الموالى من ورائى أى قلا وعَجَزوا عن القيام بأمر الدين بعدى، أو خَفَّت الموالى القادرون على إقامة مراسم الملة ومصالح الأمة من خَفَّت القوام أى ارتحلوا مسرعين أى دَرَجوا قُدَّامى ولم يبقَ منهم من به تَقَوَّ واعتضادًا فالظرفُ حينئذ متعلقٌ بِخَفَّت^(٢).

فسياق التركيب اللغوى يدور حول تعلق الجار والمجرور بالاسم (الموالى) - لما فيه من معنى الولاية، أى: خفت ولايتهم من بعدى وسوء خلافتهم - وليس بالفعل (خفت)؛ وذلك لأنَّ ربطه بالفعل قد يؤدِّي إلى تغيير المعنى المراد في ضوء سياق الحال المصاحب له، ويبدو أنَّ هناك خوفًا أو تحذيرًا من عواقب تولي (الموالى)، لذا وجب تعلق الجار والمجرور بهذا الاسم ليكتمل المعنى بشكل سليم، وأمَّا في قراءة (خَفَّت) بالتشديد فيتعلَّق الظرفُ بالفعل نفسه، ويكون (ورائى) بمعنى قُدَّامى، والمراد: أنَّهم ارتحلوا مسرعين أى دَرَجوا قُدَّامى ولم يبقَ منهم من به تَقَوَّ واعتضادًا.

ثانيًا: قرينة أسباب النزول:

يقصد بأسباب النزول "الأحداث والوقائع الملازمة للنص القرآني"^(٣)، إذ إنَّ القرآن الكريم لم يُنزل دُفعة واحدة وإنَّما نُزل في أوقات مختلفة وأماكن متعدّدة، تزامناً مع أحداث ووقائع متنوعة، وقد أشكل فهم معاني الكثير من الآيات القرآنية على السلف الصالح، ولم يُحلَّ هذا الإشكال إلا بمعرفة أسباب النزول^(٤)، فـ"معرفة أسباب النزول ضابط مهم في الوصول إلى المعنى المقصود؛ ذلك أنَّ السياق القرآني جاء معالجاً لوقائع وقعت فلا بُدَّ من معرفة سياق الحال لمعرفة سياق المقام"^(٥).

١ - قرأ الجمهور (خَفَّت) من الخوف، وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وغيرهم (خَفَّت)، ينظر: البحر المحيط: ٢٤١/٧، "وهذه قراءة شاذة إنما رواها كعب مولى سعيد بن العاص عن سعيد عن عثمان، وهي بعيدة جداً، وقد زعم بعض العلماء أنها لا تجوز" إعراب القرآن، النحاس: ٤/٣.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٨٥/٥.

٣ - دراسة المعنى عند الأصوليين: ٢٢٢.

٤ - ينظر: البحث الدلالي في كتب معاني القرآن، د. عمّار الددو: ٩١.

٥ - نظرية السياق القرآني، د. المثنى عبد الفتاح محمود: ١٤٤.

ولقرينة أسباب النزول أثر كبير عند العلماء في فهم المعنى المراد من كلام الخالق عزّ وجلّ، فقد ذكر الواحدي (ت ٤٦٨هـ) أنه لا يمكن "تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"^(١)، وهي "أعظم معين على فهم المعنى"^(٢)، وبذلك أصبحت هذه القرينة (أسباب النزول) موضع اهتمام العلماء من مفسرين، ولُغويين، وأصوليين، وبلاغيين، وغيرهم، نظراً لتأثيرها في عملية الاستدلال في تنظيم عناصر النصّ وتوضيح المعنى فضلاً عن معرفة الفرق بين المعنيين المقامي والمقالي^(٣)، وبذلك فإننا "لا نريد أن نذهب أكثر من ذلك في بيان أهميّة أسباب النزول في تعيين الدلالة وفهم المعنى، إنّما الذي نبغيه هو التنبيه والتأكيد على أنّ أسباب النزول تكافئ وتعادل ما اصطلح عليه الدالّيون المحدثون بـ(سياق الحال أو سياق المقام)؛ لأنّها تلقي الضوء على الظروف والملابسات كلّها التي تحيط بالنصّ القرآني وتعطيه دلالة واضحة محدّدة"^(٤).

وقد أفاد أبو السّعود من القرينة الحالية (أسباب النزول) أثناء تحليل النصوص القرآنية، مُسلّطاً الضوء على الفهم الصحيح للآيات الشريفة، وبيان أهميّتها في توجيه المعنى وإزالة الإشكالات المحتملة ودفع التناقضات التي قد تطرأ في فهم النصّ القرآني، ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾ [البقرة: ١٧٧]، قال أبو السّعود: "البرّ اسمٌ جامع لمراضِي الخصال، والخطابُ لأهل الكتابين فإنهم كانوا أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حُولت إلى الكعبة وكان كلّ فريقٍ يدّعي خيرية التوجّه إلى قبلته من القطرين المذكورين... والبرّ خبرٌ ليس مقدّمًا على اسمها... وإنّما آخر ذلك أنّ المصدر المؤول أعرف من المحلّى باللام لأنّه يشبه الضمير من حيث إنّّه لا

١ - أسباب النزول، الواحدي: ٤.

٢ - البرهان في علوم القرآن: ٢/٢١٩.

٣ - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٩.

٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٢.

يوصف ولا يوصف به والأعرف أحق بالاسمية ولأن في الاسم طولاً فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب أطراف النظم الكريم^(١).

نلاحظ من النص المسوق آنفاً أن ملامح القرينة الحالية (أسباب النزول) في الآية المباركة تكشف الملابس المحيطة بالنص، وإزالة التعارض خصوصاً فيما يتعلق بالجدل حول الكعبة وتوجيهها، وأن (البر) ليس مجرد التوجه إلى جهة معينة بل هو الالتزام بالأخلاق والفضائل، و(البر) في هذا السياق هو خبر (ليس) ولكن تقدم الخبر على اسمها لأسباب نحوية وبلاغية؛ لأن المصدر المؤول هو أكثر تعريفاً من الاسم المحلى ب(أل)، لشبهه بالضمير من حيث لا يوصف ولا يوصف به، وعليه يُعدُّ الأعرف أحق بأن يكون هو الاسم في الجملة، وهذا يتعلق بمواءمة التحليل النحوي مع الجمال البلاغي والتناسق في النص القرآني.

يتضح من ذلك أن القرينة الحالية الموجودة في الموقف الكلامي قد أزلت اللبس الذي كان في الآية الكريمة؛ لأن سياق الحال مبدأ تداولي، والتداولية من مدارس علم اللغة الحديث التي ترى أن الملفوظ الكلامي من حيث هو أداة من أدوات التواصل اللساني، لا يمكن أن يحل اعتماداً على الوصف النحوي التقليدي، أو التوليدي التحويلي، ولا على الوصف النحوي الدلالي حسب، إذ لا بدُّ من أن يؤخذ في الحسبان موضوع السياق التواصلية الذي يحتاج إلى تناسب بين الملفوظ والموقف^(٢).

ومما يكون فيه سياق الحال قرينة يُهتدى بها لتحديد الزمن، ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأُفٍّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، ذكر أبو السُّعود أن استعمال (إذ) في الآية المباركة هو للربط بين الحدث السابق (الاستغاثة) ووقت نزول الآية، واستعمال صيغة المضارع (تستغيثون) هو لحكاية حدث ماضٍ وكأنه يحدث الآن، قائلاً: "﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ بدل من إذ يعدكم معمول"

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٢٩/١-٢٣٠.

٢ - البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، تومان غازي الخفاجي: ٦٠-٦١.

لعامله...وقيل: متعلق بقوله تعالى: ﴿لِيَحِقَّ الْحَقُّ﴾^(١) على الظرفية وما قيل من أن قوله تعالى: ﴿لِيَحِقَّ﴾ مستقبل لأنه منصوب بأن فلا يمكن عمله في (إذ) لأنه ظرف لما مضى ليس بشيء لأن كونه مستقبلاً إنما هو بالنسبة إلى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة إلى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد إنما عبر عن زمانها بـ(إذ) نظراً إلى زمان النزول، وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة^(٢)، فالنص يفسر العلاقة الزمنية بين (إذ) التي تشير إلى زمن مضى جاء من منظور نزول الآية وليس من منظور الزمن المستقبلي والدلالة الزمنية للفعل (تستغيثون) وهو تصوير للحال الماضية عند الاستغاثة وكأنها تقع الآن، للتعبير عن عظمة الموقف والعبرة منه. وهذا يعني أن السياق له أثر كبير في تحديد الزمن في النص، إذ إنه قد يعطي للصيغة الصرفية مفهوماً زمنياً أكثر غير ما تدل عليه الصيغة نفسها^(٣).

ومما يكون فيه سياق الحال قرينة غير مصرح بها داخل النص نفسه بل يتطلب الإلمام بالعوامل المحيطة أو الظروف التي قيل فيها النص، وهذه العوامل والظروف تسهم في توضيح معناه وتفسير بنيته النحوية، ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، قال أبو السعود: "الخطاب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) والهمزة لتقرير رؤيته (عليه الصلاة والسلام) بإنكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية أي ألم تعلم علماً رصيناً متاخماً للمشاهدة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعينة الآثار الظاهرة...فإن ذلك من الإرهاصات لما روي أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم^(٤)، فالتركيب النحوي في النص يعزز معاني سياق الحال (أسباب النزول) ودلالات في

١ - الأنفال: ٨.

٢ - إرشاد العقل السليم: ١١/٤-١٢.

٣ - ينظر: الخلاف في الزمن في ضوء السياق والحال وأسباب النزول (بحث)، د. كريم حسين ناصح، وم.م. شيماء رشيد محمد، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد (٧٥)، ٢٠١٢م: ٢٠.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١٨٧/٩.

تحديد الخطاب إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق استعمال أدوات استفهام تقريرية، والغرض منها تقرير علم النبي بهذه الحادثة، وهذا يربط الحدث التاريخي بأسباب النزول.

ولقرينة سياق الحال(أسباب النزول) أثر مهم تخصيص دلالة اللفظ العام في النص القرآني أو تقييده، قال الزركشي: "أما دلالة السياق فإنها تُرشد إلى تبين المُجمل والقطع بعدم احتمال غير المُراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم"^(١)، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج:٣]، قال أبو السُّعود: "قوله تعالى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حالٌّ من ضمير يجادل موصحة لما يشعرُ بها المجادلة من الجهل أي مُلابساً بغير علم، رُوي أنَّها نزلت في النَّضر بن الحرث وكان جَدلاً يقول: الملائكةُ بناتُ الله والقرآنُ أساطيرُ الأولين ولا بعثَ بعد الموتِ وهي عامَّةٌ له ولأضرابه من العتاة المُتمردين"^(٢)، فيكون الحال عامًّا لكلِّ من يخاصم ويجادل والجهل مُلابساً له، لذلك تمَّ تعميم الحكم ليشمل من نزلت فيه الآية وكلِّ من يتصف بالجدال دون علم، لذا ذكر الشوكاني أنَّ محلَّ(بغير علم) النَّصب على الحال، والمعنى أنَّه يخاصم في قدرة الله فيزعم أنَّه غير قادر على البعث"^(٣).

نلاحظ أنَّ التركيب النحويَّ جاء لخدمة المعنى المتعلِّق بسبب النزول، إذ إنَّ كلمة (بغير علم) كونها حالًّا من الضمير في يجادل ممَّا يعزِّز فهمنا بتقييد سلوك الشخص الذي نزلت فيه الآية وهو(النضر بن الحرث) أو من كان يجادل بغير علم.

وقد أولى أبو السُّعود أهميَّة كبيرة في تحليل العلاقات النحويَّة وربطها بقرينة السياق والمقام، مع اهتمامه بمراعاة أسباب النزول، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، إذ قال: "الضميرُ للشأنِ ومدارُ وضعِه وموضعِه مع عدم سبق ذكرِه

١ - البرهان في علوم القرآن: ١٢٧/٢.

٢ - إرشاد العقل السليم: ١٠٣/٦.

٣ - ينظر: فتح القدير، الشوكاني: ٥١٥/٣.

الإيدانُ بأنّه من الشّهرة والنباهة بحيثُ يستحضره كلّ أحدٍ...ومحلّه الرّفْع على الابتداء خبره الجملةُ بعده...والسرُّ في تصدير الجملة به التّنبية من أوّل الأمر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادةٍ تحقيقٍ وتقديرٍ فإنّ الضّمير لا يفهم منه من أوّل الأمر إلّا شأنٌ مبهمٌ له خطرٌ جليلٌ فيبقى الذّهنُ مترقّبًا لما أمامه ممّا يفسّره ويزيلُ إبهامه...أو هو كما سُئلَ عنه أي الذي سألتُم عنه هو الله إذ روي أنّ قريشًا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وانسُبْهُ فنزلتْ فالضّميرُ مبتدأٌ والله خبره وأحدٌ بدلٌ منه أو خبرٌ ثانٍ أو خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ^(١).

يفهم من هذا التّحليل أنّ الضّمير الغائب قد يستعمل ليكون دليلًا على عدم الغموض وإيضاح المعنى وبيانه، بحيث يكون هو المقصود بالحكم، ففي تصدّر الجملة بضمير الشأن دلالة على عظمة الموضوع وفخامته والموقف الذي يعبر عنه هذا الأسلوب، واستعمال هذا الضّمير في بداية الجملة لكي يبقى ذهن السّامع في حالة ترقّب لما سيزيل الغموض، فيأتي الضّمير لتعزيز معنى الكلام بدعم من قرينة سياق الحال، وما يؤيد هذا قول القرطبي: "ففي (هو) دلالة على موضع الرّدّ ومكان الجواب، فإذا سقط بطل معنى الآية، ووضح الافتراء على الله عزّ وجلّ، والتكذيب لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)"^(٢).

ثانيًا: عناصر القرينة الحالية

لم يكن النّحاة العرب بعبيدين عن دراسة المعاني في تحليلهم للجمل، بل كانوا على صلة وثيقة بمقاصد الأسلوب ودلالات الخطاب، وطبيعة العلاقة بين المتكلّم والمُخاطَب وسياق الكلام، فلم يروا اللّغة على أنّها مجرد قواعد نظريّة، وإنّما فهموها على أنّها لفظ معين يؤدّيه متكلّم معين في مقام معين لأداء غرض تواصلٍ إبلاغي معين، لذلك جعلوا من أهداف الدّراسة النّحويّة إفادة المُخاطَب معنى الخطاب وإيصال رسالة إبلاغيّة إليه^(٣).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٠١/٩.

٢ - الجامع لأحكام القرآن: ٨٥/١.

٣ - ينظر: التداولية عند العلماء العرب: د. مسعود صراوي: ١٧٤، وسياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة: ٥٦.

فكلّ عملية تواصل لغوي تتشكّل بين طرفين رئيسيين هما: المتكلّم والمُخاطَب، فالمتكلّم يعبّر عن أفكاره ومعانيه باستعمال لغته المناسبة لذلك، ويحاول أن يتبع الأساليب التي تضمن إيصال ما يريد إلى السّامع، وهذا يتطلّب وجود علاقة واضحة بين المتحدّث والسّامع، ومن هنا يحرص المتكلّم على مراعاة كلّ ما يسهم في تحقيق هذا التّفاهم^(١)؛ لأنّ "المُخاطَب أساس في استمرار التّفاهم والاتصال بين المُخاطَب والمتكلّم لذا لا يستطيع المتكلّم أن يجعل كلامه في منأى عن إدراك المُخاطَب وفهمه فهو لا يستطيع الاستمرار في الكلام من غير معرفة بالظّروف الاجتماعية والنفسية للمُخاطَب"^(٢).

ولكي يُجرى توجيه المعنى على وفق مقتضيات هذه القرينة التي تشكّل الحدث الكلامي، ولا بُدّ من مراعاة ما يتصل بسياق الحال من عناصر أو ظروف وملابسات وقت الكلام الفعلي، ينبغي مراعاة مجموعة من العناصر المتمثلة بالآتي^(٣):

١- الظواهر المتصلة بالمشاركين في الحدث اللّغوي، مع الاهتمام بأشخاصهم وشخصياتهم في الكلام الفعلي نفسه، وأعمال هؤلاء المشاركين في الكلام وسلوكهم وهي الأحداث غير الكلامية مثل الإشارات وتعبيرات الوجه والانفعالات وما إليها.

٢- الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام والموقف، مثل المكان أو حالة الجو، إن كان لها دخل، والوضع السّياسي، وزمان الكلام ومكانه.

٣- أثر الكلام الفعلي، كالاقتناع أو الضحك أو الألم وغيرها.

فتوجيه المعنى في ضوء القرينة الحالية لا يتمّ إلّا على الحدث الكلامي الذي يتوافر على متكلّم ومُخاطَب ورسالة مفيدة تبرز عناصر سياق الحال لتحديد المعنى المقصود من العملية الكلامية، وقد اعتنى أبو السّعود بهذه القرينة في تحليل الكثير من النّصوص القرآنية، ويتجلّى اهتمامه بسياق عناصر الحال على النّحو الآتي:

١ - ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة: ٥٧.

٢ - مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه (بحث)، د. كريم حسين الخالدي، مجلة المورد، المجلد (٣٠)، العدد (٣)، ٢٠٠٢م: ٢٨

٣ - ينظر: فصول في علم الدلالة، د. فريد عوض: ١٣٢، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٣١١، والدلالة والنحو: ١٩٠.

١ - حال المُتَكَلِّم :

يُعَدُّ المُتَكَلِّمُ العنصر الأساس في تحديد دلالة الكلمات، حيث يعتمد التّواصل اللّغويّ على قصده بشكل رئيس، فالسّياق هو الذي يورد فيه الكلام ويسعى المتكلم لتحقيق أهدافه في ضوء معنى الكلام، وبذلك يكون المتكلم هو المسؤول عن توجيه المعاني وتحديدّها بما يتناسب مع موقفه التّواصلي؛ لأنّ المُتَكَلِّم هو "من وقع الكلام...بحسب أحواله من قصده وإرادته واعتقاده وغير ذلك من الأمور الراجعة إليه حقيقة أو تقديرًا"^(١).

وقد تنبّه إليه علماء العربيّة وبيّنوا أنّه لكي يكون الكلام مفيدًا ينبغي للمُتَكَلِّم مراعاة حال السّامعين وثقافتهم والموازنة بينه ومستوى المُخاطَبين أو المُتلقين، أي "ينبغي للمُتَكَلِّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلامًا، ولكلّ حالة من ذلك مقامًا، حتى يُقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويُقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"^(٢).

وقد كان (المُتَكَلِّم) ومقاصده موضع بحث واهتمام لدى النّحاة العرب في توجيه التّحليل اللّغويّ، حيث استندوا إلى مبدأ مراعاة نيّة المُتَكَلِّم في كلامه بوصفه دليلًا قويًّا في الدّراسات اللّغويّة، فهم يوظّفونه في فهم الجمل والتّراكيب اللّغويّة ولا سيّما في تفسير آيات القرآن الكريم والشّعر العربي، وقد اشترطوا معرفة غرض المُتَكَلِّم وقصده في تحديد بعض الوظائف النّحويّة، فغرض المُتَكَلِّم قرينة تُساعد في تحديد الوظيفة النّحويّة للكلمة، وبيان أثرها في التّحليل النّحويّ^(٣).

فكان غرض المُتَكَلِّم أحد الأسس التي قُعِدَت القواعد النّحويّة في ضوءها، وقد تنبّه سيبويه إلى هذا بفكره الثّاقب وحسّه المرفه في تحليلاته للتّراكيب التي يوردها حين فرق بين استعمالين لـ(ما) والاسم المعطوف على اسمها أيشارك مع اسم(ما) وينتصب بعده خبر؟ أم يُبتدأ به ويكون ما بعده مرفوعًا، ثم بين أنّ هذا التّنوع في

١ - سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: ٤٤.

٢ - البيان والتبيين: ١ / ١٠٦.

٣ - ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٢٠٠-٢٠١.

الأداء يوحي بمعنيين مختلفين، وكل استعمال يتكلم به إنما يلوح عن قصدية يرومها من ذلك الاستعمال^(١)، يقول سيبويه: "وليس قولهم لا يكون في ما إلا الرفع بشيء، لأنهم يحتجون بأنك لا تستطيع أن تقول ولا ليس ولا ما، فأنت تقول ليس زيد ولا أخوه ذاهبين وما عمرو ولا خالد منطلقين، فتشركه مع الأول في ليس وفي ما، ف(ما) يجوز فيها الوجهان كما يجوز في كان، إلا أنك إن حملته على الأول أو ابتدأت فالمعنى أنك تنفي شيئاً غير كائن في حال حديثك، وكان الابتداء في كان أوضح، لأن المعنى يكون على ما مضى وعلى ما هو الآن، وليس يمتنع أن يراد به الأول كما أردت في كان"^(٢).

ويعد الإعراب من أهم وسائل الكشف عن المعنى المقصود للمتكلم، يقول ابن جني: "فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو من المتكلم نفسه، لا لشيء غيره، وإنما قالوا: لفظي ومعنوي؛ لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ"^(٣)، ويقول عبد القاهر الجرجاني: "الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وإنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غلط في الحقائق نفسه..."^(٤).

وقد كان فهم المتكلم وقصده من المفاهيم الجوهرية التي أولى لها أبو السعود اهتماماً كبيراً في تفسير النصوص القرآنية وتحليلها، إذ لم يكتف بدراسة الشكل اللغوي فحسب، بل كان يسعى لفهم المعاني والدلالات التي يقصدها المتكلم، وهذا يتجلى بوضوح في معالجته للعديد من المسائل النحوية في تفسيره، والتي منها:

١ - ينظر: المتكلم وأثره في بناء القاعدة النحوية في كتاب سيبويه (بحث)، د. بان صالح

الخفاجي، كلية التربية للبنات - جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب، العدد (٩٧): ١٨٧-١٨٨.

٢ - الكتاب: ٦٠/١-٦١.

٣ - الخصائص: ١/١١١.

٤ - دلائل الإعجاز: ٢٨.

أ- الابتداء بالنكرة:

يجوز الابتداء بالنكرة إذا قصد المتكلم التفصيل^(١)، أو تلي النكرة واو الحال^(٢)، وهذا ما وظفه أبو السُّعُود في تحليله كلمة ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، إذ قال: "﴿وَطَائِفَةٌ﴾ مبتدأ وما بعدها إمّا خبرها، وإنّما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال...أو لوقوعها في موضع التفصيل...وإمّا صفتها والخبر محذوف أي ومعكم طائفة أو وهناك، وقيل: تقديره ومنكم طائفة، وفيه أنه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بإنزال الأمانة وأيّاً ما كان فالجملة إمّا حالية مبيّنة لفضاعة الهول مؤكّدة لعظم النعمة في الخلاص عنه...وإمّا مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين"^(٣).

ف(طائفة) مبتدأ والجملة التي بعدها في موضع الخبر، وصح الابتداء بالنكرة لتصدر الجملة ب(واو الحال) لقصد المتكلم في إبراز الحال لمجموعة غير معينة من الناس دون تحديد أو تخصيص، كحالة الخوف أو الاضطراب أو الفزع، دون الحاجة إلى تعريفهم بشكل دقيق.

ويجوز الابتداء بالنكرة إذا قصد المتكلم تعظيم الشيء وتقظيمه، وهذا ما أشار إليه أبو السُّعُود في تحليله النحويّ لقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ١]، إذ قال: "﴿سُورَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة، وإنّما أُشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنّها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد، وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ مع ما عطف عليه صفات لها مؤكّدة لما أفادته التّكثير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصّفات، وأمّا كونها مبتدأ محذوف الخبر على أن يكون التّقدير فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها فيأباه أن

١ - ينظر: المقرب: ٨٨-٨٩، وشرح الوافية: ١٧٩.

٢ - ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٤٦

٣ - إرشاد العقل السليم: ١٦/٢.

مقتضى المقام بيان شأن السورة الكريمة لا أن في جملة ما أوحى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يؤهم أن غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات^(١).

هذا يعني أن التأكيد هنا جاء لتفخيم شأن السورة وتعظيمها، إذ إن تكثيرها لا يقلل من مكانتها بل يعزز من عظمتها وأهميتها، فيكون التقدير: هذه سورة أنزلناها، أي أن (سورة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذه)، يقصد بها السورة الحالية، ومقصود المتكلم هنا هو تعظيم شأن السورة نفسها وليس للإشارة إلى أنها جزء من مجموع ما أوحى إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ب - العطف:

إن أسلوب العطف أثرًا مهمًا في فهم قصد المتكلم، إذ يسهم بشكل واضح في تحديد الغموض النحوي للعبارة، خاصة عندما يكون المعنى غير محدد، حيث يسهم في توجيه المعنى بحسب ما يتناسب مع السياق والمقام، ومن ذلك ما يقع في إعراب قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، قال أبو السعود: "﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾...معطوف على ما، أي: أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ والإعطاء والزيادة والنقص، وقرئ: بالتاء في الفعلين عطفاً على مفعول تأمرُك أي أصلاتك تأمرُك أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء، وتجويزُ العطف على ما قيل يستدعي أن يراد بالترك معنيان متخالفان... وإنما لم نقل عطفاً على أن نترك؛ لأن الترك ليس مأموراً به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه (عليه السلام) إليهم وأمره بذلك، والمعنى: أصلاتك تأمرُك أن تكلفنا أن نترك ما يعبدُ آبائنا"^(٢)، ففي قوله تعالى ﴿أَنْ نَفْعَلَ﴾ قراءتان^(٣)، والعطف في كلا الوجهين متوقف على قصد القارئ من مفهوم (الترك)

١ - إرشاد العقل السليم: ١٦٩/٦.

٢ - المصدر نفسه: ٢٥٨/٤.

٣ - قرأ الضحاك بن قيس، وابن أبي عتبة، وزيد بن علي (تفعل) بالتاء، وقرأ أبو عبد الرحمن وطلحة (نفعل) بالنون، ينظر: البحر المحيط: ١٩٧/٦.

فمن قرأ بالنون اختار العطف على ما يعبد، والتقدير: أن نترك ما يعبد آباؤنا وفعلنا في أموالنا ما نشاء، ومن قرأ بالتاء اختار العطف على أن نترك أي: تأمرك بترك ما يعبد آباؤنا، وفعلك في أموالنا ما تشاء^(١).

وقد نبه ابن هشام إلى ما يشبه هذا من الغفلة، فقال: "فإنه يتبادر إلى الذهن عطف (أن نفعل) على (أن نترك)، وذلك باطل؛ لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو عطف على ما هو معمول للترك والمعنى أن نترك أن نفعل، نعم من قرأ تفعل وتشاء بالتاء لا بالنون، فالعطف على أن نترك وموجب الوهم المذكور أن المعرب يرى أن والفعل مرتين وبينهما حرف العطف"^(٢).

ت - التوكيد:

مما يراعى فيه قصد المتكلم في باب التوكيد، إذا صُدّرت جملة جواب القسم بفعل مضارع وكان مثبتاً، فإن أحكام توكيده مبنية على قصد المتكلم منه، وإذا أُريد به الحال قرن باللام ولم يؤكد بالنون؛ لأنّ النون مخصوصة بالمستقبل، فمن شواهد قول الشاعر^(٣):

يمينا لأبغض كلّ امرئ ... يُزخرف قولا ولا يفعل

وإذا أُريد بالمضارع مثبت الاستقبال وقرن به حرف التنفيس أو قدّم عليه معموله امتنع أيضاً توكيده بالنون، وتقترن اللام بحرف التنفيس أو للمعمول المتقدم^(٤)، وذلك ماثل في تفسير أبي السُّعود في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، إذ قال: "اللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره: ولأنّك سوف يُعطيك إلخ، لا للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلاّ مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أنّ الإعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة، وقيل: هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى

^١ - ينظر: البحر المحيط: ١٩٧/٦.

^٢ - مغني اللبيب: ٦٨٦.

^٣ - هذا البيت مجهول القائل، ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٩٥/٤، وشرح الأشموني: ١١٤/٣.

^٤ - ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٢٠٨/٣، وشرح الأشموني: ١١٤/٣، وشرح التصريح:

النَّحَاة منها صورتين إحداهما: أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية، وكقوله: والله لسأعطيك، والثانية: أن يفصل بينهما بمعمول الفعل^(١).

يتضح للباحث في ضوء هذا التحليل أن (اللام) في الآية المباركة تفيد الابتداء لتقوية مضمون الجملة وجمعها مع (سوف) دلالة على أن العطاء سيحدث في المستقبل، ولا تستعمل -اللام- للدلالة على القسم، إذ إن القسم يتطلب وجود النون المؤكدة في الفعل بعده، وهذا الاستعمال يعكس قصد المتكلم لتأكيد المعنى وإيصاله إلى المخاطب بأن العطاء الإلهي سيكون منه حتمًا.

ث - توجيه العلامة الإعرابية:

يُعدُّ الإعراب من أهمِّ الوسائل التي تكشف عن المعنى المقصود للمتكلم وما يريد إيصاله إلى المخاطب، ولا سيما في القراءات القرآنية، وهذا ما نتلمسه عند أبي السُّعُود أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، إذ قال: "﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ بالنصب أي ينفقون العفو أو انفقوا العفو، وقرئ بالرفع^(٢) على أن ما استقهامية وذا موصولة صلتها ينفقون أي الذي ينفقونه العفو"^(٣)، ففي قوله تعالى: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قراءتان: الرفع، والنصب^(٤)، وكلا الوجهين من القراءة متوقف على قصد القارئ في لفظة (ماذا)، فمن جعل (ماذا) مركبة من (ما) الاستقهامية في موضع رفع بالابتداء، و(ذا) الموصولة التي بمعنى (الذي) وهو خبره قرأ بالرفع، فكأنه قال: ما الذي ينفقون؟ فقال: الذي ينفقون: العفو، فترفعه بخبر الابتداء، لأنه جعل الجواب من حيث سألوا، ومن جعل (ماذا) اسمًا واحدًا اختار وجه النصب، كأنه قال: ينفقون العفو^(٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ١٥٨/٩.

٢ - قرأ أبو عمرو وحده (قل العفو) رفعًا، وقرأ الباقر نصبًا، ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣١٥/٢.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٥٩/١.

٤ - قرأ أبو عمر وعيسى بن عمرو وابن اسحاق بالرفع، وقرأ أهل الحرمين وأهل الكوفة بالنصب، ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣١٥/٢، وحجة القراءات: ١٣٣، والبحر المحيط: ٤٠٧/٢.

٥ - ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٨٥/١، ومعاني القرآن وإعرابه: ٢٥١/١.

ج- المفعول فيه (الظرف):

قد يتوسّع الظرف المتصرف فيقوم مقام فاعل الحدث أو مقام المفعول به في الجملة^(١)، وذلك بناء على قصد المتكلم، وفي هذه الحالة يجب إضافة حرف الجر (في) إلى الضمير، أمّا إذا لم يضاف هذا الحرف، فيُفهم أنّ المتكلم أراد استعماله كمفعول به في سياق توسعي، يقول ابن مالك "فعلى هذا يلزم من أضمر الظرف مقصوداً به معنى الظرفيّة أن يقرنه بـ(في) كقولك (في) (صمت اليوم): اليوم صمت فيه، فمن قال: (صمته) علم أنه لم يقصد الظرفيّة، وإنّما قد جعله مفعولاً به توسّعاً"^(٢).

وقد وظّف أبو السُّعود ذلك أثناء تحليله جملة ﴿يَوْمَ مَشْهُودٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، إذ قال: "أي مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين فاتّسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله: في محفل من نواصي الناس مشهود، أي كثيرٌ شاهده ولو جُعِلَ نفسُ اليوم مشهوداً لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فإنّ سائر الأيام أيضاً كذلك"^(٣)، أي أنّ الظرف هنا لم يتضمّن معنى (في) فخرج عن كونه ظرفاً إلى المفعول به^(٤)، فطوي ذكر الفاعل؛ لأنّ المراد يشهده الشاهدون، إذ ليس القصد إلى شاهدين معيّنين، وإنّما يُراد الإخبار بأنّهم يشهدون ذلك بشهادة خاصّة وهي شهادة شيء عظيم، فمن المعلوم أنّ الغرض ليس الإخبار عنه بمجرد كونه مرئياً بل المقصود كونه مرئياً رؤية خاصّة^(٥)، (في يوم) ليس ظرفاً بل هو مفعول به؛ لأنّ مشهود ليس واقعاً فيه، بل هو يوم يشهد فيه أهل السموات والأرض، فالغرض وصف ذلك اليوم بالهول العظيم لتمييزه عن غيره من الأيام.

^١ - ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٢/٢٤٣.

^٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٢/٢٤٥.

^٣ - إرشاد العقل السليم: ٤/٢٦٥.

^٤ - ينظر: معاني النحو: ٢/١٥٤.

^٥ - ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/١٦١.

ح- البديل:

كثير من أمثلة النحويين وتوجيهاتهم ليست ضرباً من التخيل أو الافتراض، بل انبثقت في كثير من الأحيان واقع استعمال الناس في كلامهم؛ لأن من مقاصد علم النحو ضبط عملية الفهم والتفاهم بين المتكلمين، لذا درج النحاة تحت باب البديل نوعين ظهر فيهما أثر مقصود المتكلم، وهما بدل البداء - ويسمى بدل الإضراب وبدل المباين - وبدل الغلط^(١).

وينقسم بدل الإضراب على قسمين: إبطالي وانتقالي، فالإبطالي يقتضي نفي الحكم السابق، إبطال الحكم السابق، ونفي مضمونه، والقطع بأنه غير واقع، والحكم على مدعيه بالكذب، والانصراف عن ذلك الحكم إلى حكم آخر^(٢)، وقد تنبّه أبو السُّعُود إلى ذلك أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، إذ قال: "وقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ إضراب وإبطال لما قالوه كأنه قيل: ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى"^(٣)، أي: بل هم عباد مكرمون، فقد أبطل الحكم السابق ونفاه، وأثبت حكماً آخر بعده، فكأن الأصل: وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لا؛ فإن الذين اتخذهم هم عباد مكرمون^(٤).

أما الإضراب الانتقالي فهو الذي يقتضي الانتقال من غرض قبل الحرف (بل) إلى غرض جديد بعده، مع إبقاء الحكم السابق على حاله، وعدم إلغاء ما يقتضيه^(٥)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٤-١٧]، قال أبو السُّعُود:

١ - ينظر: حاشية الصبان: ١٢٣/٣، وشرح ألفية ابن معط، أحمد بن يوسف الغرناطي:

٢/٧٩٩، ومراعاة قصد المتكلم في التوجيه النحوي (بحث)، د. عادل فتحي رياض، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد (٥٨)، ٢٠١٦: ١٣٣-١٣٤.

٢ - ينظر: أوضح المسالك (هامش): ٣٤٧/٣، والنحو الوافي: ٦٢٣/٣.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٧٠/٦.

٤ - ينظر: النحو الوافي: ٦٢٣/٣.

٥ - ينظر: أوضح المسالك (هامش): ٣٤٧/٣، والنحو الوافي: ٦٢٣/٣.

"إضرابٌ عن مقدّر ينساقُ إليه الكلامُ كأنّه قيلَ إثرَ بيانٍ ما يؤدّي الى الفلاح: لا تقلعون ذلك بل تؤثرن اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها، والخطابُ إمّا للكفرة فالمرادُ بإيثار الحياة الدنيا هو الرّضا والاطمئنانُ بها والإعراضُ عن الآخرة بالكلية"^(١)، فالغرض الذي يدور حوله الكلام قبل (بل) هو الطّاعة بالطّهارة من الذّنوب، وبعبادة الله، وإقامة الصّلاة، أمّا الغرض الجديد بعد (بل) فهو حبّ الدنيا، وتفضيل الآخرة عليها، وكلا الغرضين مقصود باقي على حالة^(٢).

فالإضراب كان عن أمر متوقّع في السّياق، كأنّ الكلام كان يسير في اتجاه معين ثم سار باتجاه آخر، فكان الغرض المذكور قبل (بل) هو الفلاح والنّجاح الحقيقي، إلّا أنّ المخاطبين لا يفعلون ما ينبغي لتحقيق ذلك الفلاح، فانّقال المعنى إلى غرض آخر بعد (بل) هو تفضيل الدّنيا بدلاً من السّعي لتحقيق الفلاح.

خلاصة القول: إنّ إدراك قصد المتكلّم يشكّل جزءاً أساسياً في بناء التّراكيب اللّغويّة وتحليلها نحويّاً، إذ يتوقف الحكم على صحة التّركيب بمقاصد المتكلّم وأهدافه، فبعض تلك التّراكيب تحتاج إلى أمر اجتهادي في التّأويل من المتكلّم بحسب القراءة القرآنيّة كما هو الحال في توجيه العلامة الإعرابيّة، لذا نجد أنّ أبا السّعود بيّن معنى كلّ وجه معتمداً على فهم قصد المتكلّم وإرادته.

٢ - حال المُخاطَب:

يُعَدُّ المُخاطَبُ عنصراً أساسياً في العمليّة التّواصلية، فلا يمكن لأيّ كلام أو قول أن يؤدّي هدفه إنّ لم يكن معنياً بالمُخاطَب، فهو الذي يتلقّى الخطاب من لدن المتكلّم، ولا ينطق الكلام إلّا موجّهاً إليه، وبذلك يكون المُخاطَبُ شريكاً فاعلاً في إنتاج المعنى وإتمام التّواصل، ف"الكلام صفة قائمة في نفس المتكلّم يعبر للمُخاطَب عنه بلفظٍ أو لحظٍ أو بخطٍ، ولولا المُخاطَب ما احتيج إلى التّعبير في نفس المتكلّم"^(٣).

١ - إرشاد العقل السليم: ١٣٨/٩.

٢ - ينظر: النحو الوافي: ٦٢٣/٣.

٣ - نتائج الفكر في النحو، السهيلي: ١٧٠.

وقد كانت هذه الفكرة حاضرة في أذهان النحويين القدماء أثناء دراستهم للمسائل اللغوية، حيث اعتمدوا في بعض الأحيان على المُتَلَقِّي في توجيه القواعد النحوية، مستنديين في ذلك إلى علم المُخاطَب أو جهله، ويقظته أو غفلته، وبهذا أصبحت تحليلاتهم تركز على العلاقة بين المُتَكَلِّم والمُخاطَب، إذ تقوم العملية النحوية النحوية بشكل رئيس على التّواصل بين المُتَكَلِّم والمُخاطَب، وقد ترسّخت هذه العلاقة في أذهان النّحاة عن طريق وضعهم للقواعد، فكانوا حينما يتعاملون مع مسائل النّحو أو شواهد يلبأون إلى تلك العلاقة في توجيهها أو تخريجها...ولذلك أصبح للمُخاطَب وجود في غاية الأهمية في عملية التّعديد^(١).

وتُعَدُّ فكرة المُخاطَب قديمة عند النّحاة، وقد اتكأ عليها سيبويه واهتم بها في تعديد القواعد النحوية، قائلاً: "وإنما أضمرنا ما كان يقع مظهرًا استخفافًا، ولأنّ المُخاطَب يعلم ما يعني"^(٢)، وقد اتّخذ المبرّد (ت ٢٨٥هـ) فكرة المُخاطَب في تفسير العديد من الظواهر النحوية المختلفة منها قوله: "ومما يحذف لعلم المُخاطَب بما يقصد قولهم: لا عليك، إنّما يريدون: لا بأس عليك، وقولهم ليس إلا وليس غير... إنّما يريدون: ليس إلا ذاك... وإنّما تحذف إذا علم المُخاطَب ما تعني"^(٣).

ويرى ابن جني أنّ فهم اللغة يعتمد بشكل كبير على المعرفة بالسياق الثقافي والعرف اللغوي بين المُتَكَلِّم والمُخاطَب، وهو ما جعل العرب الأوائل قادرين على استيعاب المعاني المجازية بسهولة، فقال: "إنّ هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلّما يخرج الشّيء منها على الحقيقة، فلمّا كانت كذلك وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف النّاس بسعة مذاهبها وانتشار أنحائها جرى خطابهم بها مجرى ما يألّفونه ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المُخاطَب لهم بها على حسب عُرفهم وعاداتهم في استعمالها"^(٤).

^١ - علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية (بحث)، د. عمر أبو نواس، المجلة الأردنية في

اللغة العربية، المجلد (٧)، العدد (٧)، ٢٠١١ م : ١٠٢.

^٢ - الكتاب: ٢/٢٢٤.

^٣ - المقتضب: ١٢٩-١٣٠.

^٤ - الخصائص: ٣/٢٥٠.

وقد أدرك النحويون أنّ فهم المُخاطَب قد يتحقّق بفعل القرائن اللَّفْظِيَّة الدّالة على ما حُذف من الكلام، يقول الأنباري: "إنّهم قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض، إذا كان في الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المُخاطَب"^(١).

وقد أدركوا -أيضاً- أنّ اللّغة عمليّة تواصلية بين المُتكلِّم والمُخاطَب، وظهر هذا الإدراك جليّاً في دراستهم النّحويّة الّتي عُنيّت بتفسير العلاقة بين الطرفين وبيان أثرها في تحقيق مقصد الكلام، ولا سيّما فهم المُخاطَب لكلام المُتحدّث واستجابته له، ولعلّ من أوضح عبارات النّحاة في التّنبيه على أثر المُخاطَب في العمليّة التّواصلية ومشاركته فيه، ما قاله السّهيلي(ت ٥٨١هـ): "لَمَّا كان المُخاطَب مشاركاً للمُتكلِّم في معنى الكلام، إذ الكلام مبدؤه من المُتكلِّم ومنتهاه عند المُخاطَب، ولولا المُخاطَب ما كان كلام المُتكلِّم لفظاً مسموعاً، ولا احتاج إلى التّعبير عنه، فلمّا اشتركا في المقصود في الكلام وفائدته اشتركا في اللفظ الدّالّ على الاسم الظّاهر"^(٢).

والاهتمام بالمُخاطَب ومراعاة أحواله يكثر في النّحو العربي، نظراً لتعدّد الظّواهر النّحويّة والأساليب المختلفة في الكلام، وقد شكّل هذا ظاهرة ملحوظة في النّحو العربي^(٣)، فحرص النّحاة على جعل المُخاطَب المحور الأساس في العمليّة اللّغويّة، إذ بُنيت أغلب أحكام النّحو العربي على مراعاة المُخاطَب، وقد جاءت هذه الأحكام متوافقة مع معرفة السّامع، أو إدراكه، وثقافته، أو الحالة الاجتماعيّة الّتي يكون عليها^(٤).

وقد تجلّت قرينة حال المُخاطَب بشكل واضح في تحليل أبي السّعود للتراكيب اللّغويّة، مستنداً إلى سياق الكلام واعتبارات الأحوال المختلفة للمُخاطَب عند توجيهه

١ - الإنصاف في مسائل الخلاف: ٩٣/١.

٢ - نتائج الفكر في النحو: ١٧٢.

٣ - مراعاة المخاطب في النحو العربي، بان صالح الخفاجي: ١١٦.

٤ - ينظر: مراعاة المخاطب في النحو العربي: ١١٦.

للكثير من المسائل النحويّة المتفرقة في أبواب مختلفة، وهذا يُظهر اهتمامه العميق بتفاصيل اللّغة في مختلف المسائل النحويّة بهذا الجانب، ومن تلك المسائل:

أ- أسلوب النّداء

يُعدُّ أسلوب النّداء من أكثر الأساليب التي ترتبط بحال المُخاطَب وتؤثر فيه بشكل مباشر؛ لأنّه يُستعمل لاستدعاء انتباه المُخاطَب ليقبل على الدّاعي، وقيل في تعريفه: هو طلب إقبال المدعو على الدّاعي بأحد حروف مخصوصة^(١).

وقد أولى سيبويه هذا الأسلوب اهتمامًا بالغًا، فتحدّث عن تفصيلاته من حيث التّراكيب والأصوات، مميّزًا بين المنادى القريب والمنادى البعيد، كما أشار إلى تبادل الأحكام بينهما، فقد تستعمل همزة نداء القريب عند مناداة البعيد، فقال: "فأمّا الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء بـ(يا) و(آيا) و(هيا) و(أي)، وبالألف نحو قولك: (أحار بن عمرو)...إلّا أنّ الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدّوا أصواتهم للشّيء المتراخي عنهم، أو الإنسان المعرض عنهم الذي يرون أنّه لا يقبل عليهم إلّا باجتهاد، أو النّائم المستقل، وقد يستعملون هذه التي للمدّ في موضع الألف، ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها..."^(٢).

ففي هذا النّص حدّد سيبويه استعمال أدوات النّداء (يا، وأيا، وهيا، وأي) في حالات مختلفة للمخاطب، فمنه للشّيء المتراخي البعيد عن المنادى، والإنسان المعرض عن المنادى، والنّائم المستقل، ومنه القريب، ومنه البعيد، وهذه كلّها أغراض مرتبطة بسياق حال المُخاطَب المنادى.

ويتطلب النّداء وجود طرفين: المُتكلّم والمُخاطَب، ولا يجري بينهما حوار إلّا إذا كان هناك سياق مشترك يجمعهما؛ إذ ليس من المنطقي أن يبدأ شخص الحديث مع آخر دون سبب سياقي، لذلك قال الرّضي: "النّداء مع كثرته في الكلام ليس مقصودًا بالذّات، بل هو لتنبه المُخاطَب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له"^(٣).

١ - ينظر: عروس الأفراح في شروح تلخيص المفتاح: ٤٧٤/١.

٢ - الكتاب: ٢٢٩/٢-٢٣٠.

٣ - شرح الرضي على الكافية: ٤٠٧/١.

وقد تنبّه أبو السُّعُود إلى هذه المسألة ودرسها في ضوء سياق الحال، فتناول أسلوب الالتفات في الخطاب القرآني بوصفها وسيلة لإحداث أعمق تأثير في المُخاطَبين وجعلهم أكثر انتباهًا وإصغاءً، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، إذ قال: "...أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزًا لهم إلى الإصغاء وتوجيهًا لقلوبهم نحو التلقي، وجبرًا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب، فأمرهم كافةً بعبادته ونهاهم عن الإشراف به، و(يا) حرفٌ وضع لنداء البعيد، وقد ينادى به القريبُ تنزيلاً له منزلةً البعيد، إمّا إجلالاً كما في قول الداعي: يا الله ويا ربّ، وهو أقربُ إليه من حبل الوريد استقصاراً لنفسه واستبعاداً لها من محافل الزّلفى ومنازل المقربين، وإمّا تنبيهاً على غفلته وسوء فهمه، وقد يُقصد به التّنبية على أنّ ما يعقبه أمرٌ خطير يعتنى بشأنه، و(أي) اسمٌ مبهمٌ جعل وصله إلى نداء المعروف باللام لا على أنّه المنادى أصالةً، بل على أنّه صفةٌ موضحة له مزيلةً لإبهامه..."^(١).

يتّضح للباحث أنّ الخطاب وُجّه بأسلوب الالتفات لاستدعاء انتباه المُخاطَبين، ممّا يسهل تقبلهم الأمر الإلهي، فاستعمل حرف النداء (يا) في الخطاب ليضفي طابع الإجلال على الموقف، ويشعر المُخاطَب بأنّ الأمر ذو أهمية سواء أكان المُخاطَب قريباً أم بعيداً، وهذا الاستعمال ينقل المُخاطَب إلى حالة اليقظة لتناسب المقام الإلهي، و(أي) جاءت صفة توضيحية للمنادى لرفع الإبهام وتحديد المقصود بالنداء، بحيث يشعر كلّ فرد هو المُخاطَب الرئيس بهذه الرّسالة.

وقد يُحذف حرف النداء حين يتيقّن المُتكلّم من انتباه المُخاطَب إليه وإصغائه، إذ يستغني بوجود القرائن الدّالة على معناها، ومن تلك القرائن الاسم العلم الذي أغنى عن ذكر الأداة، وقرينة حالية أخرى وهي وجود المنادى في حضرة المُتكلّم قريباً منه^(٢)، وقد أشار أبو السُّعُود إلى هذا الأمر أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ

^١ - إرشاد العقل السليم: ٧٦/١.

^٢ - ينظر: مراعاة المُخاطَب في النحو العربي: ٢٤٢، والدلالة والتّقييد النحوي: ٤١٦.

أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿يوسف: ٢٩﴾، إذ قال: "حُذِفَ مِنْهُ حَرْفُ النَّدَاءِ لِقُرْبِهِ وَكَمَالِ تَقَطُّنِهِ لِلْحَدِيثِ وَفِيهِ تَقْرِيبٌ لَهُ وَتَلْطِيفٌ لِمَحَلِّهِ" (١).

والذي يبدو أنَّ الذي سوغ حذف أداة النداء (يا) هو امتلاك المخاطب فطنة تهيأ له سبيل الإصغاء والتنبية، وهذا ما ذكره الزمخشري في تفسيره بقوله: "حذف منه حرف النداء لأنَّه منادى قريب مفاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحلِّه" (٢).

ت - حرف التَّرجي (لعلَّ)

تُعَدُّ دلالة (لعلَّ) من المعاني الإنشائية التي تربط بين المُتَكَلِّمِ والمُخَاطَبِ، ويتَّضح معناها في القرآن الكريم بمعنى التَّرجي والإشفاق باعتبار حال المخاطبين، وقد حرص أبو السُّعُود على تحليلها تحليلًا دقيقًا ولانقًا بالله سبحانه وتعالى، في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، إذ قال: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾" المعنى الوضعي لكلمة (لعلَّ) هو إنشاء توقع أمرٍ متردِّدٍ بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأوَّل وأما محبوبٌ فيسمَّى ترجيًّا، أو مكروهٌ فيسمَّى إشفاقًا، وذلك المعنى قد يعتبر تحقُّقه بالفعل إمَّا من جهة المُتَكَلِّمِ كما في قولك: لعلَّ الله يرحمني، وهو الأصلُ الشائعُ في الاستعمال؛ لأنَّ معاني الإنشاءات قائمةٌ به، وإمَّا من جهة المُخَاطَبِ تنزيلاً له منزلةً المُتَكَلِّمِ في التلبُّس التَّام بالكلام الجاري بينهما... فإن روعيت في الآية الكريمة جهة المُتَكَلِّمِ يستحيل إرادة ذلك المعنى لامتناع التَّوقع من علام الغيوب عزَّ وجلَّ فيُصار إمَّا إلى الاستعارة بأن يُشَبَّه طلبه تعالى من عباده التَّقوى... فيستعار له كلمة (لعلَّ) استعارةً تبعيةً حرفيةً للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقُرب المطلوب من الوقوع، وإمَّا إلى التَّمثِيلِ بأن يلاحظ خلقه تعالى إيَّاهم مستعدين للتَّقوى وطلبه إيَّاهم منه... فالجملةُ حالٌ إمَّا من فاعل خلقكم طالبًا منكم التَّقوى أو من مفعوله، وما عُطف عليه بطريق تغليب المُخَاطَبِينَ على الغائبين؛ لأنَّهم المأمورون بالعبادة أي خلقكم وإيَّاهم مطلوبًا منكم التَّقوى... وإن روعيت جهة المُخَاطَبِ ف(لعلَّ) في معناها الحقيقي، والجملةُ حالٌ

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٨/٤.

٢ - الكشف: ٤٦١/٢.

من ضمير اعبدوا، كأنه قيل: اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زُمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح^(١).

وقد كثر عند علماء اللغة والمفسرين الحيرة في دلالة كلمة (لعل) الواردة في كلام الله تعالى؛ لأن معنى الترجي يوحي بعدم الجزم بتحقيق الأمر المرجو عند المتكلم، وقد تعددت أوجه تأويلها بين النحويين والمفسرين على النحو الآتي:

١- أن (لعل) على بابها من الترجي والإطماع، ولكن صرف دلالتها للمخاطبين، ذكر سيبويه أن معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، أي اذهبا في رجاكما في تذكرته وخشيته وكذلك هذه الآية معناها لتكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل ونعمه، فينصرف الرجاء إليهم وينزه الله تعالى^(٢).

٢- أنها للتعليل، أي اعبدوا ربكم لكي تتقوا، وبه قال قطرب، والطبري، وأبو علي الفارسي، وابن الأنباري^(٣).

٣- أنها للتعرض للشيء؛ كأنه قيل: افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا^(٤).

٤- ذهب صاحب تفسير الكشاف أنها استعارة فقال: "لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة، لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف... ووضع في أيديهم زمام الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى"^(٥)، لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم؛ لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة، وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد^(٦).

ويستشف لي مما سبق أن استعمال كلمة (لعل) من جهة المتكلم، وسيكون من المستحيل أن تشير إلى التوقع بالمعنى الوضعي؛ لأن الله عالم بالغيب ولا ينطبق

١ - إرشاد العقل السليم: ٧٧/١-٧٨.

٢ - ينظر: الكتاب: ٣٣١/١، والكشاف (الهامش): ١٣٩/١.

٣ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٩٨/١، والدر المصون: ١٨٩/١، والتحرير والتنوير: ٣٢٨/١.

٤ - ينظر: الدر المصون: ١٨٩/١، والتحرير والتنوير: ٣٢٨/١.

٥ - الكشاف: ٩٢/١.

٦ - ينظر: الكشاف: ٩٢/١.

عليه هذا التوقع، لذا يتوجب تفسير (لعل) على أنها استعارة تمثيلية، وبهذا يمكن عدّ الجملة حالاً من فاعل خلقكم، بمعنى أن الله خلق الإنسان بغرض تحقيق التقوى، وليس من المتوقع أن الله ينتظر منهم التقوى، وأمّا من جهة المخاطب، فإنّها ستحتفظ بمعناها الوضعي المعتاد للتوقع، ممّا يعني أن الخطاب موجه للإنسان ليجعل من العبادة سبيلاً للتقوى والفوز بالهدى والصلاح، فالجملة (لعلكم تتقون) ستكون حالاً من ضمير (اعبدوا ربكم).

ث - حذف جواب (لو، ولولا)

ذكر المفسّرون أنّ حذف جواب (لو) في القرآن يأتي لأغراض متعدّدة، وقد عبّر عن هذه الأغراض الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله: "والسرّ في حذفه... قالوا: وحذف الجواب يقع في مواقع التّخيم والتّعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطب؛ وإنّما يحذف لقصد المبالغة؛ لأنّ السّامع مع أقصى تخيله، يذهب منه الذّهن كلّ مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذّهن عند المصرّح به، فلا يكون له ذلك الوقع، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلّا بعد العلم بالسّياق" (١).

وقد تنبّه أبو السعود إلى ذلك أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، إذ قال: "جواب لو محذوفٌ لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقّفه السّامع من التّالي، والمقصود إمّا بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة، حيث لم يقدروا قدره العليّ، ولم يعدّوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره ممّا أوتي موسى وعيسى (عليهما السّلام)، وإمّا بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد" (٢)، فحذف جواب (لو) لعلم المخاطب به، وكأنّ الجواب يستشفّ من خلال السّياق، إمّا لبيان عظمة القرآن الكريم وتقنيد رأي المشركين، أو لتصوير مدى غلوهم في المكابرة واستمرارهم في العناد والظلال.

١ - ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٨٣/٣.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٨/٥.

وذكر المفسرون أنّ جواب (لو) محذوف تقديره: لكان هذا القرآنُ أبلغ من كل ما وصف، وقيل تقديره: لما آمنوا^(١)؛ لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف^(٢).

ونُقل عن الفراء أنّ جواب (لو) تقديره: لما آمنوا، والقرينة الدالة على ذلك هي الجملة من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [الرعد: ٣٠]، ففي الكلام تقديم وتأخير، وما بينهما اعتراض، وهذا في الحقيقة دالٌّ على الجواب^(٣)، وإن شئتَ كان جواب (لو) محذوف لعلم السامع به، والعربُ تحذف جواب الشيء إذا كان معلوماً إرادة الإيجاز^(٤).

أمّا الحرف (لولا) فيأتي لمعان متعددة منها: أن يكون للإخبار بمعنى امتناع شيء لأجل شيء، أو وقوع شيء لأجل شيء، كقولك: ولولا زيدٌ لجئتُك، أي امتناعي عن المجيء إليك من أجل زيد، ف(زيد) رفع بالابتداء، وخبره محذوف لعلم السامع به، تقديره: لولا زيدٌ حاضرٌ أو عندك أو أهابه أو ما أشبه ذلك ممّا يعرفه المخاطب لجئتُك^(٥).

وقد أشار أبو السُّعود في تحليله النَّحْوِيّ أن جواب (لولا) محذوف، ويُستدل عليه من سياق الكلام بما يعلمه المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهْ﴾ [يوسف: ٢٤]، إذ قال: "...جواب (لولا) محذوف يدلّ عليه الكلام أي لولا مشاهدته برهانَ ربه في شأن الزنى لجَرى على موجب ميله الجبلي، ولكنه حيث كان مشاهدًا له من قبلُ استمرّ على ما هو عليه من قضية البرهان، وفائدة هذه الشرطية بيانُ أنّ امتناعه (عليه السلام) لم يكن لعدم مساعدةٍ من جهة الطبيعة، بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخليّة وترتب المقدمات الخارجيّة

١ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٣٨/١، والكشاف: ٢٥٩/٢، ومفاتيح الغيب: ٥٩٨/٣.

٢ - ينظر: الكشاف: ٥٢٩/٢.

٣ - ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٦٣/٢، والبحر المحيط: ٣٨٩/٦، والدر المصون: ٥١/٧.

٤ - ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٦٣/٢.

٥ - ينظر: كتاب الأزهية في علم حروف، علي بن محمد الهروي: ١٦٦-١٦٧.

الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية، هذا وقد نصَّ أئمة الصنّاعة على أنّ (لولا) في أمثال هذه المواقع جارٍ من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق... فلا يتحقق هناك همٌّ أصلاً، وقد جوّز أن يكون (وهمٌّ بها) جواب (لولا) جرياً على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهمٌّ حينئذٍ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا أنّه قد شاهد برهان ربّه لهمٌّ بها كما همّت به، ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهمٌّ رأساً^(١).

وذكر النّحاس أنّ جواب (لولا) محذوف لعلم السّامع^(٢)، والتّقدير: لولا أنّ رأى برهان ربّه في ذلك الوقت لكان منه كذا وكذا، فالخبر والجواب محذوفان^(٣)، ولا يجوز أن يكون (وهمٌّ بها) جواب لولا؛ لعدم جواز تقدّم جواب لولا عليها؛ لأنّها في حكم أدوات الشرط، فقد صرح بذلك غير واحد من المفسرين^(٤).

وذهب جماعة من المفسرين إلى أنّ الهمٌّ من يوسف (عليه السّلام) لم يقع أصلاً، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان^(٥)، وأن معنى الكلام: ولقد همّت به، انتهى الخبر عنها، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف فقيل: وهمٌّ بها لولا أنّ رأى برهان ربّه، فتكون الجملة الثّانية معطوفة على جملة ولقد همّت به كلها وليست معطوفة على جملة همّت^(٦).

يتّضح لي ممّا تقدّم أنّ جواب (لولا) في الآية المباركة محذوف يفهم من سياق الكلام لعلم المخاطب به، تقديره: لولا مشاهدته برهان ربّه في ذلك الوقت لكان منه كذا وكذا، فامتنع النّبي يوسف (عليه السّلام) عن المعصية بفضل رؤيته للبرهان الالهي الذي شاهده وصرفه عن المعصية، فكأنّما انتفى أصل الهمّ بوجود هذا البرهان الذي رآه من الله فمنعه تماماً من إتمامه.

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٤/٤.

٢ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١٩٩/٢.

٣ - ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٣٨٤/١.

٤ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٣٩/١٦، وإعراب القرآن، النحاس: ١٩٩/٢.

٥ - ينظر: البحر المحيط: ٢٥٧/٦، والدر المصون: ٤٦٦/٦، والتحرير والتنوير: ٢٥٢/١٢.

٦ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٣٨/١٦، والتحرير والتنوير: ٢٥٢/١٢.

ث - أسلوب الاستفهام:

الاستفهام هو طلب المُتَكَلِّم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلًا عنده ممّا سألَه عنه^(١)، ويستعمل أسلوب الاستفهام مجازًا للإثارة السّامع، وجذب انتباهه، ومن اشركه في التّفكير ليصل بنفسه إلى الجواب من دون أن يُملَى عليه^(٢)، قال ابن جني: "إنّ المستفهم عن الشّيء قد يكون عارفًا به مع استفهامه في الظّاهر عنه، لكن غرضه الاستفهام عن أشياء، ومنها أن يرى المسؤول أنّه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السّائل عارف به؟ ومنها أن يرى الحاضر غيرهما أنّه بصورة السّائل المسترشد، لما له في ذلك من الغرض، ومنها أن يعدّ ذلك لما يعدّ ممّا يتوقعه"^(٣).

وقد يخرج الاستفهام مجازيًا إلى أغراض بلاغيّة تعرف من سياق الكلام وقرائن الألفاظ وقرائن الأحوال، قال القزويني: "ثم هذه الألفاظ كثيرًا ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام"^(٤)، فيكون السّائل عندها عالمًا بالخبر، ولكنه يسأل المخاطب ليحقق غرضًا في نفسه، فالاستفهام المجازي لا يطلب به المُتَكَلِّم الفهم لنفسه، وإنّما يريد تفهيم المُخاطَب أو السّامع.

وقد وظّف أبو السّعود أسلوب الاستفهام في تحليله النّحويّ، مستندًا على مراعاة حال المخاطب، ممّا أظهر الأثر العميق في تحليله للنصوص القرآنيّة، ولا سيّما عندما يخرج الاستفهام لأغراض مجازيّة، والتي منها:

- الاستفهام للإنكار التّقريري: هو حمل المُخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمر استقرّ عنده بأسلوب استفهامي، وهو "حمل المُخاطَب على الإقرار بأمر يعرفه"^(٥)، نحو قول الكفار من قوم إبراهيم (عليه السّلام) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

١ - ينظر: الكتاب: ١/١٢٧، والأشباه والنظائر في النحو، السيوطي: ٤٣/٧.

٢ - ينظر: من بلاغة النظم العربي، د. عبد العزيز عبد المعطي: ١٠٣/٢.

٣ - الخصائص: ٤٦٦/٢-٤٦٧.

٤ - الإيضاح في علوم البلاغة: ٦٨/٣.

٥ - مدخل إلى البلاغة العربيّة، د. يوسف مسلم أبو العدوس: ٧٨.

بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿[الأنبياء: ٦٢]﴾، قال أبو السُّعُود: "اقتصارًا على حكاية مخاطبتهم إِيَّاه (عليه السَّلام) للتنبيه على أَنَّ إتيانهم به ومسارعتهم إلى ذلك أمرٌ مُحَقَّقٌ غنيٌّ عن البيان ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾" ^(١) مشيرًا إلى الذي لم يكسره، سلك (عليه السَّلام) مسلكًا تعريضيًا يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم... وأما ما قيل من أنه (عليه السَّلام) لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم، بل إنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيته ^(٢).

وعليه حمل الجرجاني معنى قوله تعالى: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، ليس قصد الكفار بهذا الكلام، بل يريدون من المُخاطَب أن يعترف ويقر بأنه هو الفاعل، و"أن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنه منه كان" ^(٣).

وقد بيّن أبو السُّعُود أَنَّ ردَّ إبراهيم (عليه السَّلام) بأسلوب تعريضى في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، أنه اعتمد ردًا غير مباشر يجرحهم إلى استفهام تقريرى حول حقيقة آلهتهم، فهو لم ينسب الفعل إلى الصنم الكبير، بل عمد إلى عجز آلهتهم، إذ إنَّ السائل هنا عالمًا بالخبر أَنَّ إبراهيم (عليه السَّلام) هو من كسر الأصنام، ولكن المُخاطَب يسأل ليحقق غرضًا في نفسه هو الإقرار بأنَّ هذا الفعل كان منه ^(٤).

-الاستفهام للإنكار التّكذيبى: الإنكار التّكذيبى هو "أَنَّ المُخاطَب أن ادعى وقوع شيء فيما مضى، أو نُزِّل منزلة المدعى أتى بالاستفهام الإنكارى تكذيبًا له في دعواه" ^(٥)، والغرض منه تنبيه السّامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن

١ - الأنبياء: ٦٣.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٨٣/٦-٨٤.

٣ - دلائل الإعجاز: ١٥٢.

٤ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨٤/٦.

٥ - في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، د. عبد العزيز عتيق: ٩٩.

فعل ما همّ به، وأنّ مدعيه كاذب بمعنى لم يكن^(١)، كقول الكافرين الذين قالوا: الملائكة بنات الله في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالنِّسَاءِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ [الإسراء: ٤٠]، قال أبو السُّعُود: "خطاب للقائلين بأنّ الملائكة بناتُ الله سبحانه، والإصفاء بالشّيء جعله خالصًا، والهمزة للإنكار، والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور، أي أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخُلوص وآثر لذاته أحسّها وأدناها كما في قوله سبحانه: ﴿الْكُفْرَ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾"^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أُمُّ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾"^(٣)..."^(٤)، وهذا تسفيه لهم وتركيب لعقولهم، والالتفات إلى الخطاب للإنكار والتوبيخ والتّهم، فالاستفهام الإنكاري التّوبيخي أفاد تكذيبهم وإبطال ما قالوه^(٥)، ودلّ على كذبهم -أيضًا- بإنكاره موبخًا لهم في أسلوب الاستفهام بهمة الاستفهام الإنكاري^(٦).

- الاستفهام للتشويق: هو استثارة انتباه المُخاطَب إلى أمر يثير التّساؤل، وفيه يسعى المُتكلِّم إلى توجيه المستمع وإثارة رغبته ويشوقه إلى أمر من الأمور^(٧)، نحو قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١]، قال أبو السُّعُود: "استفهامٌ أريد به تشويق السّامع إلى معرفة من سيق له الكلام والتّعجب منه، والخطاب لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، وقيل: لكلّ عاقلٍ والرّؤية بمعنى المعرفة"^(٨)، جاء الاستفهام التّشويقي لإثارة انتباه السّامع أو القارئ نحو معرفة الصّفات السّلبية لمن يكذب

١ - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٧٢/٣.

٢ - النجم: ٢١.

٣ - الطور: ٣٩.

٤ - إرشاد العقل السليم: ١٩٥/٥.

٥ - ينظر: المصدر نفسه: ١٥٩/٨، ١٦٦.

٦ - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي: ٣٠٥/١٦.

٧ - ينظر: في البلاغة العربية، علم المعاني - البيان - البديع: ١٠٣.

٨ - إرشاد العقل السليم: ١٩١/٩.

بالذّين، وكأنّ الخطاب يرمي إلى كشف هذا الصّفات أمام المُخاطَب بأسلوب الاستفهام والاستنكار.

- الاستفهام للتعجب: هو انفعال يحدث في النّفس عند الشّعور بأمر يجهل سببه^(١)، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ فَتْلِكَ يَكِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] قال أبو السّعود: "تلوينٌ للخطاب وتوجيهٌ إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) تعجباً له من حال الذين يخالفون ما مرّ من الأمر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله، ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن وبما أنزل من قبله -أعني التّوراة- لتأكيد التعجب وتشديد التّوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعوهم وبين ما صدر عنهم"^(٢)، فالخطاب وإن كان في الظّاهر متوجّهاً إلى النّبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إلّا أنّه عام صالح لكلّ سامع^(٣).

يتضح لي -والله أعلم- أنّ استعمال (استفهام) في الآية المباركة يتضمّن مخاطبة الرّسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) تعجباً من مواقفهم، وتوجيه الخطاب إليه تأكيداً على استغراب حال القوم بأنهم يدعون الإيمان بينما يناقضون ما يؤمنون به من القرآن والتّوراة، ويُعدّ هذا التّعجب نوعاً من توبيخهم واستنكار أفعالهم، وهذه المعاني كلها من عطاء (سياق الحال) في إفادة معاني مضمومة إلى التّعجب.

- الاستفهام للتّحضيض: اعتاد النّحويون تناول موضوعي العرض والتّحضيض معاً في الدّرس النّحويّ؛ وذلك لتقارب معنييهما، وكلاهما يدلّ على الطلب إلّا أنّ "التّحضيض طلب بحث وإزعاج، والعرض طلب بلين وتأدّب"^(٤)، وقد يتضمّن التّحضيض شيئاً من المبالغة، كما يقول ابن مالك: "التّحضيض مبالغة في الحضّ على الشّيء، وهو طلبه والحثّ على فعله"^(٥).

^١ - ينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني: ١٦/٣، وشرح الكافية: ١٠٨٨/٢.

^٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٢٣/٢.

^٣ - ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١١٤/١٢.

^٤ - مغني اللبيب: ٣٦١.

^٥ - شرح تسهيل الفوائد: ١١٣/٤.

وتتضح هذه المعاني في ضوء الظروف والملابسات المحيطة بالكلام، وسياق الحال الذي يكشف حقيقة هذا الأسلوب المتبع من حيث المبالغة والإزعاج، وقد تنبّه أبو السُّعود إلى هذا الأسلوب أثناء تحليله قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣]، إذ قال: "الهمزة الداخلة على انتقاء مقاتلتهم للإنكار والتوبيخ تدلّ على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتقائها كأنّه أمرٌ لا يمكن أن يُعترف به طائعًا لكمال شناعته فيلجؤون إلى ذلك ولا يقدرون على الإقرار به فيختارون المقاتلة"^(١).

ويرى الزّمخشريّ أنّ الهمزة دخلت على (لا تُقاتِلُونَ) تقريرًا بانتقاء المقاتلة، ومعناه: الحَضُّ عليها على سبيل المبالغة^(٢)، وقال الآلوسي: "﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ﴾ تحريض على القتال؛ لأنّ الاستفهام فيه للإنكار والاستفهام الإنكاري في معنى النّفي، وقد دخل النّفي، ونفي النّفي إثبات، وحيث كان التّرك مستقبلاً منكراً، أفاد بطريق برهاني أنّ إيجاده أمر مطلوب مرغوب فيه، فيفيد الحث والتّحريض عليه"^(٣).

والذي يبدو أنّ استعمال أسلوب التّحضيض في الآية المباركة للتأثير في المُخاطَب في ضوء السّؤال الإنكاري، وهذا النوع من الاستفهام ليس فقط للسؤال عن سبب المقاتلة، بل لتقريع المُخاطَب وتوبيخه عن عدم الإقدام على المقاتلة.

١ - إرشاد العقل السليم: ٥٧/٤.

٢ - ينظر: الكشف: ٢٥٢/٢.

٣ - روح المعاني: ٢٥٤/٥-٢٥٥.

المبحث الثاني

مجالات القرينة الحالية في توجيه المعنى

إنَّ الوظيفة الإِبلَغِيَّةَ لِلُّغَةِ تقتضي استعمال تراكيب لُغَوِيَّةٍ تعبّر بوضوح عن مقاصد المُتَكَلِّمِ وتُرَاعِي حالة المُخَاطَبِ وسياق الخِطَابِ، وهي عناصر تشكّل ما يعرف بقرينة الحال أو المقام^(١)؛ ونظراً لأنَّ اللُّغَةَ تتجسّد عن طريق أنماط أو تراكيب تُستعمل وفق النّظام اللُّغوي السائد في بيئتها، وتؤدّي بذلك غاياتها التّواصلية، فلا ريب أنّ البُعد الاجتماعي لهذا النّشاط يفرض تأثير قرينة المقام في تحديد بنية التّركيب وأسلوبه، كما يتطلب ذلك إدراك التّحوّلات التي تطرأ على بنية التّراكيب اللُّغوية، وهو ما يسمّى في الدّراسات اللُّغوية الحديثة بـ(قواعد التّحويل) والتي تتضمّن تغيّرات كالتّقديم والتّأخير، أو الحذف والإضافة، أو غيرها^(٢).

وقد تنبّه النّحويون القدماء -وفي مقدّمهم شيخ النّحو العربي سيبويه- إلى تفسير التّغيّرات التي طرأت على بنية التّراكيب النّحوية في اللُّغة، وعندما بدأ في تحليلها تنبّه مباشرة إلى التّأثير الذي يمارسه التّواصل اللُّغوي في آليات الخِطَابِ، حتى باتت مبادئ النّفاهم تشكّل معياراً يضبط مدى الاختصار أو الإسهاب في التّعبير، ممّا يؤثر بصورة مباشرة على تحديد مدى الشّمول والاستيعاب عند تفسير الظّواهر النّحوية بشكل عام^(٣).

وقد اعتمد أبو السّعود على المجالات التّطبيقية المختلفة في تفسيره وتوجيهه، ووقف على أنماطها ووظائفها أثناء تحليله للنصوص القرآنية، مستنداً إلى سياق الحال الذي يكشف معاني النّصوص، فيحلّلها من منظور العناصر الأساسيّة للعملية الخطابية المُتَكَلِّمِ والمُخَاطَبِ والعلاقة التّواصلية بينهما، ومن أبرز هذه المجالات التي رصدناها في تفسيره:

١ - ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما: ١٢٣.

٢ - ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عمايرة: ٧٣، والقرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه: ٢٠٩.

٣ - ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي: ٣٣٢.

أولاً- التقديم والتأخير

تُعَدُّ ظاهرة التقديم والتأخير من الخصائص المميّزة في اللغة العربيّة، إذ يستعملها المُتكلِّم للتعبير عن معانٍ تتجاوز المعاني المباشرة، وهي معانٍ ربّما لا تتحقّق إلّا في ضوء هذا الأسلوب، فهذا المجال أحياناً يعكس عنايةً واهتماماً بمعنى معين، وأحياناً أخرى يضفي حصرًا أو تخصيصًا للمعنى المقصود، فضلاً عن ذلك أنّه يتأثّر بسياق الحال ومقامه والظّروف المحيطة به.

وقد أشار اللّغويون والبلاغيون إلى هذه الظّاهرة في حديثهم عن بناء الكلام وصياغته، وأولوها جل عنايتهم، فقد وردت بعض الإشارات عند سيبويه الذي كان يرى أنّ سبب التقديم والتأخير هو العناية والاهتمام، إذ قال: "كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويغنّيانهم"^(١)، وتحدّث عنه أبو عبيدة(ت ٢١٠هـ) وأدخله ضمن دائرة المجاز، فقد كان عنده المجاز بمفهومه العام "عبارة عن الطّرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته"^(٢)، وبين عبد القاهر الجرجاني أنّ هذا الباب "كثيرُ الفوائد، جمُّ المحاسن، واسعُ النّصرف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتّرُ لك عن بديعه، ويُفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروّقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجدُ سبب أنّ راقك ولطفَ عندك أن قدّم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان آخر"^(٣).

فالتّقديم والتأخير غرض نحوي بلاغي يُضفي على الكلام تأثيراً وجمالاً؛ لأنّ المُتكلِّم ينقل المعاني إلى المُخاطبين على وفق ترتيبها في ذهنه تبعاً لدرجة أهميتها عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساس المُتكلِّم، وصدق مشاعره^(٤).

وقد وظّف أبو السّعود هذه الظّاهرة في تحليله النّحوي، وبين غرضها واختصاصها التي كانت عنده مجالاً تطبيقياً في ضوء قرينة سياق الحال والظّروف الخارجيّة المحيطة به، ومنه ذلك تقديم رزق(الأبناء) على(الآباء) في جملة(نحن

١ - الكتاب: ٣٤/١.

٢ - مجاز القرآن: ١٩.

٣ - دلائل الإعجاز: ١٠٦.

٤ - ينظر: من أسرار التعبير في القرآن(صفاء الكلمة)، د. عبد الفتاح لاشين: ١٩٤.

نرزقهم وإياكم) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، إذ قال: "لا أنتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بإبطال موجهه في زعمهم، وتقديم ضمير الأولاد على مخاطبين على عكس ما وقع في سورة الأنعام للإشعار بأصالتهم في إفاضة الرزق، أو لأنّ الباعث على القتل هناك الإملاق الناجز ولذلك قيل: من إملاق وههنا الإملاق المتوقع، ولذلك قيل: خشية إملاق فكأنه قيل: نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه وإياكم أيضًا رزقًا إلى رزقكم" (١)، فقدّم ضمير الأولاد على مخاطبين؛ لأنّ الخطاب للأغنياء بدليل خشية إملاق، أي: من لا فقر له ولكن يخشى وقوعه في المستقبل، فكان رزق أولادهم في هذا السياق موضع الاهتمام دون رزقهم (٢)، فوجب تقديم العدة برزق الأولاد فيأمنوا ما خافوا من الفقر، على عكس قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، إذ قدّم ضمير مخاطبين على الأولاد؛ لأنّ الخطاب هنا للفقراء بدليل (من إملاق) الذي يفيد أنهم في فقر، فكان رزقهم أهمّ عندهم من رزق أولادهم؛ لأنهم في حاجة إليه فقدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم (٣).

ومن أهمّ دواعي التقديم والتأخير التي أشار إليها أبو السُّعود القصر والتخصيص، فمن ذلك تقديم الخبر على المبتدأ في جملة (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخُكُم بِإِيْمَانِكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، إذ قال: "تقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد، والضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام) وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب مخاطب على الغائب في

١ - إرشاد العقل السليم: ١٩٠/٥.

٢ - ينظر: روح المعاني: ٢٩٧/٤.

٣ - ينظر: الكشف: ٧٩/٢.

ضمن الالتفاتِ فإنّه أبلغُ في التبشير والإنذار^(١)، فقدّم الجار والمجرور (إليّ) المتعلّق بالخبر (كائن) على المبتدأ (مرجعكم)، وأصل الكلام: مرجعكم كائن إليّ؛ وذلك لتخصيص رجوعهم إليه سبحانه دون غيره^(٢)، وهذا التقديم يكشف عن استعمال القرآن الكريم لأساليب بلاغيّة لقصر المعنى وتأكيدِه ضمن سياق الوعد والوعيد المتعلّق بعيسى (عليه السّلام) وأتباعه ومخالفيه.

ومن ذلك تقديم المفعول به على فعله، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال أبو السُّعود: "وتقديم المفعول فيهما لما ذُكر من القصر والتّخصيص... مع ما فيه من التّعظيم والاهتمام به قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهُما: معناه نعبدك ولا نعبد غيرك، وتكرير الضمير المنصوب للتّخصيص على تخصّيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة"^(٣)، فنقدّم المفعول به (إِيَّاكَ) ليتفق مع نظم الكلام وسياق الحال، وهذا التّقديم أفاد قصر العبادة وتخصّيصها به سبحانه وتعالى، ولو جاء التّعبير: نعبدك ونستعينك، لما أدّى هذا المعنى، وإنّما يحتمل أن يُشرك الإنسان مع الله تعالى في العبادة والاستعانة، ولهذا كان التّعبير القرآني أبلغ وأدق في تحقيق توحيد العبادة بالله تعالى وحده^(٤).

وقد يُقدّم التّعبير القرآني ما هو أكثر ملائمة لسياق الكلام، حيث يرتب ذكر الكلمات وفق تقدّمها وألويتها في الوجود، فيُقدّم ما كان أسبق زماناً، كما في تقدّم ذكر (الجن) على (الإنس) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال أبو السُّعود: "...ولعلّ تقديم خلق الجنّ في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكّنين منها أتمّ استعدادٍ وأكمل تمكّن مع كونها مطلوباً منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فإنّ استتباع أفعاله تعالى

١ - إرشاد العقل السليم: ٥٢/٢.

٢ - ينظر: دلائل الإعجاز: ١٣٧، والبرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/٣.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٤/١.

٤ - ينظر: من أسرار التّعبير في القرآن (صفاء الكلمة): ١٩٧.

لغاياتٍ جليلةٍ ممّا لا نزاعَ فيه قطعاً^(١)، فتقدّم ذكر (الجنّ) للاهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجنّ، ليعلموا أنّ الجنّ عباد الله تعالى^(٢).
 ويلحظ كذلك المراحل الزمنية للنوم إذ ذكر أبو السُّعود أنّها جاءت في القرآن الكريم حسب تدرجها الوجودي، فتقدّم ذكر (السنة) على (النوم) في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إذ قال: "السنة ما يتقدّم النوم من الفتور... والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الإحساس رأساً، والمراد بيان انتقاء اعتراء شيءٍ منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لأنهما قاصران بالنسبة إلى القوة الإلهية فإنّه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل إلى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناءً على أنّ القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك: فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم، وإنّما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتصيص على شمول النفي لكل منهما"^(٣).

نلاحظ في سياق النص تقديم منطقي في الذكر، إذ يأتي النعاس قبل النوم، وهذا يعكس ترتيباً طبيعياً في الوجود الإنساني، ولكن سياق الحال الخاص بالله سبحانه وتعالى ليس ترتيباً زمنياً بقدر ما هو ترتيب يوحى بشمول النفي واستحالة اتصاف الله بشيء من آثار الضعف الإنساني، فلذا قدّم (السنة) على (النوم).

ومن أبرز التحليلات العميقة التي قدّمها أبو السُّعود في تقديم بعض الألفاظ، إذ يُضفى التقديم بعداً معنوياً يدلّ على عظمة المعنى المقصود، ومنه تقديم لفظة (الشركاء) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، إذ قال: "ومفعولاً جعلوا في قوله تعالى: ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ قدّم ثانيهما على الأوّل لاستعظام أن يتخذ الله سبحانه شريكاً ما،

١ - إرشاد العقل السليم: ١٥٢/٨.

٢ - ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨/٢٧.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٠/١-٢٩١.

كائنًا ما كان، والله متعلق بشركاء قدّم عليه للنكته المذكورة، وقيل: هما لله شركاء والجنّ بدلّ من شركاء مفسّر له نصّ عليه الفرّاء وأبو إسحاق، أو منصوبٌ بمضمرٍ وقع جوابًا على سؤالٍ مقدّرٍ نشأ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ كأنّه قيل: مَنْ جعلوه شركاء لله تعالى؟ فقيل: الجنّ، أي جعلوا الجنّ^(١).

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ هذا التّقديم ليس مجرد تقديم لغوي، بل هو تمهيد يُعين على فهم معنى أعمق لا يدركه إلّا أولئك الذين يمتلكون عقولاً فطنة وهمماً يقضة، وهو الفائدة الشّريفة من هذا التّقديم^(٢)، "أنّه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجنّ ولا غير الجنّ، وإذا أُخر فقيل: جعلوا الجنّ شركاء لله، لم يفد ذلك، ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنّهم عبدوا الجنّ مع الله تعالى"^(٣).

والذي يبدو أنّ أبا السّعود بيّن فائدة التّقديم نحويّاً وبلاغياً بما ينسجم مع السّياق في الآية المباركة، حيث يهدف التّقديم إلى تعظيم مقام الألوهيّة في عدم قبول الشّراكة بأيّ كائن آخر، ويفهم من التّركيب النّحويّ أنّ (الجنّ) هو المفعول الأوّل، والثّاني هو (شركاء) قدّم، و(الله) متعلّق بشركاء، وفائدة التّقديم كما قال الرّمخسري: "استعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكاً أو جنّيّاً أو إنسيّاً أو غير ذلك، ولذلك قدّم اسم الله على الشّركاء"^(٤).

ثانياً - الحذف والتّقدير

تتفرد اللّغة العربيّة بقدرتها على الموازنة بين الإيجاز والإسهاب تبعاً لمقتضيات سياق الموقف، وتتميّز هذه اللّغة بقدرتها الفريدة على التّشكيل اللّغوي وفقاً لما يقصده المتكلّم في الإيجاز، مستنداً إلى مجموعة من القرائن الحاليّة والمقالية التي تُعينه على إيصال المعنى بشكل دقيق إلى المُخاطَب، ممّا يضفي على الحديث مرونة وحيوية تتماشى مع حالة المتكلّم والمُخاطَب على حدّ سواء.

١ - إرشاد العقل السليم: ٣/١٩٤.

٢ - ينظر: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، د. عبد الفتاح لاشين: ٩٣.

٣ - دلائل الإعجاز: ٢٨٦-٢٨٧.

٤ - الكشف: ٥٢/٢.

وقد أشار العلماء الأوائل إلى هذه الظاهرة وبيان أهميتها في مجال سياق الحال، نجد أن سيبويه يستعين بعنصر سياق الحال المُتَكَلِّم والمُخَاطَب في تحليل مواضع الحذف لأسباب مقامية، كعلم المُخَاطَب والتخفيف والإيجاز والسعة وكثرة الاستعمال^(١)، قال سيبويه: "اعلم أنهم ممّا يَحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشّيء عن الشّيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتّى يصير ساقطاً"^(٢)، وأشار -أيضاً- إلى أهمية القرائن السياقية في باب "ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل"^(٣).

ويؤكد ابن جني على ضرورة وجود دليل سياقي على المحذوف يمنع حصول اللبس، وعده من شجاعة العربية^(٤)؛ لذلك اشترط "النّحاة لصحة الحذف وجود دليل مقالي أو مقامي وأن لا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي يقتضي عدم صحة التعبير في المعيار النّحوي"^(٥).

وقد تنبّه عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية الحذف، وما يحققه من أغراض بلاغية، فقال: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطّق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبين"^(٦).

والكلمات المحذوفة في القرآن الكريم "لعلم المُخَاطَب بها كثيرة جدّاً، وهي إذا أظهرت تمّ بها الكلام، وحذفها أوجز وأبلغ"^(٧)، لذا عدّ الحذف من الأساليب القرآنية البليغة فلم يجوزوه إلّا بما يقتضيه السياق من علم المُخَاطَب، وهذا ما نلمحه في

١ - ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه: ٨٨.

٢ - الكتاب: ٢٤/١ - ٢٥.

٣ - المصدر نفسه: ٢٥٣/١.

٤ - ينظر: الخصائص: ٣٦٢/٢.

٥ - الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٧٦.

٦ - دلائل الإعجاز: ١٤٦.

٧ - كتاب الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي: ٧٩.

كلام ابن السراج "والمحذوفات في كلامهم كثيرة والاختصار في كلام الفصحاء كثير موجود إذا أنسوا بعلم المُخاطَب ما يعنون"^(١).

وقد شكَّلت هذه الظاهرة مجالاً لسياق الحال عند أبي السُّعود أثناء تحليله للنصوص القرآنية، مستنداً بالمذكور على المحذوف بحسب ما يقتضيه المقام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِرَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٣٩]، إذ قال: "لا بُدَّ من تقدير مضافٍ يعود إليه الحال أي بولادة يحيى فإن التبشير لا يتعلّق بالأعيان"^(٢)، وذكر السمين الحلبي أنّ اسم (يحيى) متعلّق بـ(يبشرك)، ولا بُدَّ هنا من تقدير مضاف محذوف، أي: يبشرك بولادة يحيى؛ لأنّ الدّوات ليست متعلّقة للبشارة ولا بُدَّ في الكلام من شيء عادَ إليه السياق، ودلَّ على ذلك قرينةُ الحالِ وسياقُ الكلام^(٣)، ولذلك يُحتجُّ بضرورة تقدير مضاف محذوف في الآية، بحيث يصبح تقدير المعنى: يُبَشِّرُكَ بولادة يحيى، فالبشارة مرتبطة بالحدث السّار المرتبط بقوم يحيى (عليه السّلام) إلى الدّنيا، وليس بذاته بوصفه شخصاً مجرداً، ومن ثم فقرينة الحال وسياق الكلام موجب لهذا التّقدير ومفسّر للمحذوف.

وما رصده أبو السّعود حذف جواب الجزاء بقريضة علم المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، إذ قال: "وجوابُ إذا محذوفٌ للإيذانِ بأنّ لهم حينئذٍ من فُنون الكراماتِ ما لا يَحْدِثُ به نطاقُ العباراتِ كأنّه قيل: حتّى إذا جاءوها وقد فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا"^(٤)، وذكر الزّمخشريّ إنّما حُذف؛ لأنّه في صفة ثواب أهل الجنّة، فدلَّ على حذفه بأنّه شيء لا يحيط به الوصف^(٥)، فحذف الجواب هنا يتناسب مع سياق الحال، حيث يعكس إحساساً بالتّرقب والتّشوق، ممّا يجعل المُخاطَبين يُشْعرون بعظمة المشهد وهم يدخلون الجنّة بكرامة واحتفاء عظيم.

١ - الأصول في النحو: ٣٢٤/٢.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٤٠/٢.

٣ - ينظر: الدر المصون: ١٥٤/٣.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٢٨٠/٧.

٥ - ينظر: الكشف: ١٤٧/٤.

وقد يحذف المفعول من الكلام لإفادة التّخفيف مع وجود القرينة، قال ابن الزملاكي(ت٦٥١هـ): "قد يحذف لفظاً ويراد معنى، وتؤذن به قرينة حال أو مقام"^(١)، فيترك المفعول لغرض الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل من غير تعرض لمن وقع به الفعل بأن يتركه معرضاً عنه^(٢).

وأشار أبو السّعود إلى أنّ ترك المفعول يؤدّي أكثر من غرض أثناء تحليله للنصوص القرآنية، منها حذف الضّمير(الكاف) في الفعل(وعد) الثاني في قوله تعالى: ﴿وَأَدَاىِ اصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾[الأعراف: ٤٤]، إذ قال: "حذف المفعول من الفعل الثاني إسقاطاً لهم عن رتبة التّشريف بالخطاب عند الوعد، وقيل: لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً بهم وعداً كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنّة، فإنّهم قد وجدوا جميع ذلك حقّاً وإن لم يكن وعده مخصوصاً بهم"^(٣)، فحذف المفعول(وعد) الثاني لمجرد الإيجاز، والتّقدير: فهل وجدتم ما وعدكم ربّكم، أي من العذاب^(٤).

وهذا يعني أنّ حذف المفعول الثاني في الآية الكريمة يتمثّل بتجريدهم من رتبة التّشريف بالخطاب، وعدم تخصص الموعود لهم بشكل حصري، بل هو وعد عام يشمل النّاس كافّة.

وقد يحذف المفعول به لقصد البيان بعد الإبهام، كما في مفعول المشيئة والإرادة، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾[البقرة: ٢٠]، قال أبو السّعود: "...ومفعول المشيئة محذوف جرياً على القاعدة المستمرة فإنّها إذا وقعت

^١ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: ٢٤٣.

^٢ - ينظر: شرح المفصل: ٣٩/٢، وشرح الرضي: ٧٩/١.

^٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٦٢-٢٦٣.

^٤ - ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٧/٨.

شرطاً وكان مفعولها مضموناً للجزء فلا يكاد يُذكر إلا أن يكون شيئاً مستغرباً كما في قوله^(١):

فلو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
أي لو شاء أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لفعل، ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحِكم والمصالح^(٢)، فحذف مفعول المشيئة لقصد الإيضاح بعد الإبهام؛ إذ يجعل المُخاطَب في حالة من التَّرقب لمعرفة ما هو مجهول، فإذا أفصح عنه وقع في النَّفس معرفته؛ لأنها قد تعلَّقت بشيء أبهم ثم استبان بالجواب، فيكون لهذه الاستبانة وقع الأثر البالغ في النَّفس^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣]، قال أبو السُّعود: "ومفعول المشيئة محذوفٌ تعويلاً على دلالة الجزء عليه أي ولو شاء الله أن يجعلكم أمة واحدة لجعلكم إله، وقيل: المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام لأجبركم عليه"^(٤)، وصرح أبو السُّعود بحذف المفعول في جميع الآيات التي ورد فيها فعل المشيئة^(٥).
قال الزُّركشي: "والحكمة من كثرة حذف المفعول المشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مثيلة الجواب؛ ولذلك كانت الإرادة كالمشيئة في جواز اطراد حذف مفعولها، وينبغي أن يتمهل في تقدير مفعول المشيئة؛ فإنه يختلف المعنى بحسب التقدير"^(٦).

١ - البيت لاسحاق بن حسان الخزيمي يرثي بها أبا الهيثام عامر بن عمار أمير الشام، ينظر: تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، محب الدين أفندي: ٢٧١، والإيضاح في علوم البلاغة: ١٥٥/٢.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٧٤/١.

٣ - ينظر: الحذف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق (بحث)، د. سالم عبد الخالق السكري، كلية أصول الدين - القاهرة، جامعة الأزهر، المجلد (٣٠)، العدد (٣٠)، ٢٠١٧م: ٣٢٦.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٥٥/٣.

٥ - ينظر: المصدر نفسه: ١٣٢/٣، ١٥٧، ١٧٧/٤، ٢٢٢/٦، ٢٢٣، ١٧٦/٧، ٩٤/٩.

٦ - البرهان في علوم القرآن: ١٦٩/٣.

وقد يحذف المفعول به لقصد التعميم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ذكر أبو السُّعُود أَنَّ حذف المفعول بعد الفعل (يفقهوا) يهدف إلى التعميم، قائلًا: "وحذف المفعول للتعميم أي لهم قلوبٌ ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئًا مما من شأنه أن يفقه، فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولًا أوليًا، وتخصيصه بذلك مُخِلٌّ بالإفصاح عن كُنه حالهم"^(١)، وهذا الحذف يجعل المعنى عامًا بحيث يتسع لكل ما يمكن إدراكه بالعقل.

وتمكن أبو السُّعُود في تفسيره من استنباط تقديرات للأفعال المحذوفة، مستندًا في ذلك إلى ما يمليه السياق الخارجي وما يتوقَّر لديه من شواهد وأدلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، فالفعل (ضرب) هو الفعل المقدَّر لدى أبي السُّعُود، إذ قال: "(فانفجرت) عطفٌ على مقدَّر ينسحبُ عليه الكلامُ قد حُذف للدلالة على كمال سرعة تحقُّق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب أي فُضِرْبَ فانفجرت" ^(٢) اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا. وأما تعلُّق الفاء بمحذوفٍ أي فَإِنْ ضَرَبْتَ فقد انفجرت فغيرُ حقيقٍ بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يَخْفَى على أحد"^(٣)، وهذا المعنى أكَّده ابن عاشور بقوله: "والفاء في قوله (فانفجرت) قالوا: هي فاء الفصيحة ومعنى فاء الفصيحة أنها الفاء العاطفة إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفًا على المذكور قبلها فيتعين تقدير معطوف آخر بينهما يكون ما بعد الفاء معطوفًا عليه وهذه طريقة السكاكي فيها وهي المثلى... فتسميتها بالفصيحة؛ لأنها أفصحت عن محذوف، والتقدير في مثل هذا: فَضْرِبَ فانفجرت"^(٣)، فحذف الفعل يدلُّ على سرعة الاستجابة ويوحى بأن الأمر قد تحقَّق بلمح البصر، وبهذا فقد قدرنا المحذوف من لفظ المذكور؛ "لأنَّ في هذا

١ - إرشاد العقل السليم: ٣/٣٣٤.

٢ - المصدر نفسه: ١/١٣٤.

٣ - التحرير والتنوير: ١/٥١٩-٥٢٠.

الحذف دلالة على أنّ موسى لم يتوقف عن اتباع الأمر، وإنّه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به^(١).

ومن الأمثلة التي اعتمد عليها أبو السُّعود في سياق الحال لتفسير حذف الجملة الدالة على فعل مقدر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنَهُ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، يرى أبو السُّعود أنّ جملة (ولنجعلك) معطوفة على فعل مقدر قبله، تقديره: فعلنا ما فعلنا لإحيائك لترى بنفسك إمكانية الإحياء، أو متعلّق بفعل مقدر يأتي بعده، تقديره: ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا، وهذا دليل مشاهد وهو موته وبعثته، قائلًا: "عطفت على مقدر متعلّق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقررّ لمضمون ما سبق، أي فعلنا ما فعلنا من إحيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الإحياء بعد دهرٍ طويلٍ ولنجعلك آيةً للناس الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوك وأنت من أهل القرون الخالية...أو متعلّق بفعل مقدر بعده أي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك فرّق بينه وبين الأمر بالنظر إلى حماره"^(٢).

واستطاع أبو السُّعود أن يشخّص الكثير من المحذوفات على مستوى الجملة أثناء تحليله للنصوص القرآنية، مستندًا على سياق الحال المحيط بالنص القرآني، ومن هذا ما رصدناه في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ فَلِيَأْخُذُوا بِحِيثُهَا فَذُكِّرُوا كَلِمًا مِّنْهَا﴾ [البقرة: ١٠٠]، فالواو العاطفة في جملة (أو كلما) عطفت جملة مذكورة على جملة مقدّرة، إذ قال: "الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أكفروا بها وهي غاية الوضوح وكلّما عاهدوا عهدًا"^(٣)، وما يؤكّد أنّ هذه الواو عاطفة ما نقله لنا أبو حيان قائلًا: "...وقيل: واو العطف، وهو الصحيح، وقد تقدّم

١ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري: ٢٩٨/١.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٩٨/١.

٣ - المصدر نفسه: ١٦٦/١.

أن مذهب سيبويه والنحويين: أنَّ الأصل تقديم هذه الواو، والفاء، وثم، علة همزة الاستفهام، وإنَّما قُدمت الهمزة؛ لأنَّ لها الصدارة في الكلام، وأنَّ الزمخشري يذهب إلى أنَّ ثم محذوفاً معطوفاً عليه، مقدِّراً بين الهمزة وحرف العطف، ولذلك قدَّره هنا أكفروا بالآيات البينات؟ وكلَّما عاهدوا^(١).

ويتضح هنا أن الأداة(الواو) أسهمت في تشخيص مكانة المحذوف في النصّ، فحذف الجُملة المقدَّرة يتماشى مع سياق الحال الذي يهدف إلى استهجان الخيانة المتكررة، وهذا الأسلوب يجعل المُخاطَب يشعر بعمق الإنكار والتَّعجب، "قاليهود موسومون بالغدر ونقض العهود، وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا، وكم عاهدوا رسول الله(صلى الله عليه وسلّم) فلم يفوا"^(٢).

ومنه أيضاً ما أورده في تحليله جملة(وما ظلمونا) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلَّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، إذ قال: "كلامٌ عدلٌ به عن نهج الخطابِ السابقِ للإيدانِ باقتضاء جنایاتِ المُخاطَبين للإعراض عنهم وتعدادِ قبائحهم عند غيرهم على طريقِ المباشرةِ معطوفٌ على مضمَرٍ قد حذف للإيجاز والإشعارِ بأنَّه أمرٌ محقّقٌ غنيٌّ عن التّصريح به أي فظلموا بأن كفروا تلك النّعم الجليّة وما ظلمونا بذلك"^(٣)، وهنا فلا بدّ من تقدير جملة قبل قوله (وما ظلمونا) تقدّره: فعصوا ولم يقابلوا النّعم بالشّكر^(٤)، وقدَّره الزّمخشريّ بقوله: "فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا، فاختصر الكلام بحذفه لدلالة(وما ظلمونا) عليه"^(٥)، فورد في النصّ معطوف على جملة مقدّرة حُذفت للإيجاز والإشعارِ بأنَّه أمرٌ محقّقٌ غنيٌّ عن التّصريح به هنا، ويمكن تقدير الجُملة المحذوفة: فعلوا ما فعلوا، فظلموا، أي أنَّ حال المُخاطَبين قد ارتكبوا أعمالاً تتضمّن ظلماً وكفراً بالنّعم.

١ - البحر المحيط: ٥١٨/١.

٢ - الكشف: ١٩٧/١.

٣ - إرشاد العقل السليم: ١٣٢/١.

٤ - ينظر: المحرر الوجيز: ١٤٩/١، والدر المصون: ٣٧١/١.

٥ - الكشف: ١٤٢/١.

ومما نبّه عليه أبو السُّعُود في مجال الحذف والتّقدير على مستوى الجُملة يمكن أن يكون في النّصّ دليلٌ على السبب المحذوف، كما في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]، إذ قال: "رُوي أنّهم أمسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا: الفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوفٍ أي قد أبحت لكم الغنائم فكلوا ممّا غنمتم، والأظهر أنّها للعطف على مقدّر يقتضيه المقام أي دعوهم فكلوا ممّا غنمتم، وقيل: ما عبارة عن الفدية فإنّها من جملة الغنائم ويأباه سباق النّظم الكريم وسياقه"^(١)، فالفاء بحسب ما توجّهت لدى أبي السُّعُود أفادت معنى العطف على مقدّر يقتضيه سياق الحال، والتّقدير: دعوهم فكلوا ممّا غنمتم. وهذا التّقدير يفهم ضمن سياق الحال عن أسرى بدر الذين طلب منهم الرّسول دفع الفدية، فيفهم أنّ الإذن بأخذ الغنائم يشمل ما حصلوا عليه من الأسرى^(٢)، وهي "إباحة منه سبحانه للمؤمنين أن يأكلوا ممّا غنموه من أموال المشركين"^(٣).

ثالثاً - التعريف والتّكثير

التّعريف لغة: الإعلام، أي جعل الاسم دالّاً على شيء معين يفهم بالإنفراد والتّخصيص بعد التّعميم، إذ تقول: عرفه بالشّيء، أعلمه بمكانته، وهو ضدّ التّكثير^(٤)، فيرتبط التعريف بالوضوح والبيان، وحقيقة الشّيء وسمّه، أي علامته، والإعلام والماهية والتّسمية والفهم، وكلّ ذلك يرتبط بالتّعيين والفهم الدّلالي، أمّا التّكثير فيرتبط بالجهل بحقيقة الشّيء وعدم تعيينه، أو تحديده، فهو ضدّ البيان والوضوح^(٥)، فالتّكثير مطلق والتّعريف يأتي ليقيد ذلك الإطلاق ويحدّد وجود اللفظ في دلالاته واستعماله^(٦).

١ - إرشاد العقل السليم: ٤٣/٤.

٢ - ينظر: البحر المحيط: ٣٥٢/٥.

٣ - مجمع البيان: ٣٦٤/٤.

٤ - ينظر: لسان العرب: ١١/١٨٨-١٨٩، والقاموس المحيط: ٨٣٧/١ مادة (عرف).

٥ - ينظر: التعريف والتّكثير في النحو العربي، د. أحمد عفيفي: ١٩.

٦ - ينظر: في جمالية الكلمة، د. حسين جمعة: ١٥٩.

ويُعدُّ مفهوم التعريف والتذكير من القضايا النحويّة التي شغلت اهتمام النحاة، إذ اكتسبت أهميّة بالغة في توضيح العديد من الأحكام النحويّة، قال سيبويه: "وأعلم أنّ النكرة أخفّ عليهم من المعرفة، وهي أشدّ تمكُّناً؛ لأنّ النكرة أوّل، ثم يدخل عليها ما تُعرّف به، فمن ثمّ أكثر الكلام ينصرف في النكرة"^(١)، والسبب في ذلك أوضحه المبرّد بقوله: "لأنّ الاسم المنكر هو الواقع على كلّ شيء من أمته لا يخص واحد من الجنس دون سائره، وذلك، نحو رجل وفرس، وحائط، وأرض، وكل ما كان داخلاً بالبنية في اسم صاحبه فغير مُميّز منه، إذ كان الاسم قد جمعهما"^(٢)، وقرّر الزملكاني أنّ النكرة أصل والتعريف فرع عليه، إذ قد يراد من توظيف النكرة الدلالة على العموم لا تستطيع المعرفة أن تدلّ عليها، لكن ذلك لا يلغي أهميّة التوظيف للمعرفة في سياقها النّصي الخلق بها^(٣).

وقد أشار السيرافي (ت ٣٦٨هـ) إلى أهميّة سياق الحال وعناصره في ظاهرة التعريف والتذكير؛ لأنّ هاتين الحالتين تعتمدان على العلاقة القائمة بين المتكلم والمُخاطَب، فقال: "اعلم أنّ التعريف معلق بمعرفة المُخاطَب دون المتكلم، وقد يذكر المتكلم ما يعرفه هو ولا يعرفه المُخاطَب فيكون منكوراً، كقولك للمُخاطَب: في داري رجل، ولي بستان، وهو لا يعرف الرجل بعينه ولا البستان، ويجوز أن يكون المتكلم - أيضاً - لا يعرف، كقول الرجل لمُخاطبه: أنا في طلب غلامٍ أشتريته، ودار أكثرها، ولا يكون قصده بعينه"^(٤)، وهذا يعني أن تتعلّق المعرفة بالمُخاطَب أكثر من المتكلم؛ لأنّ الأصل في الكلام هو نقل المعنى للمُخاطَب وإصاله إليه تعريفاً أو تذكيراً^(٥).

١ - الكتاب: ٢٢/١.

٢ - المقضب: ٢٧٦/٤.

٣ - ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن الكريم: ١٣٦.

٤ - شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٣٣٨/٢-٣٣٩، وينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه، أبو الحجاج الشنتمري: ٢١٦/١، و شرح المفصل: ٣٤٧/٣.

٥ - ينظر: التعريف والتذكير في النحو العربي: ١٨-٢٠.

وحين يذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) التعريف يقول: "وَأَمَّا التَّعْرِيفُ فَلَهُ أَسْبَابُ فَبِالإِضْمَارِ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ التَّكَلُّمِ أَوْ الْخُطَابِ أَوْ الْغَيْبَةِ، وَبِالْعِلْمِيَّةِ لِإِحْضَارِهِ بَعِينَهُ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ ابْتِدَاءً... أَوْ لِتَعْظِيمِ أَوْ إِهَانَةٍ... أَوْ الْإِشَارَةِ لِتَمْيِيزِهِ أَكْمَلَ تَمْيِيزٍ بِإِحْضَارِهِ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ حَسًّا، نَحْوُ: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾^(١)، وَلَقَصْدِ تَعْظِيمِهِ بِالْبُعْدِ، نَحْوُ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢) ذَهَابًا إِلَى بُعْدِ دَرَجَتِهِ..."^(٣).

وقد أدرك أبو السُّعُود أَنَّ لِسِيَاقِ الْحَالِ وَعُنَاصِرِهِ أَثْرًا مَحَوْرِيًّا فِي تَحْدِيدِ ظَاهِرَةِ التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ، حَيْثُ يَتَحَدَّدُ الطَّابَعُ التَّعْرِيفِيُّ أَوْ التَّنْكِيرِيُّ مِنْ طَبِيعَةِ الْعِلَاقَةِ الْمَفْتَرَضَةِ بِحَسَبِ السِّيَاقِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]، ذَكَرَ أَبُو السُّعُودِ أَنَّ (أَل) التَّعْرِيفِ فِي كَلِمَةِ (النَّاسِ) يُمْكِنُ أَنْ تَقِيدَ مَعْنَى الْعَهْدِ أَوْ الْجِنْسِ بِحَسَبِ الْمَقَامِ الْمَفْتَرَضِ، يَقُولُ: "الْإِلَامُ لِلْجِنْسِ، وَالْمَرَادُ بِالنَّاسِ الْكَامِلُونَ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامِلُونَ بِقَضِيَّةِ الْعَقْلِ، فَإِنَّ اسْمَ الْجِنْسِ كَمَا يُسْتَعْمَلُ فِي مَسْمَاهُ يَسْتَعْمَلُ فِيمَا يَكُونُ جَامِعًا لِلْمَعَانِي الْخَاصَّةِ بِهِ الْمَقْصُودَةِ مِنْهُ... أَوْ لِلْعَهْدِ وَالْمَرَادُ بِهِ الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَمَنْ مَعَهُ، أَوْ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِهِمْ كَابِنِ سَلَامٍ وَأَضْرَابِهِ، وَالْمَعْنَى آمَنُوا إِيمَانًا مَقْرُونًا بِالْإِخْلَاصِ، مَتَمَحِّضًا عَنْ شَوَائِبِ النَّفَاقِ، مِمَّا ثَلَا لِإِيمَانِهِمْ"^(٤).

وَوَاضِحٌ هُنَا الرِّبْطُ بَيْنَ التَّعْرِيفِ وَسِيَاقِ الْحَالِ، فَالْمَقَامُ يَقْتَضِي تَخْصِيصًا لِلْمَعْنَى الْعَامِ؛ إِذْ يَبِينُ النَّصُّ أَنَّ (أَل) التَّعْرِيفِ فِي كَلِمَةِ (النَّاسِ) لِلْجِنْسِ، وَهَذَا لَا يَشِيرُ إِلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ عَلَى إِطْلَاقِهِمْ، بَلْ إِلَى فِتَّةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَهُمْ الْكَامِلُونَ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامِلُونَ بِقَضِيَّةِ الْعَقْلِ، أَوْ قَدْ يَكُونُ لِلْعَهْدِ أَيُّ يَشِيرُ إِلَى جَمَاعَةٍ مَعِينَةٍ، وَالْمَرَادُ هُنَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١ - لقمان: ١١.

٢ - البقرة: ٢.

٣ - الإِيتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ: ٣٤٨/٢-٣٤٩.

٤ - إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: ٥٩/١-٦٠.

ويبين أبو السُّعُود السَّرَّ في تنكير كلمة (صَيِّب) وتعريف (السَّمَاء) في ضوء تحليل لغوي دقيق لمعانيها وسياقات استعمالها في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]، فالصَّيْب معروف لا ينزل إلَّا من السَّمَاء، إذ قال: "الصَّيْب فيعمل من الصَّوْب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السَّحاب... وتنكيره لما أنَّه أريد به نوع منه شديد هائل... والمراد بالسَّمَاء هذه المظلة وهي في الأصل كلّ ما علاك من سقف ونحوه... وتعريفها للإيذان بأنَّ انبعاث الصَّيْب ليس من أفق واحد فإنَّ كلّ أفق من آفاقها أي كلّ ما يحيطُ به كلّ أفقٍ منها سماءٌ على حدة" (١).

ويرى الزَّمَخْشَرِيُّ أنَّ فائدة التعريف والتَّنكير هنا "أنَّه جاء بالسَّمَاء معرفة فنفي أن يتصوَّب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأنَّ كلّ أفق من آفاقها سماء... والمعنى أنَّه غمام مطبق أخذ بآفاق السَّمَاء، كما جاء بصيْب، وفيه مبالغت من جهة التَّركيب والبناء والتَّنكير، أمد ذلك بأن جعله مطبقاً" (٢).

وقد عدَّ أبو السُّعُود ظاهرة التعريف والتَّنكير من أبرز أساليب البلاغة الفائقة، ففي تحليله لتعريف كلمة (القصاص) وتنكير (الحياة) قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، إذ قال: "بيانٌ لمحاسِنِ الحُكم المذكور على وجهٍ بديعٍ لا تتاله غايته حيث جعل الشَّيْءَ محلاً لُصْدِهِ، وعُرِفَ القصاص ونُكِرَ الحياة ليدل على أنَّ في هذا الجنس نوعاً من الحياة عظيماً لا يبلغه الوصف، وذلك لأنَّ العلمَ به يردُّ عن القاتل عن القتل فيتسبَّب حياةٌ نفسين، ولأنَّهم كانوا يقتلون غيرَ القاتل والجماعة بالواحد فتثورُ الفتنةُ بينهم، فإذا اقتُصَّ من القاتل سِلمُ الباقون فيكون ذلك سبباً لحياتهم" (٣).

١ - إرشاد العقل السليم: ٦٩/١ - ٧٠.

٢ - الكشف: ٨٢/١.

٣ - إرشاد العقل السليم: ٢٣٤/١.

وذهب الزمخشري إلى أن من إصابة محرّ البلاغة أن يعرف (القصاص) وتنكر (الحياة)؛ لأنّ المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص، حياة عظيمة؛ لأنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة^(١)، ويرى ابن عاشور أنّ التّكثير في كلمة (حياة) للتّعظيم بقرينة المقام، فالمعنى المقصود هو أنّ في القصاص حياة للناس، أي حياة لنفوسكم؛ لأنّ القصاص يُعدّ رادعاً قوياً للناس عن قتل الأرواح، فلو أهمل حكم القصاص لما ارتدع الناس؛ لأنّ أشدّ ما تتوقاه نفوس البشر هو الموت^(٢)، وهذا يدلّ أنّ التعريف والتّكثير من العناصر التي تعزّيز بنية الخطاب، وإبراز أثر هذه الظاهرة اللغوية في تقوية السياق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، ذكر أبو السّعود أنّ دلالة تنكير كلمة (حياة) هي "للإيدان بأنّ مرادهم نوع خاص منها وهي الحياة المتطاوله"^(٣)، وهؤلاء هم اليهود الذين كانوا أشدّ الناس حرصاً على العيش في الحياة الدنيا، وأشدّهم كرهاً للممات^(٤).

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ في إثثار التّكثير في (حياة) من دون التعريف "حسنًا وروعة، ولطف موقع، لا يقادر قدره حسن، وتجديك تعدّم ذلك مع التعريف، وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما"^(٥)، وهو ما استحسّنه الرازي^(٦).

وقد وظّف أبو السّعود هذه الظاهرة في تحليله لسياقين مختلفين، فقد ورد لفظ (بلد) نكرة ومعرفة في موضع آخر، وقد أشار إلى دلالة اللفظ في الآيتين ما بين التعريف والتّكثير وإعرابهما، ففي حالة التّكثير، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، إذ قال: "إذا أمن كعيشة راضية أو آمناً أهله كليلة نائم أي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة، وكان ذلك أول ما قديم (عليه السلام)

١ - ينظر: الكشف: ٢٢٢/١.

٢ - ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٤/٢-١٤٥.

٣ - إرشاد العقل السليم: ١٦٣/١.

٤ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٣٦٩/٢.

٥ - دلائل الإعجاز: ٢٨٨.

٦ - ينظر: مفاتيح الغيب: ٦٠٩/٣.

مكة... وتعريفُ البلدِ مع جعله صفةً لهذا في سورة إبراهيم^(١)، في قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال أبو السُّعُود: "الفرق بينه وبين ما فيها من قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أَنَّ المسؤول هناك البلدية والأمن معًا، وههنا الأمنُ فقط حيثُ جُعِلَ هو المفعول الثاني للجعل وجُعِلَ البلدُ صفةً للمفعول الأول...واقصر ههنا على حكاية سؤال الأمنِ لا لمجرد أنَّ نعمةَ الأمنِ أُدخلُ في استيجاب الشكر فذكره أنسبُ بمقام تقرُّع الكفرة على إغفاله"^(٢).

ففي حالة التتكير يكون (بلدًا) مفعولًا ثانيًا، و(آمنًا) صفةً للمفعول الثاني، أي صيره بلدًا، فجاء بصيغة التتكير، إذ لم تكن مكة بلدًا، فجعل هذا بلدًا، ثم وصف البلد بأنه آمن^(٣)، وفي حالة تعريف (البلد) يكون بدلًا أو صفةً للمفعول الأول اسم الإشارة (هذا)، و(آمنًا) صارت المفعول الثاني، أي المكان صار بلدًا، فعلى هذا أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) دعا لهذا البلد مرتين^(٤).

وقد وظّف أبو السُّعُود هذه الظاهرة في تحليله أثناء مناقشته إبدال النكرة من المعرفة عند تعيين المقصود في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥-١٦]، ف(ناصية) بدل من (الناصية)، إذ قال: "بدلٌ من النّاصية وإنّما جازَ إبدالها من المعرفة وهي نكرةٌ لوصفها، وقُرئت بالرفع على هي ناصيةٌ وبالنصب وكلاهما على الذمّ والشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب المخطيء"^(٥).

١ - إرشاد العقل السليم: ١٩٢/١

٢ - إرشاد العقل السليم: ٥٩/٥.

٣ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١١٣/١.

٤ - ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٤٠٦/١، وإرشاد العقل السليم: ٧٧١/٢.

٥ - إرشاد العقل السليم: ١٦٨/١.

قال الزمخشري: "وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة؛ لأنها وُصِفَتْ فاستقلت بفائدة"^(١)، وهذا مذهب الكوفيين فهم لا يُجيزون إبدال نكرة من غيرها إلا بشرط وصفها أو كونها بلفظ الأول، ومذهب البصريين لا يشترط عندهم إبدال النكرة من المعرفة أن توصف خلًا لمن شرط ذلك من غيرهم، ولا أن يكون من لفظ الأول أيضًا خلًا لزعمهم"^(٢).

وأشار العكبري إلى تحليل هذه الآية المباركة بقوله: "وحسن إبدال النكرة من المعرفة لما نُعتت النكرة"^(٣)، واستطرد قائلاً: "وتبدل المعرفة من المعرفة ومن النكرة والنكرة من المعرفة إلا أنك إذا ابدلت النكرة من المعرفة فلا بُدَّ من صفة النكرة... لأنَّ المعرفة أُبين من النكرة فإذا لم تصف النكرة انتقض غرض البذل وإذا وصفتها حصل بالصفة بيان لم يكن بالمعرفة"^(٤)، وهذا يدل على أنَّ في وصف النكرة تخصيص وهو ما يقربها من المعرفة، وهذا ما سوغ إبدال النكرة من المعرفة "لأنَّ البيان مرتبط بهما"^(٥).

رابعًا: الإحالة بالضمير

الإحالة لغة: مصدر الفعل (أحال)، ويعني التَّحول والتَّغيير، ويقال: حال الشيء وأحال، أي تحول من حال إلى حال، وأحال الرجل تحول من شيء إلى شيء^(٦). أمَّا في الاصطلاح: فهي وسيلة من وسائل الاتساق -كما أشرنا- وربط أجزاء النَّصِّ وتماسكها، فهي تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النَّصِّ وتجسيدها، وخلق علاقات معنويّة من خلال تلك العناصر الإحاليّة"^(٧)، وقد أشار (روبرت دي بوجراند) في تعريفه للإحالة: "بأنها العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء

١ - الكشف: ٧٧٨/٤.

٢ - ينظر: البحر المحيط: ٥١١/١٠، والدر المصون: ٦٠/١١.

٣ - التبيان في إعراب القرآن: ١٢٩٥/٢.

٤ - اللباب في علل البناء والإعراب: ٤١٢/١.

٥ - البرهان في علوم القرآن: ٤٥٦/٢.

٦ - ينظر: تاج اللغة وصاح العربية: ١٦٧٩/٤، ولسان العرب: ١٨٩/١١ مادة (حول).

٧ - الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي: ١٤.

والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات^(١)، وهذا يعني أنّ العنصر المحال يعتمد على عنصر آخر محال إليه داخل النصّ أو خارجه لتحقيق الفهم الكامل، ولا يمكن استيعاب بعض عناصر النصّ إلا عن طريق ربطها بالسياق الخارجي أو عبر الارتباط بما يسبقه أو يلحقه داخل النصّ.

وقد تنبّه النّحاة القدماء إلى هذه الظّاهرة ودرسوها على مستوى الجملة، يقول الرّضيّ في كلامه عن الضّمير في جملة (ضرب غلامه زيد): "لا بدّ من متقدّم يرجع إليه هذا الضّمير تقدّمًا لفظيًا، أو معنويًا وهو راجع إلى زيد وهو متأخّر لفظًا، فلولا أنّه متقدّم عليه من حيث المعنى لم يجر، فجعله من باب المتقدّم معنى لا لفظًا"^(٢)، وقد برزت فكرة الإحالة عند ابن هشام الأنصاريّ، حيث ركّز على دور الضّمير في تحقيق الترابط النّصي بين الجمل، فقد ذكر تحت عنوان "روابط الجملة بما هي خبر عنه"^(٣).

والإحالة عند النّحويين واللّغويين هي: "الانتقال من عنصر كنائي إلى مرجع يفسّره، ذلك أنّ الكنائيات، كالضّمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، مبهمة من حيث دلالتها المعجميّة ولا يمكن التّواصل بها إلا إذا عرف مرجعها من داخل النصّ أو خارجه..."^(٤).

وذكر الباحث أحمد عفيفي أنّ الإحالة لا يمكن أن تتحقّق في النّصوص إلاّ في ضوء تضافر مجموعة من العناصر، وهي: المتكلّم أو الكاتب صانع النصّ، واللّفظ المحيل (العنصر الإحالي)، والمحال إليه (عنصر الإشارة)، والعلاقة بين اللّفظ المحيل والمحال عليه^(٥)، وقسم محمد خطّابي الإحالة على نوعين رئيسيين: "الإحالة المقاميّة، والإحالة النّصيّة، وتتفرّع الثّانية إلى: إحالة قبلية وإحالة بعدية"^(٦).

١ - النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند: ١٢٢.

٢ - شرح الرضي على الكافية: ٤٠٤/٢.

٣ - مغني اللبيب: ٦٤٧.

٤ - ورقات في لسانيات النص، رزيق بوزغاية: ٧٤.

٥ - ينظر: الإحالة في نحو النص: ١١-١٢.

٦ - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطّابي: ١٧.

وما يخصّ الدراسة والبحث في هذا الفصل الإحالة المقاميّة، وهي إحالة إلى ما هو خارج النصّ، وتستند إلى بيان دلالة النصّ عن طريق معرفة سياق الحال، والظروف الخارجيّة المحيطة بالنصّ، فيعرفها تمام حسان بقوله: "إحالة إلى خارج النصّ لعنصر من عناصر العالم"^(١)، ويحدّثها الأزهر الزناد بأنّها: "إحالة عنصر لُغوي إحصالي على عنصر إشاري غير لُغوي موجود في المقام الخارجي، ويمكن أن يشير عنصر لُغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله أو يحيل مجملًا، إذ يمثل كائنًا أو مربعًا موجودًا مستقلًا بنفسه فهو يمكن أن يحيل عليه المُتكلّم"^(٢)، فالإحالة المقاميّة تتضمن الإشارة إلى السّياق الخارجي الذي يستند إلى حضور المخاطب خارج النصّ، بحيث لا يكتمل النص ولا تتضح دلالاته إذا أغفل هذا الجانب.

وقد وظّف أبو السُّعود ظاهرة الإحالة بالضّмир خارج السّياق عن طريق المعطيات الضّمنية الواردة في النصّ، وقد لا يُذكر المرجع المحال عليه على الرغم من أن الأصل عوده على مذكور سابق أو لاحق له، وقد يؤوّل هذا المرجع من مفهوم الخطاب أو سياق الحال، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]، ذكر أبو السُّعود أنّ الضّмир في (فيها) عائد "للحياة الدّنيا وإن لم يجز لها ذكر لكونها معلومة، والتّقرّيط التّقصير في الشّيء مع القدرة على فعله..."^(٣)، وجاز أن يعود الضّмир إلى الحياة الدّنيا؛ لأنّ العقل دلّ على أن موضع التّقصير لا يكون إلّا في الدّنيا، فحسن عود الضّмир إليها لهذا المعنى^(٤).

ومنه -أيضًا- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحجر: ٢]، ذكر أبو السُّعود أنّ الضّмир (هو) راجع إلى غير مذكور في الكلام، إذ قال: "الضّмир راجع إليه تعالى بذلك العنوان إمّا بناءً على كمال ظهور اتّصافه

١ - اجتهدات لغوية: ٣٦٦.

٢ - نسيج النصّ، الأزهر الزناد: ١١٩.

٣ - إرشاد العقل السليم: ١٤٦/٣.

٤ - ينظر: مفاتيح الغيب: ٥١٤/١٢، والبحر المحيط: ٤٨٢/٤.

تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مُستعاراً لاسم الإشارة^(١)، فالضمير (هو) محال إلى غير مذكور في النص، وإنما يفهم من سياق المقام الخارجي.

قد ينشأ الإبهام بسبب تعدد الجهات التي يُنسب إليها العنصر الإشاري، ممّا يؤدي إلى تنوع في التفسيرات والاحتمالات، وعندئذٍ يُضطر المفسر إلى ترجيح أحد الخيارات استناداً إلى القرائن التي تحدّد المعنى الأرجح، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ذكر أبو السُّعود أنّ الضمير في ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعود للرسول (صلى الله عليه وسلّم) والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأنّ المراد ليس معرفتهم له (عليه السلام) من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطوراً في الكتاب منوعاً فيه بالنعوت التي من جملتها أنّه (عليه السلام) يصلّي إلى القبلتين، كأنّه قيل: الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه، وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم، وقيل: هو إضمار قبل الذكر للإشعار بفخامة شأنه (عليه الصلاة والسلام) أنّه علّم معلوم بغير إعلام فتأمل، وقيل: الضمير للعلم أو سببه الذي هو الوحي أو القرآن أو التحويل^(٢)، ورجح أبو السُّعود أنّ عنصر الإحالة (الضمير) في (يعرفونه) يعود للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بدليل قوله تعالى: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾، إذ قال: "أي يعرفونه (عليه الصلاة والسلام) بأوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم، ولا يشتبه عليهم كما لا يشتبه أبناءهم، وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم أعرّف عندهم منهم بسبب كونهم أحبّ إليهم"^(٣).

١ - إرشاد العقل السليم: ٢٢٩/٨.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٢١٢/١.

٣ - المصدر نفسه: ٢١٢/١.

وقد أشار الرّمخشري وغيره إلى أنّ إحالة الضّمير يعود على مضمّر، وإن لم يسبق للمحال إليه ذكر؛ لأنّ الكلام يدلّ عليه ولا يلتبس على السّامع، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار لشهرته^(١).

وذهب الرّازي إلى أنّ الضّمير يعود إلى الرّسول وهو أولى من غيره من الوجوه وذلك لأسباب^(٢):

١- أنّ الضّمير يعود إلى أقرب المذكورات العلم في قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥] والمراد من العلم النّبوة.

٢- أنّ الله تعالى ما أخبر في القرآن أنّ أمر تحويل القبلة مذكور بالتّوراة والإنجيل وأخبر فيه أنّ نبوة محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) مذكورة في التّوراة والإنجيل، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النّبوة أولى.

٣- أنّ المعجزات لا تدلّ إلّا على صدق محمّد(عليه الصّلاة السّلام)، فأما أمر القبلة فذلك إنّما ثبت لأنّه أحد ما جاء به محمد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) فكان صرف هذه المعرفة الى أمر النّبوة أولى.

وقد يحال الضّمير على مفسّر مدلول عليه بقرينة حسّية، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦]، ذكر أبو السّعود أنّ الضّمير(هي) محال على امرأة العزيز ولم يجر لها ذكر صريح، وفي التّعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاةً لحسن الأدب مع الإيماء إلى الإعراض عنها^(٣)، وذهب ابن مالك إلى أنّ الضّمير عائد على محذوف مستغنى عنه بحضور معناه في الحسّ^(٤)، أي هو عائد على(زليخة) زوج العزيز، وقد حذف لحضور مدلوله

١ - ينظر: الكشف: ٢٠٤/١، ومفاتيح الغيب: ١١٠/٤، والبحر المحيط: ٣٢/٢.

٢ - ينظر: مفاتيح الغيب: ١١٢/٤.

٣ - ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٩٦/٤.

٤ - ينظر: شرح التسهيل: ١٥٣/١.

حسًّا؛ لأنَّ النَّبِيَّ يوسف (عليه السَّلام) لم يصرِّح باسمها؛ لأنَّها كانت حاضرة معه في ذلك المجلس، فأغنى ذلك عن التَّصريح باسمها^(١).

وما يدلُّ عليه المقام (سياق الحال) إحالة الضَّمير على غير مذكور في السِّياق، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، ذكر أبو السُّعود الضَّمير في (منها) و(فيها) لم يتقدَّم له مفسِّر يعود عليه إلَّا ما يفهم من المقام، فهو عائد إلى الجَنَّة، أو إلى زمرة الملائكة المعزَّزين، فقال: "فاهبط من الجَنَّة، والإضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها... وقيل من زمرة الملائكة المعزَّزين فإنَّ الخروج من زمرة هبوط وأيّ هبوط... ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ أي في الجَنَّة أو في زمرة الملائكة"^(٢).

وذهب الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ الضَّمير في (فيها) عائد إلى (السَّماء)، إذ قال: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من السَّماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة، إلى الأرض التي هي مقرَّ العاصين المتكبرين من النُّفوس^(٣)، وهذا الوجه ضعفه أبو السُّعود بقوله: "وأما ما قيل من أنَّ المراد الهبوط من السَّماء فيردَّه أنَّ وسوسته لآدم (عليه السَّلام) كانت بعد هذا الطرد فلا بُدَّ أن يُحمل على أحد الوجهين قطعًا وتكون وسوسته على الوجه الأول بطريق النداء من باب الجَنَّة"^(٤).

ويمكن القول إنَّ الإحالة بالضَّمير تؤدي وظيفة جوهريَّة في تحقيق ارتباط النَّصِّ بالمقام الخارجي، حيث تُسهم في تماسك النَّصِّ وربط عناصره الدَّاخليَّة، وهذا يستدعي من المفسِّر النَّظر خارج النَّصِّ لمعرفة المحال إليه، ممَّا يفتح المجال لتعدّد التَّأويلات التي يصل إليها، وتعدّ الإحالة بالضَّمائر الوسيلة الأكثر قوَّة في صنع التَّماسك للنَّصِّ القرآني، والوسيلة الأكثر قدرة على تحقيق التَّآلف على امتداد النَّصِّ القرآنيِّ بأكمله.

١ - ينظر: همع الهوامع: ٢١٩/١.

٢ - إرشاد العقل السليم: ٢٤٩/٣.

٣ - الكشف: ٩٠/٢.

٤ - إرشاد العقل السليم: ٢٤٩/٣.

الخاتمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وآله الطيبين المنتجبين، وبعد، في ختام مسيرة هذا البحث الموسوم بـ(التحليل النحوي في تفسير أبي السُّعُود(ت ٩٨٢هـ) دراسة في ضوء نظرية القرائن) توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

١- اعتمد أبو السُّعُود في تحليلاته النحوية للآيات القرآنية على عدد من العلوم والمعارف الأساسية- من لغة وصرف ونحو وفقه وقراءات قرآنية- التي كان لا بُدَّ من الاعتماد عليها في كل دراسة نحوية، فضلاً عن ذلك أنه كان فقيهاً بارعاً وأصولياً وعالمًا موسوعياً وشاعراً ومفسراً، وهذا ما يتجلى بوضوح في كثرة مؤلفاته التي درست في ميادين معرفية متنوعة.

٢- كشفت الدراسة أن أبا السُّعُود يتميز بثقافة واسعة في توجيه المعنى، حيث برزت شخصيته بوضوح في انتقائه للآراء وتفنيد بعضها مدعوماً بالتعليل والتفسير، وقد اعتمد في صياغة أحكامه على ألفاظ دقيقة تعبّر عن القبول والاستحسان، مثل: (الأولى)، و(الأظهر)، و(الأليق بجزالة النظم)، وغيرها، إلى جانب عبارات تظهر التضعيف والرفض، كقوله: (ليس بسديد)، و(فلا يليق)، و(مخل بالنظم)، مما يعكس وعيه العميق بأدق التفاصيل اللغوية.

٤- أظهرت الدراسة الأثر البارز لأبي السُّعُود في نظرية القرائن اللغوية بمختلف جوانبها وتفرعاتها، وقد تجلّى ذلك بوضوح في تطبيقاته التحليلية عند معالجته للنصوص القرآنية، حيث أظهر وعيه بالقرائن اللغوية واستثمارها في تفسير العلاقات بين الوظائف النحوية، والكشف عن بنيتها الداخلية.

٥- أثبت البحث أن قرينة الوقف قرينة كبرى في توجيه المعنى، فبسلب هذه القرينة من النص يسير المعنى على غير ما تحتل صحته، ولا سيما أن النص القرآني قد حمل في تركيبه ما يوحي إلى الاحتمال في التحليل النحوي.

٦- أوضحت الدراسة أن قرينة التنغيم تؤدي أثراً مهماً في توجيه المعنى، فهي تميز بين المعاني النحوية المختلفة للجملة الواحدة، ويجب مراعاة قوالب التنغيم الخاصة بكل جملة في النطق، ويمكن في ضوء التنغيم التمييز بين العديد من وظائف

المفردات والعبارات، فالإطار الصوتي للكلمة والجُملة في سياق النّظم يساعد على فهم العلاقات والمعاني التركيبية.

٧- أثبت البحث أنّ العلامة الإعرابية من القرائن التركيبية المهمة في توجيه المعنى لدى أبي السُّعود، وقد استثمرها لفتح المجال أمام الاحتمالات المختلفة للمعاني التي تدلّ عليها في توجيه النّصّ، فيعرض الكلمة على ما ورد فيها من قراءات مختلفة، محاولاً أن يجعل النّصّ الكريم شاملاً لأكثر عدد من المعاني المحتملة.

٨- بيّن البحث أن لقرينة الرتبة المحفوظة أثراً كبيراً في توجيه المعنى، وقد أخذت أشكالاً مختلفة في التأثير على معنى النّصّ، ونظمت السّياق الوظيفي في التركيب القرآني، وساعدت على فهم المعنى، وأمن اللبس.

٩- رصد البحث أنّ قرينة الرّبط تنماز عن باقي القرائن اللفظية بأنّها تُعين على صحة التّحليل وفهم التراكيب، وتنشئ علاقات نحوية سياقية بين مكونات الجُملة، وترتبط السّياق بعضه مع بعض.

١٠- كشفت الدّراسة أنّ أبا السُّعود أدرك أهميّة التّلازم بين العنصرين المتضامّين، وفي بعض الأحيان قد تتفصل روابطه، إذ يمكن إدراج كلمة أو جملة بين العنصرين المتضامّين، وذلك مع متطلبات السّياق الذي يستدعي أحياناً حذف أحد الرّكنين الرّئيسيين في الجُملة لتحقيق الهدف الذي يسعى إليه المتكلّم.

١١- أظهر البحث أن توجيه المعنى يظهر الدّقة في اختيار قرينة الأداة المناسبة للكشف عن المعنى، وقد وظّفها أبو السُّعود في تفسيره، حيث وقف عندها وبين دلالتها الزّمنية، فاتّضح أنّه يمتلك رؤية تحليلية عميقة تجسّد فهمه الواعي لطبيعة اللّغة وسياقاتها سواء أكان ذلك في السّياق القرآني أم اللّغوي بشكل عام.

١٢- أوضحت الدّراسة أهميّة القرائن المعنوية في بيان المعنى المراد ومنها قرينة الإسناد التي تربط ركني الجُملة في محور العملية الكلامية، والتي تُعين على توجيه المعنى بربط الكلمات بعضها ببعض لتؤدّي معنى يحسن السّكوت عليه.

١٣- تمكّن أبو السُّعود من أن يعطي دلالات دقيقة لقرينة التّخصيص في توجيه المعنى أو الوظيفي للأسماء المنصوبة، ممّا جعل هذه القرينة أداة أساسية لفهم النّصّ القرآني بعمق ووضوح.

١٤- أظهر البحث أنّ لقرينة التَّبعية أثراً كبيراً في توجيه المعنى عند أبي السُّعود، ولا سيّما إذا تضافرت معها قرائن لفظية أخرى ك(العلامة الإعرابية)، فالتّابع في الجملة يحدّ من معنى المتبوع ويخصّصه، ممّا يُضيق من شموليته، وبهذا ينتقل المعنى تدريجياً من العموم إلى الخصوص، ومن الاطلاق إلى التقييد، إذ يعكس تعبير المُتكلّم مع مقصده وفهمه الدّقيق.

١٥- توصل البحث إلى أنّ قرينة النّسبة تؤدّي أثراً كبيراً في توجيه المعنى سواء عن طريق الإضافة أم حروف الجرّ، وقد وظّف أبو السُّعود هذه القرينة في تفسيره، ممّا يعكس فهمه العميق في ضوء تقييد العلاقة بين المضاف والمضاف إليه، وربط الحدث بالاسم المجرور.

١٦- اعتمد أبو السُّعود على السّياق غير اللُّغوي (سياق الحال) في توجيه المعنى، مبرزاً أهميّة أسباب النّزول بوصفها الأحداث والظّروف المحيطة بالنّص القرآني، وبيان أهمّيتها في توجيه المعنى.

١٧- بيّن البحث أهميّة مراعاة سياق الحال في توجيه المعنى، فقد يلجأ المُتكلّم إلى استعمال الأساليب المجازيّة بغية التّأثير في المُخاطب وجذب انتباهه، بينما يعتمد في أحيان أخرى على معرفة المُخاطب لفهم المعاني الوظيفيّة للعناصر التّركيبية.

١٨- أوضحت الدّراسة أنّ ظاهرة الحذف والتّقدير شكّلت مجالاً لسّياق الحال عند أبي السُّعود أثناء تحليله للنصوص القرآنيّة، مستدلاً بالمذكور على المحذوف بحسب ما يقتضيه المقام.

١٩- أثبت البحث أنّ ظاهرة الإحالة بالضّمير تؤدّي أثراً جوهرياً وبارزاً في تحقيق ارتباط النّص بالمقام الخارجيّ (سياق الحال)، إذ تُسهم في تماسك النّص وربط عناصره الدّاخلية.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٦٥م.
- الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، د. حليلة أحمد عمارة، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ط ١، ٢٠٠٦م.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت ١١١٧هـ)، تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٧م.
- الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الإثبات بالقرائن في الفقه الإسلامي، إبراهيم الفائز، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٩٨م.
- اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠٧م.
- الإحالة في نحو النص، د. أحمد عفيفي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط ١، د. ط.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٣٧م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق ودراسة: د. رجب عثمان محمد، ود. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

المصادر والمراجع:.....

- الأزمنة والأمكنة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد - الهند، ١٣٣٢هـ.
- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- أسباب النزول، الحسن بن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام - السعودية، ط ٢، ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م.
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د. ط، د. ت.
- أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٥م.
- أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، محمد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- الاشتقاق، عبد الله أمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- إشكالية المعنى في الجهد التفسيري دراسة في ضوء مستويات اللغة (تفسيرًا وتأويلًا)، د. نجاح فاهم العبيدي، نون للطباعة الحديثة، بغداد، د. ط، ٢٠١٦م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط ٥، ١٩٧٥م.
- الأصول (دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، ١٩٨٨م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل البغدادي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٩٨٨م.

المصادر والمراجع:.....

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د. ط، ١٩٧٨م.
- إعراب القراءات السبع وعللها، أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، ضبط نصه وعلق عليه، أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن النحاس (ت ٣٣٨هـ)، وضع وتعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص - سورية، ط ٤، ١٤١٥م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٨م.
- الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٧٢م.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، د. حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠٣م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تقديم ووضع: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٣م.
- الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب النحوي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق ودراسة: د. موسى بناي العلي، أحياء التراث الاسلامي، العراق، ١٩٧٦م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط ٣، د. ت.
- ايضاح الوقف والابتداء، محمد بن القاسم، أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١م.
- البحث الدلالي في كتب معاني القرآن لأبي عبيدة والأخفش والفراء، د. عمّار الدّوّ، عالم الكتاب الحديث، أربد - الأردن، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- البحث النحوي عند الأصوليين، د. مصطفى جمال الدين، دار الهجرة، إيران - قم، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.

المصادر والمراجع:.....

- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد الزمكاني (ت ٦٥١هـ)، تحقيق: د. خديجة الحديثي، ود. أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٧٤م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٧٩م.
- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط ٢، ١٩٩٧م.
- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠٣م.
- البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، تومان غازي الخفاجي، دار تموز، دمشق - سورية، ط ١، ٢٠١٢م.
- البنى النحوية، نعوم شومسكي، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، ط ١، ١٩٨٧م.
- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسّان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م.
- البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، القاهرة - مصر، ط ٥، ١٩٨٥م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي، الكويت، ط ١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

- تأريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد الله بن عبد القادر العيدروسي، تحقيق: محمد رشيد أفندي، مطبعة الفرات، بغداد - العراق، ط ١، ١٩٣٤م.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، د. ت.
- التبصرة في أصول الفقه، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط ١، د. ت.
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الاسلامي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٢٠٩هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤م.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية)، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط ٢، ٢٠١١م.
- التحليل النحوي أصوله وأدلتها، د. فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط ١، ٢٠٠٢م.
- تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريد للنشر، الرياض - السعودية، ط ١، د. ت.

المصادر والمراجع:.....

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د. ط، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د. ط، ١٩٨٨م.
- التطور اللغوي، مظاهره وعمله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط٣، ١٩٩٧م.
- تعدُّد الأوجه في التحليل النحوي، د. محمود حسن الجاسم، دار النّـمير للطباعة والنّـشر، دمشق- سورية، ط١، ٢٠٠٧م.
- التّعريفات، علي بن محمّد بن علي الحسيني الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- التعريف والتذكير في النحو العربي، دراسة في الدلالة والوظائف النحويّة والتأثير في الأسماء إعراباً وبناءً، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د. ط، ١٩٩٩م.
- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، د. ط، د. ت.
- التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة الأفاضل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار العماد للدراسات والبحوث الإسلامية، دمشق- سوريا، ط١، ٢٠١٣م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.

المصادر والمراجع:.....

- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة - مصر، ط ١٩٦١، ١م.
- التفكير العلمي في النحو العربي (الاستقراء - التحليل - التفسير)، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٢م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط ٢، ١٩٨٦م.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٥م.
- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، شرح شواهد الكشاف، محب الدين أفندي، تقديم: عبد الله بن محمد بن خميس، دار الخضرمة للنشر والتوزيع، ط ١، د. ت.
- التنعيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم وحيد العزاوي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٠م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- التّوابع في الجملة العربيّة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الزّهاء، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٩١م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، بدر الدين الحسن بن القاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المطبعة العصرية، صيدا - بيروت، د. ط، ٢٠٠١م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن يزيد بن خالد الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ٢٨، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي بن عبد الرسول نكري، تعريب: حسن هاني فحص، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.

المصادر والمراجع:.....

- الجَامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- الجملة الاسمية عند ابن هشام الأنصاري، د. أميرة علي توفيق، مكتبة الزهراء - القاهرة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان - الأردن، ط ٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧ م.
- الجملة العربية، مكوناتها - أنواعها - تحليلها، د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠١ م.
- الجملة العربية والمعنى، الدكتور فاضل السامرائي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- الجملة الوصفية في النحو العربي، د. شعبان صلاح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- الجمل في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٢ م.
- الجواز النحوي ودلالة الإعراب على المعنى، مراجع عبد القادر الطلحي، جامعة قار يونس، بنغازي - ليبيا، ط ١، د. ت.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، مطبعة الاعتماد، مصر، ط ١٠، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠ م.
- حاشية الخصري على ألفية ابن مالك، محمد الديماطي الخصري (ت ١٢٨٧هـ)، شرحها وعلق عليها: تركي فرحان مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٩٨ م.

المصادر والمراجع:.....

- حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصَّبَّان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الحجة في علل القراءات السبع، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (توفي في حدود سنة ٤٠٣هـ) تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٩٧٨م.
- الحجة للقرآن السبعة، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاوي، مراجعة: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق - بيروت، ط ٢، د. ت.
- الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، د. ط، ١٤١١هـ.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: د. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة، مصر، ط ٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.

المصادر والمراجع:.....

- دراسة المعنى عند الأصوليين، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ط، د. ت.
- دروس في علم الأصول بثوبها الجديد، محمد باقر الصدر، ومحمد كاظم الحسيني الحكيم، دار الكتاب الحكيم للنشر والتوزيع، د. ط، ١٣٩٨هـ.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة - السعودية، ط ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م.
- دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، د. بتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية، العراق - بغداد، ط ١، ١٩٩٩م.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٧٢م.
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د. علي جابر المنصوري، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٢م.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط ١، ٢٠٠٧م.
- الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، دار الضياء، عمان، د. ط، ١٩٨٥م.
- الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، د. محمد سالم صالح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.
- الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، ط ١، د. ت.
- دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، د. لطيفة إبراهيم النجار، دار البشير، عمان - الأردن، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٧٤م.

المصادر والمراجع:.....

- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د.نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٦م.
- ديوان حاتم الطائي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د. ط، ١٩٧٤م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٦٦م.
- ديوان لبید بن ربيعة العامري، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت- الكويت، د. ط، ١٩٦٢م.
- الربط بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة، د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، د. ط، ٢٠٠٨م.
- الرخصة النحوية، د. شوكت علي عبد الرحمن درويش، عمان - الأردن، د. ط، ٢٠٠٤م.
- الرد على النحاة، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨١م .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١، ١٣٩٤هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ.
- رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٦م.
- الزّمن في النّحو العربيّ، د. كمال إبراهيم بدري، دار أمية للنشر والتّوزيع، الرياض- السعودية، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

المصادر والمراجع:.....

- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، تحقيق: داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، عمان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة، د. أسعد خلف العوادي، دار الحامد للنشر والتوزيع، أربد - الأردن، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد، أبو الفلاح الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني (ت ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- شرح ألفية ابن مالك، محمد بن جمال الدين محمد بن مالك ابن النّاطم (ت ٦٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.
- شرح ألفية ابن معط، أحمد بن يوسف بن مالك الغرناطي (ت ٧٧٩هـ)، تحقيق: علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، ط ١، ١٩٨٥م.
- شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الطائي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٩٩٠م.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- شرح جمل الزجاجة، علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

المصادر والمراجع:.....

- شرح الدماميني على مغني اللبيب، محمد بن أبي بكر الدماميني (ت ٨٢٨هـ)، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الأسترباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي - ليبيا، ط ٢، ١٩٩٦م.
- شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترباذي، ركن الدين (ت ٧١٥هـ)، تحقيق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، د. ط، د. ت.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ١١، ١٣٨٣هـ.
- شرح الكافية، محمد بن الحسن رضي الدين الأسترباذي (ت ٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران، د. ط، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة - السعودية، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق: د. المتولى رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.

- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين أبو البقاء ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.
- شرح المقدمة المحسبة، طاهر أحمد بن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ)، تحقيق: خالد عبد الكريم، الكويت، ط ١، ١٩٧٦م.
- شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت ٨٠٧هـ)، ضبطه وخرج آياته وشواهد الشعرية: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٢٢هـ)، مؤسسة دار البيان العربي، ودار الهادي، بيروت- لبنان، ط ٤، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، د. عبد السلام السيد حامد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
- الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسانئها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، محمد علي بيضون، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الصرف الوافي دراسات وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- الضمائر في اللغة العربية، د. محمد عبد الله جبر، دار المعارف، ط ١، ١٩٨٣م.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت: ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية- مصر، ١٩٩٦م.

المصادر والمراجع:.....

- العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب، د. ممدوح عبد الرحمن الرمالي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٦م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، بهاء الدين السبكي(ت٧٧٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندأوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (في ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)، علي بن بالي الأيديني(ت٩٩٢هـ)، تصحيح: سيد محمد طباطبائي، مركز اسناد مجلس شورى اسلامي- طهران، د. ط، ١٣٨٩هـ.
- العلاقات الدلالية والتراث البلاغي، العربي(دراسة تطبيقية)، د. عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- العلاقة بين العلامة الإعرابية والمعنى في كتاب سيويه، د. إبراهيم بركات، مكتبة الخانجي، مصر، د. ط، ١٩٨٣م.
- علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم، د. محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله الوراق(ت٣٢٥هـ)، تحقيق: محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢م.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢م.
- علم الدلالة إطار جديد، ف.ر. بالمر، ترجمة: د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية- مصر، ط١، ١٩٩٥م.
- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، د. هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد- الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

المصادر والمراجع:.....

- علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية، د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م.
- علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٩٧٥م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار المعارف، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، د. بسيوني عبد الفتاح فيّود، مؤسسة المختار - القاهرة، دار المعالم الثقافية - الاحساء، ط ١، ١٩٩٨م.
- علم النحو العربي رؤية جديدة وعرض نقدي مفاهيم ومصطلحات، د. صبري متولي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١م.
- العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسّة المصري (ت: بعد ١٣٦٧هـ)، تحقيق: محمد الصادق قماوى، دار العقيدة، الإسكندرية، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي، تحقيق: آقا مجتبی العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم - إيران، ط ١، ١٩٨٥م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت.
- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف الجزري (ت ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - سوريا، ط ١، ١٤١٤هـ.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، الشهير بالجمال (ت ١٢٠٤م)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٥، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

المصادر والمراجع:.....

- فصول في علم الدلالة، د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط٣، ٢٠١١م.
- فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٦، ١٩٩٩م.
- فضل علم الوقف والإبتداء، عبد الله علي الميموني، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- فقه اللغة العربية، د. كاصد الزبيدي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن ط١، ١٤٢٥م- ٢٠٠٤م.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية مع التعليقات السنية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، تصحيح وتعليق: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، القاهرة - مصر، ط١، ١٣٢٤هـ.
- الفوائد الضيائية المعروف بـ(شرح الجامي)، للشيخ العارف نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي(ت٨٩٨هـ)، مكتبة المدينة للطباعة والنشر والتوزيع، كراتشي- باكستان، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- في البلاغة العربية، علم المعاني-البيان-البديع، د. عبد العزيز عتيق، در النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- في جمالية الكلمة، دراسة بلاغية نقدية، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، ٢٠٠٢م.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، د. خليل أحمد عمايرة، علم المعرفة للنشر والتوزيع، جدّة- السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

المصادر والمراجع:.....

- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه، د. لطيف حاتم الزامل، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٤.
- القرينة في اللغة العربية، د. كوليزاد كاكل عزيز، دار دجلة، عمان، ط ١، ٢٠٠٩م.
- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، أحمد البايبي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، أربد- الأردن، د. ط، ٢٠١٢م.
- كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار، محمود بن سليمان الحنفي الرومي الكفوي (ت ٩٩٠هـ)، تحقيق: مجموعة من العلماء، مكتبة الإرشاد، اسطنبول- تركيا، ط ١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بـ(سيبويه) (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- كتاب الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد المحوي الهروي (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ط، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، أبو الفضل أحمد بن علي المنتجب الهمداني (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق: مهراڤ محمود الزعبي، ومحمود بشار العبيدي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م.

المصادر والمراجع:.....

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- كشف المشكل في النحو، أبو الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي الملقب بحيدرة اليميني (ت ٥٩٩هـ)، قراءة وتعليق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ط ٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الكنز في القراءات العشر، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر الواسطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م.
- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩١م.

- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٠م.
- لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٦٨م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ١٩٩٤م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق - بغداد، ط ١، ١٩٨٧م.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠٧م.
- مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، الدار العربية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١١م.
- المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨١م.
- المتبع في شرح اللمع، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد حمد محمد الزوي، جامعة قار يونس، بنغازي، ط ١، ١٩٩٤م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، ط ١، ١٣٨١هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د. ط، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٤م.

المصادر والمراجع:.....

- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت - لبنان، ط ٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني - علم البيان - علم البديع، د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- مدخل إلى علم الدلالة، فرانك بالمر، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ١٩٩٧م.
- مدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سورية، ط ٢، ١٩٩٩م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، دار المعرفة، بغداد، د. ط، ١٣٧٤هـ - ١٩٩٥م.
- مراعاة المخاطب في النحو العربي، د. بان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمارة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١، ٢٠٠٤م.

المصادر والمراجع:.....

- المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ط ١، ١٣٢٢هـ.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، عبد العزيز محمد حسن، دار الثقافة العربية، د. ط، ٢٠٠٠م.
- المعالم الجديدة للأصول، محمد باقر الصدر، مكتبة النجاح، طهران، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصّابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- معاني القرآن، علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)، تحقيق: د. عيسى شحاته عيسى، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، ١٩٩٨م.
- معاني القرآن، يحيى بن زياد بن عبد الله، أبو زكريّا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د. ط، د. ت.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

المصادر والمراجع:.....

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، د. ت، د. ط.
- المُعجب في علم النحو، رؤوف جمال الدين، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- المعجم الأصولي، محمد صنقور، منشورات الطيار، ط ٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. أحمد فتح الله، مطابع المدخول، الدمام، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٣٩٧ - ١٩٧٧م.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
- معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم للألفاظ العربية والإنجليزية والفرنسية واللاتينية، د. محمد فتحي عبد الله، دار الوفاء - الاسكندرية، ط ١، ٢٠٠٣م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. مطبعة القدس، قم - إيران، د. ط، ١٣٨٦هـ.
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

المصادر والمراجع:.....

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، دار أمواج ودار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المعنى وظلال المعنى، د. محمّد محمّد يونس علي ، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط٢، ٢٠٠٧م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمّد عليّ حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الرّأغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الدّار الشّاميّة - بيروت، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار طيبة، ط١، ١٩٨٥م.
- المفصل في صناعة الإعراب، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملح، مكتبة الهلال ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- المفصل في شرح المفصل، علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د. يوسف الخشكي، وزارة الثقافة، عمان، ط٢، ٢٠٠٢م.
- مفهوم الجملة عند سيبويه، د. حسن عبد الغني الأسدي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
- مقالات في اللغة والآدب، د. تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

المصادر والمراجع:.....

- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - العراق، ط ١، ١٩٨٢م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط ١، د. ت.
- مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط ١، ١٩٩٩م.
- المقرب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(ت٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني- بغداد، ط ١، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
- المكتفى في الوقف والابتداء، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- من أسرار التعبير في القرآن الكريم صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين، الرياض - السعودية، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- من أسرار الجمل الاستئنافية، دراسة لغوية قرآنية، أيمن عبد الرزاق الشوا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٨٥م.
- من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن عبد الكريم الأشموني(ت١١٠٠هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٨م.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسّان، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠م.
- المنصف، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(ت٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث القديم، ط ١، ١٩٥٤م.

المصادر والمراجع:.....

- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٦ م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠ م.
- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د. نوزاد حسين أحمد، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط ١، ١٩٩٦ م.
- من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦ م.
- موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
- موسوعة النحو والصرف والإعراب، د. إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- الموقعية في النحو العربي، دراسة سياقية، د. حسين رفعت حسين، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجد، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود علي إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٢ م.
- النحو المصقّى، د. محمد عيد، مكتبة الشباب، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٨٢ م.
- النحو الوافي، عباس حسن، منشورات ناصر خسرو، قم، ١٤٢٢ هـ.
- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

المصادر والمراجع:.....

- نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، د. ط، د. ت.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د. ت، د. ط.
- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة، د. مصطفى حميدة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر - لونجمان، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.
- نظريات الإعلام، بسّام عبد الرحمن المشاقبة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١، ٢٠١١م.
- نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، د. المثني عبد الفتاح محمود، دار وائل، عمّان - الأردن، ط ١، ٢٠٠٨م.
- نظرية نحو الكلام، رؤية عربية أصيلة، د. كريم حسين ناصح الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٤م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ط، د. ت.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق: الأستاذ يوسف بلحبيب، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، اسماعيل باشا البغداديّ (ت ١٣٣٩هـ)، عناية، وكالة المعارف، استانبول - تركيا، ١٩٥١م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ورقات في لسانيات النص، رزيق بوزغاية، دار المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- الوظائف الدلالية للجملة العربية دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق، محمد رزق شعير، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الوقف في العربية، د. محمد خليل مراد الحربي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط ٣، ٢٠١٠م.
- ثانيًا: الرسائل والأطاريح الجامعية:
- أبو السُّعود ومنهجه في النّحو من خلال تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم أنموذجًا، عماد أحمد سليمان، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م.
- أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، أحمد خضير عباس، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة الكوفة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- أمن اللبس في النحو العربي دراسة في القرائن، بكر عبد الله خورشيد، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبي السُّعود (ت ٩٨٢هـ)، زينب عبد الحسين بلال السلطاني، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٥م.
- التحليل النحوي عند ابن جني في ضوء النظرية التحويلية والقرائن، صالح موجد الزبيدي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

المصادر والمراجع:.....

- التوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي، علامات الإعراب والبناء أنموذجا، عقيل رحيم اللامي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب-جامعة بغداد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
 - التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تفسير أبي السُّعود العمادي، خالد خجيل الدهيسات، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة- الأردن، ٢٠١١م.
 - ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، حسين عباس، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٣م.
 - قرائن الإعراب والصيغ والمطابقة في اللغة العربية، أمل باقر عبد الحسين، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة - كلية الآداب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
 - القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني، عدوية عبد الجبار كريم الشرع، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
 - قرينة المطابقة في النحو العربي، محمد بن صالح، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٩م.
 - القرينة وأثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيث، قصي سمير العزاوي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية_ الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣م.
 - الوصفية في اللسانيات العربية الحديثة، حيدر غضبان محسن، أطروحة دكتوراه، كلية التربية (صفي الدين الحلي)، جامعة بابل، ٢٠١٠م.
 - الوقف عند ابن جني دراسة صوتية دلالية، محمد أحمد محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس - القاهرة، كلية التربية، قسم اللغة العربية والدراسات، ٢٠٠٩م.
- رابعًا: البحوث والدراسات العلمية:
- الأداء الصوتي في العربية، رشاد محمد سالم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية-الإمارات العربية المتحدة، المجلد (٢)، العدد (٢)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
 - الأنماط التحليلية في الجملة الاستفهامية العربية، د. سمير شريف ستيتية، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية، المجلد (١٨)، العدد الأول، بغداد، ١٩٨٩م.

المصادر والمراجع:.....

- تحويل الأبنية الصرفية في (مجاز القرآن)، د. علي عبد الله العنبي، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد (٣)، ٢٠٠٣م.
- التنعيم ودلالات التركيب، نوزاد حسن أحمد، مجلة كلية الآداب والعلوم، جامعة قار يونس، ١٩٩٧م.
- التنعيم ودوره في التحليل اللغوي، عبد الحميد السيد، مجلة دراسات، المجلد (١٩)، العدد (٢)، ١٩٩٢م
- الحذف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. سالم عبد الخالق السكري، كلية أصول الدين - القاهرة، جامعة الأزهر، المجلد (٣٠)، العدد (٣٠)، ٢٠١٧م.
- الخلاف في الزمن في ضوء السياق والحال وأسباب النزول، د. كريم حسين ناصح، وم.م. شيماء رشيد محمد، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد (٧٥)، ٢٠١٢م.
- خواص صوتية تمتاز بها العربية، كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، العدد (٧١)، ١٩٩٢م.
- الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، عبد الكريم مجاهد عبد الرحمن، مجلة الفكر العربي، العدد (٢٦)، ١٩٨٢م.
- الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي، د. كاصد الزيدي، جامعة الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد (٢٦)، ١٩٩٥م.
- العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، دراسة تطبيقية، د. عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الاسكندرية - مصر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، د. عمر أبو نواس، المجلة الأردنية في اللغة العربية، المجلد (٧)، العدد (٧)، ٢٠١١م.
- القرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي، د. تمام حسان، مجلة اللسان العربي، المملكة المغربية، المجلد (١١)، ١٣٨٤هـ - ١٩٧٤م.
- القرينة الصوتية وأثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش، فراس فخري، وقصي سمير، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد (١٨)، ٢٠١٤م.

المصادر والمراجع:.....

- قضايا صوتية في النحو العربي، طارق عبد عون الجنابي، مجلة مجمع العلمي، العراقي، الجزء (٢-٣)، المجلد (٣٨)، ١٩٨٧م.
- المتكلم وأثره في بناء القاعدة النحوية في كتاب سيبويه، د. بان صالح الخفاجي، كلية التربية للبنات - جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب، العدد (٩٧).
- مراعاة قصد المتكلم في التوجيه النحوي، د. عادل فتحي رياض، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد (٥٨)، ٢٠١٦م.
- مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، د. كريم حسين ناصح الخالدي، مجلة المورد، المجلد (٣٠)، العدد (٣)، ٢٠٠٢م.
- نشأة الخلاف في النحو بين البصريين والكوفيين، مصطفى السقا، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء (١٠)، مطبعة التحرير، ١٩٥٨م.
- النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان (اللغة العربية منعها ومبناها)، محمد صلاح الدين الشريف، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (١٧)، ١٩٧٩م.
- نظرية القرائن في التحليل اللغوي، خالد بسندي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد (٤)، العدد (٢)، ٢٠٠٧م

الملخص:

فإنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتعالى قد خَصَّ كتابَهُ الكريمَ بضُرُوبِ الإعجازِ، فأبهرتْ آيَاتُهُ لُبابَ العقولِ؛ بما امتلكهُ من دِقَّةِ التعبيرِ، وجمالِ الأسلوبِ، وبراعةِ التركيبِ وعذوبةِ الألفاظِ، وبما لها من نَعَمٍ وجَرَسٍ وإيقاعٍ موسيقيٍّ لم يُؤتَ غيرُهُ من الكَلِمِ ما أُوتِيَ، فقد تحدَّى فصحاءَ العربِ أن يأتوا بآيةٍ من مثله، فعجزوا، وأمرهم بتدبره، فاغترفوا من بحرٍ زاخرٍ لا يُعَلَمُ قَرارُهُ، ولا تنقضي دُرَرُهُ، ولا تنتهي أسرارُهُ، وعجائبُهُ، فسعى العلماءُ والباحثونَ إلى دراستِهِ، مستكشفين أسرارَهُ العميقةَ، ومُحلِّلينَ تراكيبَهُ وألفاظَهُ.

ولم يَكُنِ الوصولُ إلى معنى آياتِ القرآنِ الكريمِ وتحليلها إلاَّ بدليلٍ، أو قرينةٍ يُستَدَلُّ بها على صحَّةِ المعنى ودِقَّتِهِ، ولذلك أخذَ المُفسِّرونَ بكلِّ دليلٍ يُوصِلُ إلى المعنى سواءً كانَ هذا الدليلُ صوتيًّا، أم صرفيًّا، أم نحويًّا، أم دليلًا حاليًّا مُصاحبًا للنصِّ يُفهمُ من السياقِ.

فالقارئُ تمثَّلَ العنصرَ المحوريَّ في النصِّ، فنَبَّهَ العِلاقاتُ السِّياقيَّةُ الَّتِي تتكاملُ لتوجيهِ المعنى وتحديدِ الدِّلالةِ المقصودةِ، ولا يَمكُنُ إدراكُ هذا المعنى داخلَ التركيبِ النَّصِّيِّ للقرآنِ الكريمِ إلاَّ في ضوءِ القرائنِ الَّتِي تُعدُّ مخزونًا للقواعدِ اللُّغويَّةِ في الكشفِ عن طبيعةِ العلاقاتِ بين عناصرِ النَّصِّ وأجزائه المختلفةِ، وقد أشارَ اللُّغويونَ القدماءُ إلى هذه الظَّاهرةِ، وأفادَ منها البلاغيونَ والمفسِّرونَ والمَناطِقَةُ والأصوليونَ، حيثُ كانت عندهم من أبرزِ أدواتِ التَّحليلِ لفهمِ المعنى وتوجيههِ.

ونظرًا لطبيعةِ الدِّراسةِ، فقد اعتمدتْ المنهجُ الوصفيُّ التَّحليليُّ في دراسةِ المادَّةِ العلميَّةِ، وقد اقتضتْ طبيعةَ الموضوعِ ومادئُهُ العلميَّةُ أن تكونَ الدِّراسةُ على ثلاثةِ فصولٍ مسبوقَةٍ بتمهيدٍ، وتليها خاتمةٌ تضمَّنتْ أهمَّ النَّتائِجِ الَّتِي توصلَ إليها البحثُ.

وقد درستُ في التَّمهيدِ ثلاثةَ محاورٍ أساسيَّةٍ، الأوَّلُ: خُصَّ بدراسةِ حياةِ أبي السُّعُودِ، ومكانتِهِ العلميَّةِ، ومصنَّفاتِهِ، ومنهجِهِ في التفسيرِ والتَّحليلِ، والثَّاني: تضمَّنَ مفهومَ التَّحليلِ النَّحويِّ، وجُذورَهُ في دراساتِ العلماءِ، والثَّالثُ: درستُ فيه مفهومَ نظريَّةِ القرائنِ، وأصالةَ مفهومِ القرينةِ عندَ الأصوليينَ والمُتكلِّمينَ، والمفسِّرينَ، وعلماءِ اللُّغةِ والنَّحوِ، وُصولًا إلى علماءِ اللُّغةِ المُحدِّثينَ في توصيفِ مفهومِ القرائنِ، وبيانِ وظيفتِها.

وقد خُصِّصَ الفصلُ الأوَّلُ لدراسةِ أثرِ القرائنِ الصَّوتِيَّةِ والصَّرْفِيَّةِ في توجيهِ المعنى، وقد جاء في مبحثين: الأوَّلُ: القرائنُ الصَّوتِيَّةُ، وقد ألقت الدِّراسةُ الضَّوءَ على تحليلِ اللَّفظةِ وبيانِ

دَلَالَتِهَا الصَّوْتِيَّةِ عِبْرَ اخْتِلَافِ التَّعْبِيرِ الصَّوْتِي فِي قِرَائِنِ (الْوَقْفِ، وَالتَّنْغِيمِ، وَالتَّنْوِينِ)، وَالثَّانِي: الْقِرَائِنُ الصَّرْفِيَّةُ، فَقَدْ كَشَفَتْ الدِّرَاسَةُ عَنْ أَثَرِ دَلَالَةِ اللَّفْظَةِ بِاخْتِلَافِ قَرِينَتِي (الصِّيْغَةِ وَالْمِطَابَقَةِ) فَتَوَدَّى وَظِيفَةُ نَحْوِيَّةٌ خَاصَّةٌ بِهَا تَجْعَلُهَا تَدْخُلُ فِي تَغْيِيرِ الْمَعْنَى الْعَامِّ لِلنَّظَامِ اللَّغَوِيِّ.

أَمَّا الْفَصْلُ الثَّانِي: فَقَدْ عُقِدَ لِدِرَاسَةِ أَثَرِ الْقِرَائِنِ النَّحْوِيَّةِ بِشَقِّيْهَا اللَّفْظِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ فِي تَوْجِيهِ الْمَعْنَى، إِذْ كَانَ لِهَذَا الْفَصْلِ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ مِنَ الْقِرَائِنِ؛ لِكَثْرَةِ الْقِرَائِنِ الَّتِي نُوقِشَتْ فِيهِ، فَعَلَى الْمُسْتَوَى اللَّفْظِيِّ قَرِينَةُ (الْعَلَامَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ، وَالرَّيْبَةِ، وَالرَّبْطِ، وَالتَّنْظَامِ)، وَأَمَّا عَلَى الْمُسْتَوَى الْمَعْنَوِيِّ فَقَرِينَةُ (الْإِسْنَادِ، وَالتَّخْصِيصِ، وَالنِّسْبَةِ، وَالتَّبَعِيَّةِ).

أَمَّا الْفَصْلُ الثَّالِثُ: فَقَدْ خُصِّصَ لِدِرَاسَةِ أَثَرِ الْقِرَائِنِ الْقِرَائِنِ الْحَالِيَّةِ، مَبِينًا الْأَثَرَ الَّذِي تَقُومُ بِهِ هَذِهِ الْقِرَائِنُ فِي إِضْاحِ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ أَثْنَاءَ تَحْلِيلِ النُّصُوصِ، وَقَدْ رَكَّزَتِ الدِّرَاسَةُ عَلَى قَرِينَةِ سِيَاقِ الْحَالِ وَأَسْبَابِ النُّزُولِ، مَعَ تَسْلِيْطِ الضَّوْءِ عَلَى الْعُنَاصِرِ الَّتِي تَمَثَّلَتْ بِحَالِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ، وَالظَّرُوفِ الْمُحِيطَةِ بِالنَّصِّ مِنْ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ، وَحَذْفٍ وَتَقْدِيرٍ، وَغَيْرِهَا. وَانْتَهَى الْبَحْثُ إِلَى خَاتِمَةٍ أُثْبِتَ فِيهَا أَهَمُّ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا، وَأَوْجِزُ أَهَمِّ نَتَائِجِهِ بِمَا يَأْتِي:

- أُثْبِتَ الْبَحْثُ أَنَّ أَبَا السَّعُودِ قَدْ فَسَّرَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْقِرَائِنِ وَبِمَخْتَلَفِ جَوَانِبِهَا وَتَفَرُّعَاتِهَا، وَقَدْ تَجَلَّى ذَلِكَ بِوُضُوحٍ فِي تَفْسِيرِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنِ الْوُضَائِفِ النَّحْوِيَّةِ، وَلَمْ أَجِدْهُ قَدْ أَغْفَلَ قَرِينَةً مِنَ الْقِرَائِنِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ وَالْحَالِيَّةِ، بَلْ أَفَادَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي تَوْضِيحِ دَلَالَةِ الْآيَاتِ وَمَعَانِيهَا.

- أَظْهَرَ الْبَحْثُ أَنَّ أَبَا السَّعُودِ يَمْتَلِكُ رُؤْيَاً تَحْلِيلِيَّةً عَمِيقَةً تَجَسَّدَتْ فِيهِ الْوَعْيُ لَطَبِيعَةِ اللَّغَةِ وَسِيَاقَاتِهَا سِوَاءَ فِي السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ أَمْ اللَّغَوِيِّ بِشَكْلِ عَامٍ، كَمَا أَنَّ تَحْلِيلَهُ النَّحْوِيَّ يُظْهِرُ الدَّقَّةَ فِي اخْتِيَارِ الْقَرِينَةِ الْمُنَاسِبَةِ فِي الْكَشْفِ عَنِ الْمَعْنَى.

The first chapter displayed the phonological and morphological inferences, it has two sections. The first section was about the phonological inference; the study sheds the light on the vocabulary analysis and stating its phonological inferences throughout diversity in the phonological expressions in inferences (pause, intonation, nunation). Concerning morphological inferences, the study revealed the influence of expression inference throughout the inference difference (form and overlapping (where it performs its own grammatical function that makes it causes in changing the general meaning of the linguistic system.

The second chapter stated the grammatical analysis in the light of the grammatical inference theory including its two parts: the verbal and moral. This chapter had the best luck of inferences due to the many inferences that had been discussed in it. The verbal level discussed inferences of (inflectional mark, ranking, linking, regularity)and moral inferences of (prediction, devotion, relativity, and subordination).

The third chapter was about studying the grammatical analysis in the light of the current inferences showing the influence that these inferences perform in clarifying the accurate meanings during analyzing texts. The study focused on the context inferences and causes of descending with shedding the light on the elements that were represented by the speakers' and addressee's state and the text surrounding circumstances including fronting, delaying, deleting, estimating, etc.

The study ended with conclusion of the most important results; it was followed by a list of references and bibliographies that enriched and enhanced the study. This included books of interpretation, books of readings, books of Quran readings and inflection, linguistic lexicons, books of Quran sciences as well books of grammar and morphology and the modern studies that supported the researcher. Some of these studies included dissertations, theses, and the scientific research.

Abstract:

The grammatical analysis is considered one of the important devices that reveals secrets and meanings of the linguistic structure in the context of Quranic text for it decomposes texts' elements in order to know their constituents and to identify their meanings and properties in the light of the Inference Theory and its role in identifying the grammatical entrance. This is because understanding Quranic text depends on a group of the essay inferences as well as other general grammatical inferences.

The current study tackled the grammatical analysis about Abi Al Seo'ud in the light of the Inference Theory. Abi Al Seo'ud was one of the prominent scholars who was brilliant in his time and had a prestige not less than previous great interpreters. He had an encyclopedic mind and brilliant insight. He did not restrict his knowledge within a limited cognitive framework, rather he navigated in various sciences that were spreading in his time. Thus, he was a judge, Osouli, interpreter, and a speaker, where his various knowledge, his huge curiosity, and the writings he left witnessed to him, which were everlasting scientific heritage.

Due to the nature of the study, the researcher adopted the analytical descriptive method. He focused on describing inferences that were mentioned in Abi Al Seo'ud's Interpretation then analyzing them grammatically with shedding the light on their role in directing meaning. This occurred in order to achieve the intended purpose and desired targets.

Nature of the subject and its scientific material required to divide the study into three chapters preceded by a preface and followed by conclusion that implied the most important results that the researcher concluded.

The preface has three essential axes. The first axis studied Abi Al Seo'ud's life, his scientific position, his classifications, his method in interpretation and analysis. The second discussed the concept of the grammatical analysis in language and terminology, and history of the grammatical analysis in scholars' studies. The third was about the concept of inference theory in language and terminology, originality of inference concept to Osouli, speakers, interpreters, linguists, and grammarians up to modern linguistics in describing its notion and stating its function.

**Ministry of Higher Education and Scientific Research
Kerbala University
College of Education for Human Sciences
Department of Arabic**



**The Influence of Contextual Clues on the Interpretation of
Meaning in Abu al-Su'ud's (٩٨٢ AH) Tafsir**

**by:
Seleam Aswad Medloul Al Asedi**

**A Dissertation submitted to the council of College of Education/
Kerbala University as a Partial Fulfillment for the Requirements
of Ph.D. Certification in the Philosophy of Arabic language /
Linguistics**

**The supervisor:
Asst. Prof. Dr. Alya' Nasrat Hassan Al Rubai'i**

١٤٤٦ H.

٢٠٢٥ A.D.